

مختصر كتاب  
المفاهيم المفتاحية لنظرية  
المعرفة في القرآن الكريم



مختصر كتاب  
المفاهيم المفتاحية لنظرية  
المعرفة في القرآن الكريم

عبد الكريم بليلى



١٤٤١هـ - ١٩٨١م  
1401AH - 1981AC

العهد العالمي للفكر الإسلامي



© المعهد العالمي للفكر الإسلامي - هرندن - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية  
الطبعة الأولى ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٦ م

مختصر كتاب المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم

تأليف: عبد الكريم بليل

موضوع الكتاب: ١- نظرية المعرفة ٢- مصادر المعرفة

٣- أدوات المعرفة ٤- مصطلحات ومفاهيم القرآن الكريم

٥- دراسات قرآنية ٦- دراسات إسلامية

ردمك (ISBN): ٩٧٨-١-٥٦٥٦٤-٦٤١-٤

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠١٦/٨/٤٠٣٣)

جميع الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي مسبق من المعهد.

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

The International Institute of Islamic Thought

P.O.Box: 669, Herndon, VA 20172 - USA

Tel: (1-703)471 1133, Fax: (1-703)471 3922

www.iiit.org/ iiit@iiit.org

مكتب الأردن - عمان

ص.ب ٩٤٨٦ الرمز البريدي ١١١٩١

هاتف: +٩٦٢٦٤٦١١٤٢٠ فاكس: +٩٦٢٦٤٦١١٤٢٠

www.iiitjordan.org

النشر والتوزيع

مركز معرفة الإنسان للدراسات والأبحاث والنشر والتوزيع

عمان - الأردن

هاتف: +٩٦٢٧٩٧٠٠٠٧٠٩ فاكس: +٩٦٢٦٤٦٣٩٠٠٧

Email: majed\_fawzi@hotmail.com



الكتب والدراسات التي يصدرها المعهد لا تعتبر بالضرورة عن رأيه وإنما عن آراء واجتهادات مؤلفيها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## المحتويات

٩	..... تصدير
١١	..... المقدمة
<b>الباب الأول</b>	
<b>الألفاظ والمفاهيم المعرفية في القرآن الكريم</b>	
١٥	..... الفصل الأول: دراسة المفاهيم من منظور معرفي
١٥	أولاً: الضّرورة المعرفية للمفاهيم
١٨	ثانياً: تحليل بنية المفاهيم
١٩	ثالثاً: المفاهيم ومشكلة المعنى
٢٢	رابعاً: تغير المفاهيم
٢٣	خامساً: منظومة المفاهيم المفتاحية في القرآن الكريم
٢٤	سادساً: منهجية تصنيف الألفاظ المعرفية من القرآن الكريم
٢٧	..... الفصل الثاني: مفاهيم المضامين المعرفية: المعرفة والعلم والوحي
٢٧	أولاً: مفاهيم المعرفة
٦٧	ثانياً: مفاهيم العلم
٩٦	ثالثاً: مفاهيم الوحي
١٠٥	..... الفصل الثالث: مفاهيم الطرق المعرفية: العقل والحس
١٠٥	أولاً: مفاهيم العقل
١٢٤	ثانياً: مفاهيم الحس
<b>الباب الثاني</b>	
<b>المعرفة والعلم في القرآن الكريم</b>	
١٤١	..... الفصل الأول: المعرفة في القرآن الكريم

١٤١	أولاً: تعريف المعرفة
١٤٣	ثانياً: طبيعة المعرفة
١٥٢	ثالثاً: ميدان المعرفة
١٦١	رابعاً: ضوابط المعرفة في القرآن الكريم
١٧٧	..... الفصل الثاني: العلم في القرآن الكريم
١٧٧	أولاً: تعريف العلم وأقسامه
١٨٠	ثانياً: مراتب العلم وضوابطه
١٨٦	ثالثاً: النظرة الشاملة للعلم في القرآن
١٩١	..... الفصل الثالث: المقارنة بين المعرفة والعلم
١٩١	أولاً: الفروق اللغوية والاصطلاحية
١٩٤	ثانياً: المصطلحات المرادفة للعلم والمعرفة في القرآن الكريم
	الباب الثالث
	اكتساب المعرفة وطرائقها ومصادرها في القرآن الكريم
١٩٩	..... الفصل الأول: أدوات المعرفة في القرآن الكريم
١٩٩	أولاً: وظيفة الحواس وأهميتها وقدرتها المعرفية
٢٠١	ثانياً: السمع والبصر في القرآن الكريم
٢٠٧	ثالثاً: القلب في القرآن الكريم
٢٢١	..... الفصل الثاني: طرائق اكتساب المعرفة في القرآن الكريم
٢٢١	أولاً: الإحساس
٢٢٧	ثانياً: الإدراك
٢٦١	..... الفصل الثالث: مصادر المعرفة
٢٦١	أولاً: مفهوم المصدر المعرفي
٢٦٧	ثانياً: الكون (المخلوقات) مصدر للمعرفة في القرآن الكريم
٢٧٥	ثالثاً: الله تعالى (الخالق) مصدر للمعرفة في القرآن الكريم

## تصدير

يعكف المعهد العالمي للفكر الإسلامي منذ مدة على اختصار بعض الكتب التي أنتجها؛ إذ لاحظ أن من أهم سمات هذا القرن، أنه عصر متسارع في الإنتاج والوقت وطريقة الحياة. وليست حركة التأليف والإنتاج والتسويق ببعيدة عن هذا التسارع المحموم؛ إذ ثمة تدفق كبير في الإنتاج المعرفي والعلمي والثقافي، وهناك مواكبة مستمرة لكل ما يتصل بالشأن العام والخاص، وثمة تنافس كبير بين دور النشر والمواقع الإلكترونية في تسويق أفكارها ومنشوراتها، بصورة تحاول تقليل الفجوة بين التسارع الكبير في الزمن، والحفاظ على جِدَّة المعلومة واتساقها مع المتغيرات، وقدرة المرء على الإفادة من هذه المعلومة بأيسر صورة وأكثرها نجاعة وفائدة، لا سيما أننا نعيش مجتمع المعرفة والاقتصاد المعرفي، الذي يفرض على المجتمعات أن تلجأ إلى ما يُسمى بـ"التكيف الإبداعي"، وهي تقنية علمية وفكرية ومعرفية، تقوم على استحضار الحاجات العلمية والمعرفية للمجتمع والأمة، والثقائف مع لبنات المجتمع الإنساني، والقدرة بعد ذلك على إنتاج ما يتسق وبنية المجتمع.

وبناء على المعطيات السابقة، فقد وعى المعهد هذه الحاجة إلى المواءمة بين الزمن والفكرة والحاجات المعرفية، لذلك لجأ إلى إنتاج بعض الكتيبات، واختصار بعض الكتب التي يشعر بأن لها موقعاً مهماً في تطوير الملكة النقدية

عند العقل المسلم، ومن ثمّ تشكيل الشخصية الإسلامية القادرة على تفعيل حركة النهوض والإسهام في بناء الإنسانية.

وأتبعت إدارة النشر منهجية علمية في اختيار هذه الكتب، وفي حجمها، وغلافها، وطريقة اختصارها؛ إذ حافظت على محتويات الكتاب الأصلي، وعلى لغة المؤلف كما هي، إلا في بعض المواقع النزيرة التي تحتاج إلى الاستعانة ببعض أدوات الربط، التي تساعد على اتساق النصوص ومقروئيتها. وسيلحظ القارئ الكريم أن نسبة الهوامش في المختصر قليلة جداً مقارنة بالكتاب الأصلي، فقد استحضرنّا تكم الهوامش التي لها ضرورة تفيد التوضيح أو تثبيت الفكرة؛ إذ إن في إبقاء هوامش الكتاب الأصلي تضخيماً للمختصر، وهذا يتناقض وغائية المختصر ومقصده؛ إذ التركيز على الفكرة، واستيعابها في مدة زمنية قصيرة. وإذا أراد بعض الباحثين الاستزادة؛ لغايات التثبيت والتوثيق العلمي، فيمكنهم الرجوع إلى الكتاب الأصلي، الذي يتضمن الهوامش كاملة.

والله ولي التوفيق

إدارة النشر في المعهد العالمي للفكر الإسلامي

## المقدمة

الحمد لله الذي نَزَلَ القرآن، وجعل فيه الميزان بين الصدق والكذب والبهتان، أمراً بتدبيره، وما يعقله إلا الراسخون، وما يتذكر إلا أولوا الألباب؛ وبعد، فإنَّ الجانب المعرفيَّ في القرآن يتناول النظر الذي هو أول واجب على الإنسان، وأول مطلوب منه باتفاق الفقهاء والنظار والفلاسفة.

وهذا النظر الأوَّليُّ ضروريٌّ ليمكنَّ الإنسان من معرفة خالقه، وذاته، وما حوله. ويتربَّب على حصول المعرفة بالخالق وذاته؛ استدعاء المعارف الأخرى التي تُشكِّل إجابات شافية عن أسئلة مهمَّة تتناول مصادر المعرفة، ومتعلقاتها، وميادينها، وأنواعها، ووسائلها، ومقاصدها، وطرائق توظيفها والإفادة منها، وكيفية تراكمها، وجمعها، وتناقُلها، وتطويرها؛ كلُّ ذلك لاختبارها وربطها بالحقائق والسُّنن.

وتتمَّ الدراسة بجمع جملة من المفردات القرآنيَّة وانتخابها لبناء معجم للمفاهيم والمصطلحات بدلالة قرآنيَّة. فالوحي - قرآناً وسنةً - يمثل مجموعة مفاهيم، إذا حُصِّلت حصرت كليات الدين. ولا سبيل إلى فقه النصِّ القرآنيِّ بغير دراسة مصطلحاته وألفاظه؛ فهي مفتاح الوصول إلى مراد الله عزَّ وجلَّ.

والمصطلح القرآنيُّ تتباين دلالاته بتنوع امتداداته داخل النسق المفهوميِّ للنصِّ، وتختلف معاني مبانيه باختلاف القضايا التي طُرِح فيها هذا المصطلح.

ويُراد بالدراسة المصطلحيّة لألفاظ القرآن "تلك الدراسة المنهجية الجامعة التي تبيّن مفاهيم المصطلحات من نصوصها، وتبيّن المقومات الدلالية الذاتية للمصطلح عبر ضمائه واشتقاقاته والقضايا الموصولة به." وبذا، يُعدّ الاصطلاح ضابطاً لحركيّة المفهوم، وإن كان المفهوم هو ما يُؤلّد المصطلح.

ومما لا شكّ فيه أنّ عدم ضبط مفهوم المصطلح يؤدّي إلى فوضى فكرية، كما يتولّد عن عدم فهمه اضطراب في التصوّر، وربما يُفسّر بعضهم مصطلحاً ما على غير ما تواضع عليه أهله، فإذا شاع تشعبت معانيه، فيفتقد خصوصيّة العلميّة، وقيمته اللغويّة، وأهليّته الاصطلاحية.

فالتواصل الصحيح لا يمكن أن يتمّ إلا في ظلّ وضوح المفاهيم، والاستعمال الدقيق للمصطلحات. وقد نبّه العلماء والنظّار لأهميّة تحديد المصطلحات؛ حتى لا يدور الجدل على الألفاظ بدل الحقائق، فلا يُقبَل مصطلح معيّن فيه إجمال واشتباه؛ حتى يستفسر صاحبه ويستفصل؛ ليكون الحوار بناءً وحقيقيّاً. فسبب اختلاف النظّار يُعزى غالباً إلى استعمالهم ألفاظاً مجمّلة، تتناول أنواعاً مختلفة؛ إمّا بطريق الاشتراك لاختلاف الاصطلاحات، وإمّا بطريق التواطؤ مع اختلاف الأنواع، فإذا فسّر المراد وفصل المشابهة؛ تبيّن الحقّ من الباطل، والمراد من غير المراد.

# **الباب الأول**

**الألفاظ والمفاهيم المعرفية**

**في القرآن الكريم**



## الفصل الأول:

### دراسة المفاهيم من منظور معرفي

يمكن النظر إلى المفاهيم من زوايا عدة، وإخضاعها لمناهج متنوّعة، ودراستها لغويّاً، أو نفسياً، أو فلسفياً، ومن الزاوية المعرفيّة (الإبستمولوجيّة)، بتحليل بنية المفهوم معرفياً، وإيضاح الأسس التي تقوم عليها المنهجية؛ في تشكل العلاقات بين المفاهيم لتكوّن حقلاً معرفياً، وتشكل النسق من تكامل الحقول المعرفية.

نبحث في هذا الفصل إشكالية المعنى، ونعرض للتغيرات التي تلحق المفهوم ودلالته. وهو يتضمن: الضّرورة المعرفيّة للمفاهيم، وتحليل بنية المفاهيم، ثم المفاهيم ومشكلة المعنى. وتغيّر المفاهيم، ومنظومة المفاهيم المفتاحيّة، ومنهجية تصنيف الألفاظ المعرفية في القرآن الكريم. وستكون وفق: الدلالة المعجمية، الدلالة الاستعمالية، الدلالة التأويلية.

### أولاً: الضّرورة المعرفيّة للمفاهيم

يتكون أيّ نسق معرفيّ حضاريّ من مجموعة حقول معرفيّة متكاملة، تتجلّى في صورة متناسقة، فهناك المعرفة الدينيّة، والميتافيزيقيّة، والرياضيّة، والمنطقيّة، واللسانيّة، والاجتماعيّة، وغيرها. وتمثل الحقول بدورها مجموعة من المفاهيم، وكلّ حقل يتركّب من مفاهيم تربطها ببعضها علاقات معيّنة.

## ١ - قيمة المفهوم:

لكلّ حقل خصائص ومفاهيم تميّزه عن غيره، وترتّب الحقول بعضها مع بعض؛ لتُنشئ نسقاً معرفياً متكاملًا. ويعتمد تحليل أيّ بنية معرفيّة على أسس ثلاثة، هي: المفاهيم، والعلاقات التي تؤلّف من المفاهيم حقلًا، والعلاقات التي تشمل من الحقول نسقًا، فالمفاهيم هي حجر الأساس؛ وعدمها عدم للحقل، ووجودها لا يلزم منه وجوده، فهي التي تبرز خصائص الحقل، ويعد الخلط بين المعاني عند كثير من الكتّاب من العلل الفكرية الناشئة عن غموض الأفكار والمفاهيم، أو تحريفها؛ من هنا فقد كان الأولى على أهل الفكر توضيح المفاهيم العامة لأيّ حقل أو نسق؛ لأنّ إصلاح النسق ككلّ يتطلّب البدء بأساسه؛ كيما يحدث التغيّر الفكريّ، والتحوّل الحضاريّ.

## ٢ - المفهوم بمعناه المنطقيّ:

المفهوم هو مجموعة الصّفات والخصائص؛ المحدّدة للموضوعات لتميزها عن الموضوعات الأخرى، ولكننا سننظر إلى المفهوم نظرة تفسح المجال أمام القول بأنّ الغالبية العظمى من المفاهيم تتسم بمرونة مطلقة، لا تحدّها حدود ولا تقيدها قيود، فتتسع دلالتها أحياناً وتضيق أخرى، مع حفاظها على حقل دلاليّ خاصّ بها، وتعدّ المفاهيم "المعاني العقلية الكلية، أو الأفكار العامة المجرّدة"، وأبرز أمثلتها: الحرية والتسلّط، والعدالة والظلم، والحقّ والباطل، والخير والشرّ، والجمال والقيح.

### ٣- تشكيل المفاهيم:

لا شك في أن المفاهيم محدّدة الدلالة، تمثل معنًى محدّداً، أو مجموعة معانٍ، نُعبّر عنها إمّا برمز لغويّ واحد يُسمّى لفظاً أو مصطلحاً، مثل "العلم"، وإمّا بتعبير، مثل "العلم الإلهي".

وفي حال المفاهيم المحدّدة، يوضّع اللفظ إزاء المعنى، فيُنتج ذلك مصطلحاً يتفق عليه أهل علم معيّن، وقد يظلّ المصطلح مقصوراً على أصحابه الذين تواضعوا عليه، ولكنّ المشكلة تنشأ عند وضع لفظ واحد إزاء معانٍ كثيرة، مع غياب القرائن اللغويّة التي تميّز هذه المعاني، وهذا الموقف يختلف عن "المشترك اللفظي" بين معنيين متغايرين أو أكثر؛ لأنّنا قد نتوصل في المشترك اللفظيّ إلى تحديد المعنى المراد عن طريق القرائن أو السياق اللغويّ، وهذا الإشكال غير قائم مع المفاهيم ذات المعاني المحدّدة؛ لغويّة كانت أو اصطلاحية، ومثال ذلك مفهوم "الديمقراطية"، الذي اتّفق على أصله اللغويّ (حكم الشعب)، واختلف في دلالاته الاستعماليّة.

وعند انقلاب المفاهيم تتحول الروابط بين أفراد الأمة، فيجعل الرابط العقديّ فرعاً لا أصلاً، وهذا وليد النقل من الفلسفات الإلحادية والوجودية التي تجعل الفرد محوراً، وفوق كلّ شيء، حتى توصله إلى مقام التشريع، وتقرير ما هو خير وما هو شرّ، وما هو حقّ وما هو باطل.

## ثانياً: تحليل بنية المفاهيم

يتطلّب ضبط أيّ مفهوم تفكيك عناصره؛ لمعرفة بنيته المركّبة، وترتيبها من حيث الأهميّة في تشكيله.

### ١ - تحديد بنية المفهوم:

تتألف بنية أيّ مفهوم من عناصر عدّة، منها أساسيّة، وأخرى مكملّة لها، وللعناصر الأساسيّة أسبقية منطقيّة في البنية؛ إذ إنّها لا تُشتقّ من غيرها، بينما غيرها يُشتقّ منها، وهي تشبه البدهيات في الأنساق الرّياضيّة والمنطقيّة؛ لأنّها تتمتع بدرجة أكبر من التجريد، مقارنةً بغيرها. وقد ميّز علماء الدلالة بين أنواع من المعاني في مقدّماتها المعنى الأساس والإضافي. فالمعنى الأساس هو المعبر الحقيقيّ عن أهمّ وظائف اللغة، وهي التواصل ونقل الأفكار، ولهذا فإنّ فهم بنية أيّ مفهوم فهماً دقيقاً يتطلّب تحليل هذه البنية، وتحديد عناصرها الفرعيّة.

### ٢ - أهميّة تحليل بنية المفهوم:

يمكن بيان مدى أهميّة العمليّة التحليليّة في الإدراك الدقيق والصحيح للمفاهيم، واجتناب اللبس؛ بتأمّل مفهوم "العقل". فالمفاهيم تنقسم إلى ثلاث أنماط، هي: المفاهيم المعرفيّة: مثل: العلم، والفهم، والتفكير، والإدراك، ومفاهيم الإرادة: مثل: العزم، والاختيار، والقصد، والإرادة، ومفاهيم الإحساس: مثل: الغضب، والخوف، واللذة، والألم. وإنّ تحليل بنية مفهوم (العقل) على هذا النحو سيؤثّر في الحوار الذي يدور عليه، من

حيثُ: طبيعتهُ، وطريقتهُ، والنتائجُ التي ينتهي إليها، وقد أدرك العلماء وجود علاقة بين بنية اللغة، وبنية العقل، وبنية الواقع. وإنَّ تحليل بنية المفهوم تكشف لنا عن وجود مجموعة من المفاهيم، تتطور مع الأيام، ويزيد مضمونها، ومساحة تطبيقها، مما يحتمُّ ضرورة التنبّه لبعض الدلالات التي تكتسبها المفاهيم في مراحل تاريخية معيّنة، فإنه لكي تفهم المعنى المحدّد للكلمة؛ يجب أن تفهم مجموعة الكلمات المتصلة بها دلالياً، أو دراسة العلاقات بين المفردات، داخل الحقل، أو الموضوع الفرعي؛ لأنَّ معنى كلمة ما؛ هو محصّلة علاقاتها بالكلمات الأخرى، وهدف التحليل للحقول الدلالية؛ هو جمع كلّ الكلمات التي تخصّ حقلاً بعينه، والكشف عن صلوات الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام.

### ثالثاً: المفاهيم ومشكلة المعنى

كيف يمكن الحكم على المفاهيم بأنّها واضحة، أو غامضة، أو خالية من المعنى؟ تتنوع مجالات الكلام بين: عقديّة، وإنسانيّة، وأدبيّة، وطبيعيّة، ورياضيّة. لذا، عدّد مفهوم المعنى الواضح إشكالاً في حدّ ذاته، في كلّ مجال على حدة، ومن هنا كان الاهتمام بقضيّة المعنى في التراث العربيّ، في علوم اللغة، وفتحة اللغة، تفادياً لما يُسمّى "بالأمراض الدلالية" التي تصيب المفاهيم في حقول معرفيّة متنوّعة، ونجد هذا الاهتمام بارزاً في الفلسفة، وعلوم اللغة، وعلم الأصول.

## ١ - قضية المعنى عند اللغويين:

يقول ابن جني في كتابه الخصائص: "ذلك أن العرب؛ كما تُعنى بألفاظها، فتصلحها وتهذبها وتراعيها، وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة، وبالخطب أخرى، وبالأسجاع التي تلتزمها، وتتكلف استمرارها، فالمعاني أقوى عندها، وأكرم عليها، وأفخم قدراً في نفوسها، فأول ذلك عنايتها بألفاظها، فإنها لما كانت عنوان معانيها، وطريقاً على إظهار أغراضها ومراميتها."

اهتم اللغويون بالدلالة اهتماماً تجلّى في جمع معاني القرآن الكريم؛ كعلم المفردات، والنظائر، والمجاز؛ ويمثل ضبط المصحف عملاً دليلاً؛ ذلك أن من أهم الأسباب التي دفعت إلى وضع علم النحو، لحن أحد القراء في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣]؛ بجر ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بدلاً من ضمّها.

## ٢ - قضية المعنى عند البلاغيين:

اهتم أهل البلاغة كثيراً بالجوانب الدلالية، كالحقيقة والمجاز، وتراكيب الجمل، ودراسة الأساليب؛ كالأمر والنهي والاستفهام والتعجب، وغيرها، ومن ذلك: فكرة "النظم" عند الجرجاني، التي ارتقت على يديه، وصارت نظرية لها أصولها التي تميّزها من غيرها. قال: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك؛ الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها."

### ٣- قضية المعنى عند الفلاسفة:

حظيت قضية اللفظ والمعنى بعناية بعض فلاسفة المسلمين، مثل الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد، وابن حزم، والغزالي؛ وقد تضمنت معظم بحوثهم المنطقيّة واللغويّة هذه القضية، حيث قرّر أغلبهم أنّ الألفاظ تدلّ على المعنى من ثلاثة أوجه متباينة، هي: دلالة المطابقة، ودلالة التضمنين، ودلالة الالتزام، ويُقصد بها دلالة اللفظ على خارج عن مسماه. يقول الغزالي: "اعلم أنّ الألفاظ من المعاني على أربعة منازل: المشتركة والمتواطئة والمترادفة والمتزايلة. أما المشتركة؛ فهي اللفظ الواحد الذي يطلق على موجودات مختلفة، بالحدّ والحقيقة، وأما المتواطئة؛ فهي التي تدلّ على أعيان متعدّدة؛ بمعنى واحد مشترك بينها، وأما المترادفة؛ فهي الأسماء المختلفة الدالة على معنى يندرج تحت حدّ واحد، وأما المتزايلة؛ فهي الأسماء المتباينة التي ليس بينها شيء من هذه النسب."

### ٤ - قضية المعنى عند الأصوليين:

اهتمّ أهل الأصول باللغة والمعنى، وذلك لوجود صلة وثيقة بين فهم اللغة وفهم الشرع المنزّل بلسان عربيّ مبين. فعلم الأصول علمٌ استنباط الأحكام الشرعيّة من أدلّتها التفصيليّة، وقد بُني موضوعه على محورين، هما: الأدلّة، والأحكام. وإنّ عمليّة استنباط الأحكام الشرعيّة من الأدلّة توجب إدراك معاني الألفاظ؛ بغية تعرّف المقصود من النصوص الشرعيّة. فالأصوليون يقسمون الألفاظ إلى مترادفة ومشتركة ومطلقة ومقيّدة، ولهم اهتمام واضح بصيغ الأمر والنهي لكونها محور التكليف، ويهتمون كذلك

بنظرية السياق، لأنها تحدّد دلالات الصيغ، والتي منها: الإباحة، والوجوب، والتعجيز، والإرشاد، وهذا مبنيّ على مراعاة القرآن الكريم للمعنى والمبنى.

## رابعاً: تغيّر المفاهيم

تخضع المفاهيم لأطر بيئية وثقافية، ويثير الاستخدام العام للمصطلحات -الفلسفية، والعلمية، والأدبية، والمفردات اللغوية- يثير اللبس، وذلك لأنّ الأفكار تستخدم نفس المصطلحات والمفردات المتداولة؛ للتعبير عن نفس الدلالات التي ترتبط بالمضمون المعرفي للفلسفة، والفكر الذي أنتجها؛ أي أنّ دلالة الألفاظ والمفردات ترتبط بتصوّر ذهنيّ معيّن، وليست مجرد علامة عليه وإشارة، مع مراعاة مسألة التمييز بين ظاهرة "تغيير المعنى"، وظاهرة "تحريف المعنى".

### ١- أسباب تغيّر المعنى:

هناك عدة أسباب تساعد في تغيّر المعنى في الثقافات البشرية، منها: ظهور الحاجات الجديدة، الذي يؤدي إلى إحداث تغيير في المعنى، ثم العوامل النفسية والاجتماعية، كالحظر أو التحريم؛ الذي يُفضي إلى تغيّر المفاهيم؛ لأنّ المفاهيم التي نُعبّر عنها بمصطلحات هي معانٍ مجردة.

### ٢- تحريف المعنى:

تُعدّ عملية تغيير المعنى حالة طبيعية، ويدور الإشكال على ظاهرة "تحريف المعنى"، فتغيير المعنى يمرّ بمراحل تطوّر طبيعية، ويحظى بالقبول لدى أهل اللغة، والمجامع والهيئات العلمية، أما التحريف فيحصل لغايات

مبيته، وتتمثل طريقة البحث في العقل في إظهار كيفية انبثاق العقل من المادة، وتبعاً لذلك لا يزيد العقل عن كونه عضواً مادياً، فالعقل عرض روحاني خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان، فالاتجاهات المادية في العلم والفلسفة حرّفت مفهوم "العقل" من المنظور الوظيفي، الذي يُعدّ ملكة لدى الإنسان المحدود الإدراك. وتكمن المغالطة في سحب الجزء على الكل، ولكنّ تصوّر الإسلام للمعرفة يرى أنّ العقل لا يزيد على أن يكون وسيلة من وسائل الإدراك، وأنّ كلّ وسائل الإدراك لدى الإنسان تقع في باب الوجود.

### ٣- قواعد التعامل مع المفاهيم:

هناك قواعد دلالية تحكم التعامل الدقيق مع المفاهيم، تنطلق من الاعتراف بالخصوصية الحضارية والسّمات اللغوية والمنطقية للغة التي تُصاغ بها، ومعرفة المعنى اللغوي والاصطلاحيّ للألفاظ التي تُعبّر عن المفاهيم، ومعرفة السيرورة الدلالية للمفهوم، والتمييز بين الدلالات الأصلية التي تجلّت عند وضعه أول مرّة؛ والدلالات التاريخية التي اكتسبها في أثناء تطوّره، ثم تحليل البنية الدلالية، وتمييز العناصر الأساسية من الفرعية، مما يساعد على إدراك الفرق بين التطوّر الدلالي الطبيعيّ وتحريف دلالة المفهوم؛ سواء عن طريق التضييق، أو التوسيع، أو أيّ صورة أخرى.

### خامساً: منظومة المفاهيم المفتاحية في القرآن الكريم

بما أنّ القرآن الكريم هو مصدر المعرفة الرئيس، فلا بد من حصر ألفاظه التي تصف الفعل المعرفي، أو الأساليب، أو الأدوات، أو تضيف قيمة

معرفية، ثم تحويلها إلى مفاهيم، من أجل رؤية موضوعات الحقل المعرفي.

بعض الألفاظ ذات دلالة واضحة؛ وبعضها تابع لألفاظ أخرى في المفهوم، وبعضها ورد ذكره في القرآن أكثر من غيره، ومنها ما ندر ذكره؛ لذا، قمنا بتأطيرها في مجموعات، ندرج تحت العقل كلّ الألفاظ ذات الصلة بالعمليات العقلية؛ كالتفكير، والتدبر، والنظر، والسمع، والبصر، وندرج مع الوحي كلّ متعلقاته من النبوة والكتاب والرّسالة.

## سادساً: منهجية تصنيف الألفاظ المعرفية من القرآن الكريم

هناك مجموعة من الألفاظ ترتبط دلالتها بمفهوم العلم والمعرفة في النصّ القرآني، تمّ استنباطها باستقراء كتب التفسير؛ وتم دراسة هذه الألفاظ عن طريق التقسيم الدلالي، في ثلاثة مباحث: الدلالة المعجمية، والاستعمالية، والتأويلية.

### ١ - الدلالة المعجمية:

يقصد بالدلالة المعجمية؛ تلك الدلالة الوضعية التي تُمثّل الحقيقة اللغوية عند الأصوليين، ذلك أن الأصل اللغوي لا يُعدل عنه إلا بدليل، فالأصل هو الحقيقة اللغوية، أمّا مسوّغ الدلالة المعجمية، فهو وضع الألفاظ في مجال دلالي واحد؛ تتضح داخله علاقات الألفاظ ببعضها؛ لوجود المشترك والمترادف والمتضاد؛ وعدم المساواة بين الألفاظ، ذلك أنّ المعنى المعجمي يُمثّل التصوّر الذي يستدعيه اللفظ المتجرّد من العرف الاجتماعي والمعتقد الديني عند الإطلاق، وهو معنى يتصف بالتعددية والاحتمالية.

فالكلمة في المعجم لا تفهم إلا منعزلة عن السياق، وهذا هو المقصود بوصف الكلمات في المعجم بأنها مفردات، على حين لا توصف بهذا وهي في النصّ، ولا يمكن تصوّر المعنى بوصفه خاطراً في الضمير؛ ما يعني أنّ البحث فيه يكون وفق هيئته التي يُمثّلها في التركيب، فمعنى اللفظ يتحدّد بالسياق المتواضع عليه حال التركيب مع غيره، والسيّاق واللحاق هما أهمّ عوامل ضبط المعنى، وتحديد الحقل الدلاليّ لكلّ لفظ.

## ٢- الدلالة الاستعمالية:

يقصد بها دلالة اللفظ على معناه الحقيقيّ، أو معانيه المجازيّة بقرينة ما، لأنّ الألفاظ المفردة لا تستعمل لإفادتها مدلولاتها إلا عند التركيب، ولهذا فإن فهم القرآن الكريم يتطلّب النظر في المادّة اللغويّة للفظ المراد تفسيره؛ بالوقوف على دلالة اللفظ في عصر النزول. وهناك ألفاظ لها دلالات خاصّة من معانيها العامّة، صار لبعضها دلالة جديدة غير معهودة، تطلّبها السيّاق القرآنيّ، أو الجوّ الدينيّ العامّ. وهناك ألفاظ استعملت على نحوٍ دقيق، وصارت المفردة القرآنيّة تتمتع بميزات لم تعرف من قبل، بما يبرهن على إعجازها، واتّساقها الكامل مع المعنى، واتّساع دلالتها.

## ٣- الدلالة التأويلية:

التأويل وسيلة من وسائل الكشف عن مراد المتكلم، ومعرفة ما تعنيه ألفاظه، ولا يتحقّق هذا إلا بمراعاة أصول اللغة، فلا يكون إلاّ بديل أو قرينة توجب صرف المعنى الظاهر الأصليّ إلى غيره وإلاّ بطلت الثقة باللغة

ومَهْمَتِهَا، فالدلالة التأويلية هي إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية. وقد عُدَّ المجاز المعتمد على القرينة وضعاً تأويلياً. والتأويل قد يكون هو التفسير لما تؤول إليه الكلمة مع السياق واللحاق، وهذا أقرب إلى الحق، فالجانب اللغوي على قدر كبير من الأهمية في العمل التأويلي، وقد أشار الشاطبي إلى ما تجب مراعاته في المؤول إليه ليصح حكمه، وذلك بأن يكون راجعاً إلى معنى صحيح في الاعتبار، متفق عليه في الجملة، وأن يكون موضع اللفظ قابلاً للمعنى المؤول إليه من الناحية اللغوية، بوجه من وجوه الدلالة؛ حقيقية، أو مجازية، أو كناية، جرياً على سُنن العربية، وما تدل عليه أسباب نزول الآية.

## الفصل الثاني:

# مفاهيم المضامين المعرفية: المعرفة والعلم والوحي في القرآن الكريم

تشكّل المفاهيم عن طريق البحث في المعنى اللغويّ المعجمي، وقد ابتدأنا باعتماد مقاييس اللغة دائماً؛ لبيان الأصل ومشتقاته، ثمّ القاموس لبيان الدلالات الاستعماليّة، وعمدنا إلى استقراء المعاني الاستعماليّة والتأويليّة من: المفردات للأصفهاني، والتعريفات للجرجاني، والكليّات للكفويّ، وكشّاف اصطلاحات الفنون للتهانويّ، وإصلاح الوجوه للدماغيّ، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزيّ، والوجوه والنظائر لسليمان القرعاويّ. ثمّ ما يُستخلص من المعاني المعرفيّة التي تميّز المفهوم قرآنيّاً. وتنقسم المفاهيم إلى مفاهيم: المعرفة، والعلم، والوحي.

## أولاً: مفاهيم المعرفة:

### ١ - مفهوم المعرفة:

(ع ر ف): أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض، والآخرُ على السكون والطمأنينة، عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةٌ وَعِرْفَانًا بمعنى علمه، فهو عَارِفٌ، والتَّعْرِيفُ: الإعلام، وضدّه التَّنْكِير. والمعرفة هي إدراك الشيء على ما هو عليه، مع كونها مسبوقه بجهل أو نسيان حاصل بعد الإدراك الأول، وعرفها البعض بأنها إدراك الشيء بتفكيرٍ وتدبرٍ لأثره،

والعارف بالشيء هو الذي كان له به إدراكٌ ظاهر، ثم أنكره لاشتباهه عليه، فمعنى المعرفة لتعلقها بالحسّ وعيان القلب، وإفادتها تمييز المعروف من غيره، أخصّ وأتمّ من العلم المأخوذ من عالم الفكر من هذه الجهة. ولم يُجِز العلماء وصف المعرفة في حقّ الله تعالى؛ لما في معناها من شرط النكرة، وما يسبقها من جهل؛ ولأنّ دلالته تتوقّف على العلم القاصر المتوصّل إليه بالتفكّر والتدبّر.

ورد لفظ "المعرفة" في القرآن الكريم على نحوٍ محدود مقارنة بلفظ العلم ومشتقاته؛ وقد جاء على هيئة الفعل بصيغته المتعدّدة في أربعة وعشرين موضعاً، ترجع كلها إلى الأصل الأول مع فروق في المعاني الاستعمالية. وهي ثمانية أقسام: الأول: المعرفة الحسيّة، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وضده الإنكار، ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩]، والثاني: التعريف: كتعريف الضالّة وضده التنكير، قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ ﴿٦﴾ [محمد: ٦] والثالث: التعارف، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]؛ والرابع: الاعتراف: بمعنى الإقرار بالشيء: ﴿وَعَاخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَعَاخِرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]، والخامس: المعروف: وهو كلّ ما تعارف الناس عليه بأنّه خير وصلاح: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. والسادس: العُرف: وهو ما تبدّل وتغيّر: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. والسابع: عرفات: ﴿فَإِذَا أَقْبَضْتُم مِّنْ عَرَفَتٍ﴾ [البقرة: ١٩٨]. والثامن: الأعراف: كلّ مرتفع من الأرض: ﴿وَأَدْعَىٰ

أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسْمِعِهِمْ ﴿ [الأعراف: ٤٨].

ويكون التعارف على ما ظهر، أما الباطن فيوكل إلى الله؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠]؛ فالتعارف مبني على الظواهر؛ أما الاعتراف فيكون عن معرفة يقينية مكتسبة، لا عن علم ضروري؛ فهو إقرار، فالخطأ لا يكون إلا عن جهل، وهو ضد المعرفة، وضد الحلم، فناسب اللفظ سياقه. والعرف في الشريعة هو كل ما تصالح الناس عليه من أفعال وأقوال؛ أي عادات وسوالمف، فمالم يأت في الشرع ما يحرمها فهي على أصلها مباحة، وهذا يدخل في باب الحفاظ على ثقافة الشعوب والقبائل، واستمرار هويتها الاجتماعية مع هيمنة الشريعة الإسلامية.

خلاصة استعمالات لفظ "معرفة" في القرآن الكريم: من تتبّع استعمالات لفظ "معرفة" في القرآن الكريم نجد أنها وردت بوصفها إدراكاً مكتسباً، وقد ذُكرت في مواضع عدّة مقرونة بالعلامة الظاهرة؛ إمّا في الوجه فكانت أداة المعرفة "العين"، وإمّا ممّا صدر من قول فكانت أداة المعرفة "الأذن". وأمثلة ذلك في القرآن الكريم كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيرِ﴾ [المطففين: ٢٤].

وقد تصل المعرفة إلى درجات اليقين، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]. ويقتران ذكر "المعرفة" في القرآن غالباً بما يضادها، قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، ويقابل المعرفة أيضاً الكفر

كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] فمع أن الإنكار جاء بمعنى الجحود في الآية (٨٣) من سورة النحل، فإنه جاء بمعنى الجهل في الآية (٦٨) من سورة يوسف؛ أي إتهم لم يتعرفوا إلى يوسف عليه السلام ولم يعرفوه، فهو مجهول عندهم. أمّا في حال النبي ﷺ فقد كان إنكار المشركين كذباً وتكديباً له عليه السلام. وترد المعرفة في القرآن الكريم على نوعين عند الموحّدين والمشركين: معرفة إقرار، وهي التي اشترك فيها الناس؛ البرّ والفاجر، والمطيع والعاصي، ومعرفة توجب الحياء من الله تعالى، والمحبة له وتعلّق القلب به والشوق إلى لقائه.

وتكون أدلّة المعرفة من الوحي ومن الكون، وكلّهما تؤدّي إلى اليقين. أمّا الوحي، ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، وفي الأدلّة العقلية قوله تعالى: ﴿سِيرِكُمْ آيَيْنِهِ فَعَرَفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣]؛ فالمعرفة لها بابان؛ لأنّ آيات الله نوعان؛ الأول: التفكير والتأمّل في آيات القرآن الكريم، والثاني: التفكير في آياته المشهودة، وتأمّل حكمته فيها وقدرته ولطفه. وفي الأدلّة الحسية ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

## ٢- مفهوم النكرة:

مادة (ن ك ر) أصل صحيح يدلّ على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، وقد (نكّره نكراً، ونكّوراً، وأنكّره واستنكّره: لم يقبله قلبه، ولم يعترف به لسانه، والمنكّر ضدّ المعروف.

ورد لفظ "نكر" بمشتقاته في القرآن الكريم في ستة وثلاثين موضعاً:  
﴿كُتِبَ خَيْرَ آئِمَّةٍ أَخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فهو كل ما استوحشت منه النفوس السليمة، ونفر منه العقلاء؛ وكل ما ورد الشرع بتحريمه فهو منكر. وجاء في مقابل المعرفة؛ كقوله تعالى:  
﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]؛ أي: مجهولون، وقوله: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]. فمُنْكَرُونَ هنا خلاف المعرفة؛ أي أنهم متجاهلون، ويتعاملون مع نعم الله كأنهم مجهولون مصدرها، وهذا نتيجة الجحود الذي هو من معاني الكفر لا من معاني الإنكار. وعلى معناه قوله تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرَشَهَا﴾ [النمل: ٤١]، وهو باقٍ على معناه اللغوي؛ أي كل ما خالف المعرفة التي تسكن إليها القلب، شرعية كانت أم عقلية أو عرفية.

### ٣- مفهوم الكفر:

(ك ف ر) أصل صحيح يدل على معنى واحد، هو الستر والتغطية، والمكفر: الرجل المتغطي بسلاحه، والكفر ضد الإيمان، وكفر نعمة الله، جحدتها وسترها. والكافر: الليل المظلم؛ وكل شيء غطي شيئاً فقد كفره. وقد ورد لفظ "كفر" مع مشتقاته في القرآن الكريم في (٥٠٣) موضعاً، على أربعة أوجه، هي: الجحود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، والإنكار: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]. والبراءة: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، والإعراض: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ

أَرْضِيًّا أَوْ لَتَعُوذُكَ فِي مِلَّتِنَا ﴿ [إبراهيم: ١٦]. وكلّ هذه المعاني جارية على أصل المادة وهو التغطية؛ في حقّ الكفار؛ ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ [البقرة: ٨٨]؛ أي مغلفة مغلفة.

#### ٤ - مفهوم الإدراك:

(د ر ك) أصل واحد، وهو لحوق الشيء بالشيء ووصوله إليه، يقال: أَدْرَكْتُ الشيءَ أُدْرِكُهُ إِدْرَاكًا، وتداركوا: لحق آخرهم أولهم، واستدرك الشيء بالشيء، حاول إدراكه به، وأدرك بعقله: فهم، وقد ورد لفظ الدرك في القرآن الكريم في عشرة مواضع على أربعة أوجه، هي: الإلجام: ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ ﴾ [يونس: ٩٠]. واللحوق: ﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١]. والاجتماع: ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ٣٦] والرؤية: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

فدلالة اللفظ في القرآن كانت على أصله اللغوي وهو اللحاق والتتابع، أمّا الدلالة المعرفية فهي: حصول الصورة عند النفس الناطقة، وتمثّل حقيقة الشيء وحده، من غير الحكم عليه بنفي أو إثبات، ويسمّى تصوّرًا، ومع الحكم بأحدهما يسمّى تصديقًا، فهو يطلق على كلّ فعلٍ للعقل بسيط ومباشر يدرك به الشيء الحسيّ أو الصورة المحفوظة في النفس أو المتخيّلة، ويقسم إلى: إدراك باطنيّ، وإدراك خارجيّ. فالإدراك هو تمثيل حقيقة الشيء عند المدرك؛ أي يشاهد بها ما يُدْرِك. وهو مطلق التصوّر، وأول مراتبه وصول العلم إلى النفس الشعور، ثمّ الإدراك، ثمّ الحفظ، وهو كمال يحصل به مزيد كشف على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم من جهة البرهان أو الخبر والنقل.

## ٥ - مفهوم الدراية:

قولهم دَرَيْتُهُ: علمته. وأدْرِي درياً، ودَرِيَةً، ودَرِيَاناً، ودِرَايَةً، علمته، وجاء لفظ "الدراية" بصيغة الفعل مسبوقاً بالنفي أو بصيغة: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ في مواضع ثلاثة، ﴿وَمَا أَذْرِيكَ﴾ في ثلاثة عشر موضعاً، منها قوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيْبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]. وتأتي درى بمعنى عَلِمَ وَعَرَفَ بعد أن كان غير عالم. والدراية مراتب متفاوتة، قد تكون تامّة وقد تكون ناقصة، واللدراية مذهب من يرى أنّ حقيقة الأشياء ليست في متناول العقل البشريّ، وهو غير مذهب الشكّ الذي ينكر أصحابه العلم بثبوت شيء أو لا ثبوته.

## ٦ - مفهوم الصدق:

(ص د ق) أصل يدلُّ على قوّة في الشيء، والصدِّق: خلاف الكذب، سمّي لقوّته في نفسه؛ لأن الكذب لا قوّة له، وصادق المرأة، لأنه حقّ يلزم، والصدِّيق الدائم التصديق، والصدِّق: مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم، ومصدِّق القول حقيقته. وقد ورد الصدق في القرآن الكريم بمشتقاته في (١٢٧) منها: الصدِّق: ﴿وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ [الزمر: ٣٢]، وصدِّق بصيغة الفعل ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]. وصادق: بصيغة فاعل ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]. وصدق: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤]، وأصدق ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، والصدِّيق: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]. والصدِّيق: ﴿أَوْ صِدِّيقِكُمْ﴾ [النور: ٦١] والصدقات: ﴿فَقَدِيَّةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾

[البقرة: ١٩٦]، وَالصَّدَقَةَ وَالصَّدَقَاتِ، بصيغ: صدقاتكم، صدقاتهن، ﴿وَأَتُوا  
النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤] وغيرها.

## ٧- مفهوم الحق:

(ح ق) أصل واحد. يدل على إحكام الشيء وصحته. فالحق نقيض  
الباطل، وحق الشيء: وجب، وحقق به أي جدير، وحق الأمر حقاً وحقّةً  
وْحُقُوقاً: صحّ وثبت وصدق. وقد ورد لفظ الحق في القرآن الكريم في  
(٢٦٧) موضعاً، منها: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾  
[المؤمنون: ٧١]. وهو القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ [القصص:  
٤٨]. وهو الإسلام: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]. والعدل:  
﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقِّ﴾ [النور: ٢٥]. والتوحيد: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ  
الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ٣٧]. والصدق: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ [الأنعام: ٧٣].  
والوجوب: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] وضد الباطل: ﴿ذَلِكَ يَأْتِي  
اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَتْ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]. وهو المال:  
﴿وَلِيَسْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِيَ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. والأولى: ﴿وَتَحْنُ أَحَقُّ  
بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٢٤٧] وهو الحظ والنصيب: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾  
[المعارج: ٢٤]. والحاجة: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: ٧٩]. والبيان: ﴿قَالُوا لَنْ  
نَجِدَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١]. وهي لا إله إلا الله: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤].  
والمنجز: ﴿وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ﴾ [التوبة: ١١١]،  
والجرم: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١]. وكلها متقاربة مع معانيها  
اللغوية، فأصله المطابقة والموافقة، لهذا كانت أوجهه تدور على المعنى

الأصليّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: ٦]؛ أي صاحب الحكم والأحكام، الذي لا يزال ولا يزول، ويقال في الاعتقاد المطابق لما هو عليه ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ نَحْوِ الْيَقِينِ﴾ [النمل: ٧٩]. ويقال للفعل والقول الموافق لما يجب أن يكون عليه. ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]؛ وقوله تعالى: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُطْلَلَ الْبَاطِلَ﴾ [الأنفال: ٨] فإحقاق الحق على ضربين: إظهار الأدلة والآيات، وإكمال الشريعة.

## ٨- مفهوم اليقين:

(ي ق ن) زوال الشك، يقال: يَقِنْتُ واستَيْقَنْتُ وأَيْقَنْتُ: علمتُ وتحققتُ. وربما عبّروا عن الظنّ باليقين، وعن اليقين بالظنّ. وقد ورد لفظ اليقين في (٢٨) موضعاً على أربعة وجوه، هي: الصدق ﴿وَحِثُّكَ مِن سَبِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [النمل: ٢٢]، ومثلها ﴿وَيَا آخِرَةَ هُم مِّثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٤]. والموت: ﴿وَأَعْبُدُوا رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] والعيان: ﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا بِعَيْنِ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]. والعلم: ﴿وَمَا قَلَّلُوهُ يُقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

فاليقين في القرآن هو ما ألّفت العربيّة أن تعبّر به عن التحقق وإزالة الشكّ، والإدراك الواثق الذي لا يلتبس بؤهمٍ أو ظنٍّ أو تخمينٍ أو ارتياب. ولا يوصف الله تعالى بأنه يتيقن، لأنّ اليقين هو العلم بالشيء بعد الشك فيه؛ وذلك بعد أن تكثر الدلائل، وتتوافق فتصير سبباً لحصول اليقين، على سبيل الثقة. واليقين فوق المعرفة والدراية، يقال: "علم اليقين" ولا يقال: "معرفة اليقين" ويقال: علم اليقين، وعين اليقين، وحقّ اليقين، وبينها فروق.

والتصديق والصدق إنما يقع للشخص المتيقن، ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢] وهنا قدم الهدهد لكلامه بعلامات الصدق وتمام المعرفة، مصدرأ ونقلأ؛ فصدر كلامه بقوله: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾، فالخبر الذي أحضره الهدهد كان شاملاً لجوانبه كلها؛ حتى وصف نقله بـ"الإحاطة". ثم وصف علمه بـ"النبا" وهو الخبر خطير الشأن؛ أي إعلام بخبر مهم، كالإنذار وهو إعلام بـشئ وخطر محدد. فالنبا هو الخبر المتقل من مكان إلى آخر. ثم وصف النبا بـ"اليقين" أي الصادق، وذلك كله ليثبت صدقه ويقدم عذر غيابه.

وفي قوله: ﴿وَمَا قَلَّوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧]، إنما حكموا تخميناً ووهماً، فاليقين هو العلم الذي لا شك فيه، أو اعتقاد الشيء أنه كذا مع اعتقاد عدم خلاف ذلك، أو هو مطابقة الواقع وغير ممكن للزوال. واليقين بمعنى المعاينة والمباشرة، كما في ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ إلى ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥-٧].

## ٩ - مفهوم الكذب:

(ك ذ ب) أصل صحيح يدل على خلاف الصدق، وكذبه نسبه إلى الكذب، وله مشتقات، يقال: كذبت العين: خانها حسبها وكذب الرأي: توهم الأمر بخلاف ما هو به. وكذبتة نفسه: منتهه بغير الحق. ويأتي بمعنى الخطأ لأنه يشبهه في عدم الصواب. وإن افرقا من حيث النية والقصد.

ورد لفظ الكذب في القرآن الكريم في (٢٥١) موضعاً، على ستة أوجه، هي: النفاق: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، والقذف:

﴿وَالْحَيْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النور: ٤٧]. والرد: ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢]؛ والجحود: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]. والتكذيب: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [ق: ٥]. والافتراء: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

فالكذب هو إخبار بما لا يطابق الواقع، ويكون متعلقاً بالقول، وجاء في القرآن الكريم وصف النفاق بالكذب، فكان معنى الكذب واقعاً على الحال؛ فحالمهم من أقوالهم وأفعالهم يخبر بخلاف ما في ضمائرهم، وعكس ما يقرّ في قلوبهم، فالنفاق إظهار الخير وإبطان الشر، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، ثم وصفهم تعالى بالخداع، وبأنهم مرضى القلوب، ثم ختم ذلك بقوله: ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، فادعأؤهم الإيذان حالاً ومقالاً كان كذباً وخلافاً لواقعهم. وجاء في آية أخرى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤]، فالكاذب على الله يقول عنه بغير علم، ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

## ١٠ - مفهوم الإفك:

(أ ف ك) أصل واحد، يدل على قلب الشيء، وصرّفه عن جهته. أَفَكَ الرجل إذا كذب، والإفك الكذب، والمؤتفكات: مدائن قُلبت على قوم لوط، والمأفوك: الضعيف العقل والرأي. وقد ورد لفظ الإفك باشتقاقه في ثلاثين موضعاً من القرآن الكريم، على سبعة وجوه، هي: الكذب: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ. فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكَ قَدِيرٍ﴾ [الأحقاف: ١١]. والعبادة الباطلة: ﴿أَيْفَكَ ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصفات: ٨٦] وادعاء الولد لله - تعالى عمّا يقولون -: ﴿أَلَا

إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿[الصافات: ١٥١ - ١٥٢].  
 وقذف المحصنات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ [النور: ١١]، ووصف  
 الإفك بالبهتان ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]. والصَّرْفُ: ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ  
 مَنَ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٩]. والتقليب: ﴿وَالْمُؤَنَّفَكَةَ أَهْوَى﴾ [النجم: ٥٣]. والسحر:  
 ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥].

وقد وصف الله تعالى ادعاء الشركاء له بأنه إفك وادعاء الولد، والإفك  
 هنا قلب الحقائق الواضحة البينة، وهو أشد من الكذب، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ  
 لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فمعنى الإفك القلب والصرف عن الجهة  
 الحقيقية للكلام. فوصف ذلك القلب بأنه كذب. والبهتان هو أن يتهم  
 الآخر بما لم يفعل في غيبته مع علمه بأنه كاذب في ما قاله، وهو من أنواع  
 الكذب، والإفك أشد من الكذب، والبهتان أشد منه، فكل إفك كذب،  
 وليس كل كذب إفكاً. فالإفك هو الكذب للإضرار بالغير؛ لأن الكذب قد  
 يكون لدفع ضرر أو جلب منفعة لكن الإفك للإضرار بالغير؛ لذا اتهم الله  
 تعالى في الآيات عصبة الإفك بسوء القصد؛ إذ إنهم يبغون إشاعة الفاحشة في  
 المؤمنين. وقد وصف السحر بأنه إفك: ﴿فَأَلْفَى مَوْسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا  
 يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥].

## ١١ - مفهوم الافتراء:

الفاء والراء والحرف المعتل، تقول: أفرئته إذا أنت قَطَعْتَهُ للإفساد،  
 وفلان يَفْرِئُ الفري، إذا كان يأتي بالعجب، كأنه يَقْطَعُ الشيء قطعاً عجيباً،  
 وفراه، أفرأه، وفري الكذب: اختلقه؛ والفريّة: الكذب، وأفري الأديم قطعه

على جهة الإفساد؛ وفَرَّاه قطعة على جهة الإصلاح.

وقد ورد لفظ الافتراء في القرآن الكريم في (٦٠) موضعاً، ومن صيغته: افتراء للكذب: ﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آل عمران: ٩٤]، فالافتراء غالباً لا يكون إلا للكذب، بمعنى اختلافه مع احتمال اللفظ للكذب، لكن شرط العلم ناقص؛ لذا أضيف الكذب، فقد يكون بعضه ليس كذباً؛ أي عن جهل. ومنه افتراء الإثم: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. وافتراء القرآن: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يونس: ٣٧]، والأمر العظيم العجب: ﴿قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧]. وافتراء السحر: ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ﴾ [القصص: ٣٦]. وافتراء الإفك: ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ﴾ [سبأ: ٤٣]. وافتراء البهتان: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ﴾ [المتحنة: ١٢].

## ١٢ - مفهوم البهتان:

(ب ه ت) أصل واحد، فالبهتان: الكذب المفتري، بمعنى قال عليه ما لم يفعل، والبهت: الأخذ بغتة، والانقطاع، وبهت: دهش وتحير. وأفصح منها بُهت بالضم، وهو بمعنى أخذ بالحجة، فشَحَب لونه، يقولون: ثوب باهت، ولون باهت؛ أي شاحب. وقد ورد لفظ البهتان مع اشتقاقه في ستة مواضع، على أربعة أوجه، هي: الزنا: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ﴾ [المتحنة: ١٢]؛ والكذب: ﴿سُبْحٰنَكَ هٰذَا بُهْتٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، والمال الحرام: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢٠]. والدهشة والخسران: ﴿فَبُهْتَمَ

الَّذِي كَفَرَ ﴿البقرة: ٢٥٨﴾.

فالبهتان يشمل معاني الباطل والكذب والدهشة والحيرة. وكلّ بهتان افتراء، وليس كلّ افتراء بهتاناً. وعرفه البعض بأنه الكذب المفترى. ووصف بأنه عظيم؛ أمّا الإفك فكان تبيّانه بطلب الشهادة من أربعة شهداء. كما وصف أخذ مالٍ بغير حقّ بالبهتان والإثم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ سَبِّدَ آلَ زَوْجٍ مَّكَاثِ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ [النساء: ٢٠]. والمباهة إثارة الدهشة والحيرة بفعل هذا الباطل. أما قوله: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾، فقد كان سياق الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْتَبِي وَيُحْتَبِئُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨]. فانتقال إبراهيم عليه السلام من الحجّة الأولى إلى الثانية وترك نُصرة الأولى كان لإدراكه ضعف فهم المخاصم؛ لذا كانت الحجّة الثانية محيرة ولم يجد مجادله جواباً للرد.

### ١٣ - مفهوم السحر:

(س ح ر) أصول ثلاثة متباينة: الأول السَّحْر: وهو ما لَصِقَ بالخلتقوم والمريء من أعلى البطن، والثاني السَّحْر، وهو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال هو الخديعة. والثالث السَّحْر، وهو وقت ما قبل الصبح، فالسَّحْر: كلّ ما لَطْفَ مأخُذُه ودَقِّ، "إن من البيان لسحراً، والساحر العالم. وقد سحره: خدعة، وقد ورد لفظ السحر في (٦٢) موضعاً، على خمسة أوجه هي: العلم:

﴿ وَقَالُوا يَتَّيَهُ السَّاحِرُ أَدْعُنَا رَبَّنَا ﴾ [الزخرف: ٤٩]. والكذب: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر: ٢]. وأخذ العين: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦]. والمجنون: ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان: ٨]. والصراف عن الحق: ﴿ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٩]. فالسحر مزاولة النفوس الخبيثة لأفعال وأحوال يترتب عليها أمور خارقة للعادة يتعذر معارضتها.

#### ١٤ - مفهوم القراءة:

الأصل: "قَرَى" و"قَرَأ" القاف والراء والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدلُّ على جمع واجتماع. وإذا هُمز كان هو والأول سواء. ومنه القرآن، سُمِّي بذلك لجمعه الأحكام والقصص وغير ذلك، ومنه أقرأت المرأة، كأنها قد جمعت دمها في جوفها فلم تُرَّخه، والقِرَاء من الأضداد فيعني الطهر والحيض. ومن الباب: قَرَأه، قَرَأه وقِرَاءةً وقُرْءاناً، فهو قَارِئٌ من قَرَأةٍ وقُرْءاء وقَارِئِينَ، وصحيفة مَقْرُوءة ومَقْرُوءة ومَقْرِيَّة. وقَارَأه مُقَارَأة وقِرَاءة: درسه، وتَقَرَّأ: تَفَقَّه، وأَقْرَأه إياه: أبلغه، والقِرْءُ: الوقت، والحُمَّى، والغائب، والبعيد، والحيض، والطهر، وقوافي الشِّعر.

وقد ورد لفظ قرأ بصيغته في القرآن الكريم في حوالي (١٧) موضعاً من غير كلمة "القرآن، والقِرْء، والقِرْيَة"، وجاء لفظ القرآن في (٧٠) موضعاً. وجاء إطلاق لفظ "القرآن" على كلام الله تعالى المخصوص المنزَّل على محمد ﷺ في (٦٨) موضعاً، وجاء في موضعين بدلالته اللغويَّة بمعنى القراءة في

القيامة ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأُنصِتُ لَهُ ﴿١٨﴾ ﴾ [القيامة: ١٧، ١٨].  
 والإقراء تعليم ونقش للمقروء في قلب نبيه ﷺ، وقوله تعالى: ﴿ سَتَقَرُّنَاكَ فَلَا  
 تَنسَى ﴿٦﴾ ﴾ [الأعلى: ٦]. وتقع المعرفة لمن يقرأ اطلاعاً أو حفظاً أو تذكراً،  
 وتعتمد مرتبتها في العلم على إحاطة الشخص بما هو مكتوب، قراءة عامة أو  
 بإمعان. وبنو إسرائيل هم قراءة الكتاب، وقد علموا من قراءتهم علماً راسخاً  
 بصحة ما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ  
 يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [يونس: ٩٤].

والقراءة صَمُ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل. قال تعالى:  
 ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ٩٨]، وقال: ﴿ أَقْرَأْ  
 كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٤]، وقال: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ  
 ﴿١﴾ ﴾ [العلق: ١]. وقد حدّدت الآيات أن القراءة تكون للكتابة أو للمحفوظ.

## ١٥ - مفهوم الدراسة:

(د ر س) أصل واحد يدلّ على خفاء، فالدَّرَسُ الطريق الخفيّ،  
 ودَرَسَتْ الحنطة وغيرها في سُنبلها إذا دستها، كالطريق الذي يُدرس ويمشى  
 فيه، ومنه دَرَسْتُ القرآن وغيره، وذلك أنّ الدّارس يتتبع ما كان قرأ،  
 كالمسالك للطريق يتبعه، والكتاب يُدرّسه دَرَساً ودِرَاسَةً: قرأه. وقد ورد  
 لفظ "درس" في القرآن الكريم ست مرات بصيغة الماضي والمضارع، وكذلك  
 المصدر. درستُ العلم؛ أي: تناولت أثره بالحفظ، وذلك بمداومة القراءة،  
 قال تعالى: ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [القلم: ٣٧]؛ أي تقرأون، وكانت حجة

الدراسة أقوى من حجة القراءة؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦]؛ أي: عن قراءتهم، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِّيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥] وقيل: اسم "إدريس" مشتق من درس، لكثرة دراسته لكتاب الله تعالى.

## ١٦ - مفهوم التحصيل:

(ح ص ل) أصل واحد، وهو جمع الشيء، وسميت حوصله الطائر، لأنه يجمع فيها. يقال: حصّلت الشيء تحصيلاً، وقيل: أصل التحصيل استخراج الذهب أو الفضة من الحجر أو من تراب المعدن، والحاصل من كلّ شيء: ما بقي وثبت وذهب ما سواه، وتحصّل: تجمّع وثبت، وتحصيل الكلام ردّه إلى محموله؛ أي إلى بقية. وقد ورد التحصيل في القرآن الكريم مرة واحدة، بصيغة المبني لما لم يُسم فاعله: ﴿وَخُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [الغاشية: ١٠]؛ أي مُبَيَّن، إيذاناً بكشف المستور وإظهار المطوي المضمّر؛ وقد انتقلت دلالاته من مجرد الجمع إلى حفظ العلوم وتلقيها حتى استعمل تخصيصاً من غير قرينة لفظية.

## ١٧ - مفهوم الإحصاء:

الحاء والصاد والحرف المعتل، ثلاثة أصول: الأول الحصوص؛ وهو المنع، والثاني العدّ والإحاطة، من أحصيت الشيء، إذا عدّدته وأطقتته، والثالث شيء من أجزاء الأرض، وهو الحصى المعروف، يقال: أرض محصاة، إذا كانت ذات حصى، وأحصاه: عدّه أو حفظه، أو عقله.

ورد لفظ الإحصاء باشتقاقاته في أحد عشر موضعاً، على أربعة وجوه، هي: القدرة والطاقة: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، والعدد: ﴿فَطَلِقُوهُنَّ لِئَدَّتْهُنَّ وَأَحْصُوا أَلْعَدَّةَ﴾ [الطلاق: ١]. والكتاب: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، ومنه الحفظ: ﴿مَالٍ هَذَا أَلْكَتَبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]. فمعنى الإحصاء العدُّ والحصر والضبط والإحاطة والحفظ والكتابة، وكلها تحتفظ بالدلالة اللغوية التي نلاحظ فيها معنى الاستقصاء والاشتمال للأشياء التي نحن بصدددها. يقال: أحصيتُ كذا، وذلك من لفظ الحِصا، من حيث إنهم كانوا يعتمدونه بالعدِّ، قال تعالى: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

## ١٨ - مفهوم التقدير:

(ق د ر) أصل واحد يدلُّ على مبلغ الشيء وكُنْهه ونهايته، وَقَدَّرْتُ الشيء أَقْدَرُهُ وَأَقْدَرُهُ من التقدير، وَالْقَدْرُ هو قضاء الله تعالى، وَقُدْرَةُ الله تعالى على خليفته: إيتاؤهم بالمبلغ الذي يشاؤه ويريده، والتقدير تدبير الأمر وقياس الشيء بالشيء، والتفكيرُ في تسوية أمر، والتهيئة والتوقيت.

وقد ورد اللفظ بصيغ عدَّة في (١٤٦) موضعاً، على ستة أوجه، منها: العظمة: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] والقتر: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]، والقوة: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّنْ يَفْعَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٥]، والتصوير: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] يعني في الأرحام. ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [النحل: ١٢] إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ [المرسلات: ٢١، ٢٢]. ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ

لِنَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴿ يونس: ٥٥﴾؛ وعلم: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [المزمل: ٢٠]؛ والتقدير: التدبير المحكم؛ قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّحَابِ﴾ [سبأ: ١١]؛ والتقدير في حقنا يرجع إلى الظنّ والحسبان، وفي حقه سبحانه هو العلم به والإخبار عنه؛ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. فالقَدَرُ والتقدير تَبْيِينُ كَمِيَةِ الشَّيْءِ، يقال: قَدَرْتُهُ وَقَدَّرْتُهُ وَقَدَّرَهُ بِالتَّشْدِيدِ، ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

## ١٩ - مفهوم البحث:

(ب ح ث) أصل واحد، يدلّ على إثارة الشيء. والْبَحْثُ طلبك شيئاً في الثُّراب، والبحث أن تسأل عن شيء، تقول: استَبَحِثَ عن هذا الأمر، وْبَحَثْتُ عن فلان بَحْثًا. والْبَحْثُ لا يكون إلا باليد، وبالرَّجْل: الفحص، يقال: بَحَثَ عن الخبر؛ أي طلب عِلْمَهُ، وَتَبَحَّثَ: أي فَتَشَ . والْبَحْثُ: بذل الجهد في موضوع ما، ثمَّ خَصَّصَتْ دَلَالَةَ البحث بالكشف والتقصي في العلوم؛ لأنَّ البحث يظهر الخفيّ ويبدد المستتر، وللبحث أجزاء ثلاثة مرتبة بعضها على بعض، هي: المبادئ، والأواسط، والمقاطع، وهي المقدمات التي تنتهي الأدلّة إليها من الضرورات والمسلمات، مثل الدّور والتسلل. وسورة براءة تسمّى "البُّحُوث"؛ لأنها بحثت عن المنافقين وأسرارهم.

## ٢٠ - مفهوم الكشف:

(ك ش ف) أصل صحيح يدلّ على سَرَوْ الشيء عن الشيء، كالثوب يُسْرَى عن البدن. والكشَف: دائرة في فُصُاصِ النَّاصِيَةِ، كأنَّ بعض ذلك

الشَّعْرُ يَنْكَشِفُ عَنْ مَنْبِتِهِ. يقال: تَكَشَّفَ البرق إذا ظهر وملاً السماء، والكاشِفةُ: الإظهار. وقد ورد لفظ الكشف في القرآن الكريم في عشرين موضعاً، قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ﴿٢٢﴾ [ق: ٢٢]. فالكشف: رفع الشيء عما يُواريه ويغطيه، ومنه الكاشفة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ﴿٥٨﴾ [النجم: ٥٨]. بمعنى الانكشاف، وتكشف بإقامة الله تعالى إياها، ويقال عن زوال الغم انكشافه: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، وقوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١].

## ٢١- مفهوم النقيب:

(ن ق ب) أصل صحيح يدلُّ على فتح في شيء، ونَقَبَ الحائط ينقُبُه نَقْبًا. ونَقَبُوا في البلاد: ساروا في النُّقُوب؛ أي الطريق، طلباً للنجاة. والنقيب: المزمار، والنَّقِيبَةُ: النفس، والعقل، والمشورة، ونفاذ الرأي، والطبيعة، والعظيمة الضرع من النوق. ونَقَّبَ عن الأخبار: بحث عنها، أو أخبر بها.

ورد لفظ نقب بصيغته في ثلاثة مواضع على ثلاثة أوجه، هي: الأمين والكفيل: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢]. والطواف: ﴿فَنَقَّبُوا فِي آلِئِدِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ ﴿٣١﴾ [ق: ٣٦]. والخرق: ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ ﴿٧﴾ [الكهف: ٩٧]. فالنقيب هو الذي ينقُب عن أحوال القوم، وجاء من مادته الفعل "نَقَّبُوا" في قوله تعالى: ﴿فَنَقَّبُوا فِي آلِئِدِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ ﴿٣١﴾ [ق: ٣٦]؛ أي بحثوا وطافوا بالبلاد، ورأوا فيها من الآثار. فأصل اللفظ من الحفر، ثم نقلت الدلالة إلى البحث، فسمي العالم بالنقاب، وكلَّ رجل فطن ذكيَّ الفهم

هو نقاب، والنقيب دون العريف الذي يعرف دخيلة القوم ومناقبهم، ولأن النقب يكون للوصول إلى الجوف سمّيت النفس النقية والعقل المشورة؛ لأنها كلها تبحث في قلب الشيء ولبه.

## ٢٢ - مفهوم البعثة:

العين زائدة وإنما هو في الباء والثاء والراء، وهي بمعنى نظر وفتش. وبعثر الشيء: فرّقه وبّدده، وقلب بعضه على بعض، واستخرجه فكشفه وأثار ما فيه، والبعثرة غثيان النفس، وهي لم ترد في القرآن إلا في موضعين: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾﴾ [الانفطار: ٤] وقوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿١﴾﴾ [العاديات: ٩]، فالبعثرة هنا ليست مجرد أصل لغوي للإثارة والإخراج، ولكن فيه دلالة على معنى الانتقال السريع من بعثرة ما في القبور إلى الحساب العسير المحصّل لما في الصدور وتعلم به كلّ نفس وجاء الفعل في الآيتين مبنياً للمجهول صرفاً للذهن إلى الحدث نفسه. وهنا نكتة حيث ورد في الآية لفظ "ما" ولم يقل "مَنْ" في القبور، وذلك أن ما في الأرض من غير المكلفين أكثر فأخرج الكلام على الأغلب، أو يُقال: إنهم حال ما يبعثون لا يكونون أحياء عقلاء، بل بعد البعث يصيرون كذلك، وهو الأصل اللغوي للبعثرة.

## ٢٣ - مفهوم الكتابة:

(ك ت ب) أصل صحيح واحد يدلّ على جمع شيء إلى شيء، يقال: كَتَبْتُ الْكِتَابَ أَكْتُبُهُ كِتَابًا. والكِتَابُ هو الفرض، وكتبه كِتَابًا وكتاباً: وهو ما يكتب فيه. وقد ورد في القرآن الكريم (٣١٩) موضعاً، على خمسة وجوه،

هي: **الفرض**: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]، **والقضاء**: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]، **والجعل**: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. **والأمر**: ﴿يَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]. **والكتابة**: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩].

والكتابة في المعرفة هي ضمُّ الحروف بعضها إلى بعض بالخط، والأصل فيها النظم بالخط، لكن يستعار كل واحد للآخر، ولهذا سُمِّي كلامُ الله تعالى كتاباً، وإن لم يكتب ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] ويُعبَّر عن الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض والعزم بالكتابة.

ووجه ذلك أن الشيء يراد، ثم يقال، ثم يكتب، فالإرادة مبدأ والكتابة منتهى. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ أي: جمع في قلوبهم حتى آمنوا بما يجب عليهم، ومنه أطلق على اسم الكلام المجموع في صك، قال تعالى: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وأطلق عرفاً على كتاب الله تعالى المنزل على أنبيائه كالتوراة والإنجيل والقرآن، قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَزْرِيحَا﴾ [الأحقاف: ١٢]. وللكتاب وجوه أخرى تتجاوز الدلالة اللغوية، منها الحساب ﴿كُلُّ أُمَّةٍ نَدَعِي إِلَى كِتَابِهَا﴾ [الجاثية: ٢٨]، ومثله ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]. ففيه إشارة إلى أن أعمالهم أثبتت في كتاب، وضمَّ بعضها إلى بعض ليحاسب الإنسان على كل ما كسب.

وسمّي القرآن الكريم بالكتاب ﴿كُنْتُ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]. وكذا سمّي التوراة والإنجيل كتاباً ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَمَا هُوَ مِنْ أَلْكِتَابٍ﴾ [آل عمران: ٧٨]؛ وسمّي الأجل كتاباً؛ لأنه مكتوب محدد ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبٍ إِلَّا وَهَذَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، وعدة المرأة ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَلْكِتَابُ أَجَلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. والفرض المكتوب على الناس ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]. فالكتاب علم لطائفة من الألفاظ دالة على مسائل مخصوصة من جنسها، تحتها في الغالب إمّا أبواب دالة على أنواع منها، أو فصول دالة على الأصناف، وإمّا غيرها، وقد يستعمل كل من الأبواب والفصول مكان الآخر، والكل علم جنس، ولو كان المراد بيان الأنواع يُختار الكتاب على الباب. وقد يطلق الكتاب على الإملاء. وعلى الإنشاء، وشاع استعمال الكتاب في الحروف والكلمات المجموعة إمّا في اللفظ، وإمّا في الخط بجعل المصدر بمعنى المفعول، وشاع استعمال الكتابة بمعنى تصوير اللفظ بحروف هجائية؛ لأن فيها جمع الحروف وأشكالها.

## ٢٤ - مفهوم الزُّبُر:

(ز ب ر) أصلان: أحدهما يدلُّ على إحكام الشيء وتوثيقه، يقال: زَبَرْتُ البِئْرَ، إذا طويتها بالحجارة، ومنه زُبْرَةُ الحديد، والجمع زُبُر. والبئر المَزْبُورَةُ، ومنه الزُّبَيْر وهي الداهية، وما لفلان زَبْرٌ: أي ما له عقل ولا تماسك. والأصل الآخر: على القراءة والكتابة، زَبَرْتُ الكتاب، إذا كتبتَه، ومنه الزُّبُور. وفي القاموس: الزُّبْرُ: القويّ الشديد، والمِزْبُرُ القلم، والزُّبُور

الكتاب بمعنى المَرْبُور؛ أي المكتوب.

ورد لفظ الزبر باشتقاقاته في تسعة مواضع على خمسة أوجه، هي:

الكتب: ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، والكتاب المنزَّل على داود عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]. واللوح المحفوظ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]. والقِطْع: الزُّبْرُ في قوله تعالى: ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]. وحديث الأولين: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ [النحل: ٤٤]. فالزُّبْرُ الكتابة الغليظة، والزُّبُورُ الكتاب المسطور، وقيل: الزبور كتاب الله الذي يخلو من الأحكام الشرعيَّة، ويقتصر على الحكمة العقليَّة، قال تعالى: ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، واجتماع لفظ الزبر مع الكتاب المنير دلَّ على تفاوت بينهما، وقيل: الزُّبُورُ بمعنى الزبور؛ أي المكتوب، والزُّبْرَةُ: القطعة العظيمة من الحديد، واستعير للمجزأ ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]؛ أي صاروا أحزاباً.

## ٢٥ - مفهوم السِّفْرِ:

(س ف ر) أصل واحد، يدلُّ على الانكشاف والجلء، وسمي السِّفْرُ بذلك لأنَّ الناس ينكشفون عن أماكنهم. والسِّفْرُ: الكتابة، لأنها تُسْفِرُ عَمَّا يُحتاج إليه من الشيء المكتوب، والسِّفْرُ الكتاب الكبير، أو جزء من أجزاء التوراة، جمعه أسفار، والسِّفْرَةُ: الكتَّبة، ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥].

ورد لفظ سفر باشتقاقاتها في القرآن في اثني عشر موضعاً على خمسة أوجه، هي: القرئ والمنازل: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩]. والكتب:

﴿كَمَثَلِ الْجَمْرِ يَحْتَلُ أَشْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، والإشراق: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ ﴿٣٨﴾ [عبس: ٣٨]. والانكشاف: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾ ﴿٢٤﴾ [المدثر: ٣٤]. والانتقال من مكان إلى آخر: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

ما يهمننا هنا هو ما يدلّ على "الكتب" وهو السّفَر، كما ورد بصيغة السّفَرَة: الكتبة مفردها، وهم الملائكة الذين يَسْفِرُونَ بين الله ورسله بالوحي، السفراء بين الله وبين عباده، وسفير القوم هو الذي يسعى بينهم بالصلح، وهذه الوجوه لا اختلاف فيها، وهذه المادة لا تخرج عن أصلها اللغويّ فيما ذكرنا؛ لأنّ دلالة السّفَر والإسفار على الكشف والإبانة عن الشيء وإظهاره ملحوظة في الآيات التي مرّت.

## ٢٦ - مفهوم العهد:

(ع هـ) أصل هذا الباب عندنا دال على معنى واحد. عهد الرجل يعهد عهداً، وهو من الوصيّة، لأنّ العهد مما ينبغي الاحتفاظ به، وجمعه عهود، والعهد هو المنزل الذي لا يزال القوم يرجعون إليه. والمعهد مثل ذلك، وجمعه معاهد. ومن ذلك المعاهدة والتعاهد والتعهد وهو ما يحتفظ به لهم. والعهدة: الكتاب الذي يستوثق به في البيعات، ومن معاني العهد: رعاية الحرمة، الأمان، الذمة، الالتقاء، المعرفة. والعهدة: الضعف في الخط وفي العقل. ويقال: عهدته على فلان؛ أي ما أدرك فيه من دركٍ فإصلاحه عليه، والمعهود هو الذي عهد به وعرف.

ورد لفظ العهد بصيغة واشتقاقاته في ستة وأربعين موضعاً على ثمانية أوجه، هي: الاستحفاظ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾

[يس: ٦٠] والنَّبْوَةُ: ﴿بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]؛ أي بما أعلمك من النبوة، والوصية: ﴿وَعَاهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]. واليمين: ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ [٨] ﴿المؤمنون: ٨﴾، [المعارج: ٣٢]. ورعاية الحرمة: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]. والميثاق: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١] والضمان: ﴿قُلْ أَتَّخِذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ [البقرة: ٨٠]، والنذرة والإلزام: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ، وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]. فالعهد ورد في القرآن بمعنى الأمان واليمين والموثق والذمة والحفاظ والوصية، والمعرفة فيه تقع على سبيل الوصية، فالعهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال.

## ٢٧- مفهوم الكلام:

(ك ل م) أصلان: أحدهما يدل على نطق مُفهم، والآخر على جراح. فالأول: الكلام. تقول: كَلَّمْتُهُ، أَكَلَّمْتُهُ تَكَلِّمًا، ثم يتوسعون ويجعلون اللفظة الواحدة المفهمة كَلِمَةً. والقِصَّة والقَصيدة بطولها كلمة، ويجمعونها كلمات وكَلِمًا. والآخر: الكَلْم، وهو الجُرْح، والكِلَام: الجراحات، جمعه كُلوْم. والكُلَام: الأرض الغليظة، والكَلَام: هو القول أو ما كان مكتفياً بنفسه.

ورد لفظ كلم بصيغته (٧٥) مرّة في القرآن الكريم بصيغة الفعل بتصاريفه، وبصيغة اسم المصدر، الكَلْمُ التأثير المُدْرِك بإحدى الحاستين، الكلام مُدْرِك بحاسة السَّمْع، والكَلْمُ مدرك بحاسة البصر، وقد ورد في

القرآن الكريم على خمسة أوجه، هي: كلام الله العام: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِيْبٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ [البقرة: ٧٥]. ومنها القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦] وكلام الله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وكلام المخلوقين: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهَدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]. وكلام الموتى مما لا يسمعه بنو آدم: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. فالكلام يقع على الألفاظ المنظومة، كما في قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]، وفي ﴿فَلَقَّيْنِ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ قُنَابٍ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْوَأْوَابُ الرَّحِيمِ﴾ [البقرة: ٣٧]، قيل: هي ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ وفي قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]، قيل: الأشياء التي امتحن الله إبراهيم بها من ذبح ولده والختان وغيرها.

وعيسى هو كلمة الله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، لكونه موجوداً "بكن"، وقيل: سُمِّيَ به لما حَصَّه الله تعالى به في صغره؛ حيث قال وهو في مهده ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي الْكَتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣] جمع الكلمة، وقيل: إنهم كانوا يبدلون الألفاظ ويغيرونها، وقيل: إنه كان من جهة المعنى؛ وهو جمل على غير ما قصد به واقتضاه، وهذا أمثل القولين، فإن اللفظ إذا تداولته الألسنة واشتهر يصعب تبديله. ولفظ "كلمة" لا يوجد في لغة

العرب إلا اسماً لجملة تامة، اسمية أم فعلية، كقوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، ومثل هذا كثير في كلام العرب، أمّا تسمية الاسم وحده "كلمة"، والفعل وحده كلمة، والحرف كلمة، فهذا اصطلاح محض لبعض النحاة وليس هذا من لغة العرب أصلاً، وإنما تسمي العرب هذه المفردات "حروفاً" والكلم عرفاً هو ما خرج من الفم، إن لم يشمل على حرف فهو صوت، وإن اشتمل ولم يفد معنى فهو لفظ، وإن أفاد معنى فقول، فإن كان مفرداً فكلمة، أو مركباً من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة فجملة، أو أفاد ذلك فكلام، أو من ثلاثة فكلم. والكلام كل كلام مستقل إن زدت عليه شيئاً غير معقود بغيره ولا مقتضى لسواه، وكلام النفس ما يحصل في النفس من حيث يدلّ عليه بعبارة أو إشارة أو كتابة، سواء كان: علماً، أو إرادة، أو إذعاناً، أو خبراً، أو استخباراً، أو غير ذلك.

## ٢٨ - مفهوم القول:

(ق و ل) أصل واحد صحيح، يقال كلمه، وهو القول، من النطق، قال يقول قولاً، وهو الكلام أو كل لفظ مدلّ به اللسان تاماً أو ناقصاً. وجمعه أقوال، وجمع الجمع أقاويل. والقول في الخير والشرّ، والقبل والقال والقالة في الشرّ. فهو قائل وقائل وقؤول. ويأتي بمعنى: تكلم، وضرب، وغلب، ومات، ومال، واستراح، وأقبل. ويُعبّر بها عن التهيؤ للأفعال والاستعداد لها. يقال: قال فأكل، وقال فتكلم، ونحوه. والقال: الابتداء، والقبل: الجواب. وتقول عليه: كذب عليه، وقاؤه في أمره وتقاؤلاً: تفاوضاً. وقد ورد لفظ قول باشتقاقه وصيغه في (١٧٢٢) موضعاً في القرآن الكريم، لم

نجد لها وجوهاً في مظاهرها. والقول يستعمل على أوجه أظهرها: أن يكون للمركب من الحروف المُبَرَز بالنُّطق مفرداً كان أو جملة، وهذا في القرآن كثير. ويقال للمُتَّصِر في النفس: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [المجادلة: ٨]. والكذب: وهو التَّقْوَل والأَقَاوِيل ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤]. والقول قد يخالف الاعتقاد والفعل، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦].

## ٢٩ - مفهوم النطق:

(ن ط ق) أصلان صحيحان: أحدهما كلام أو ما أشبهه، والآخر جنس من اللباس، الأول: المنطق، نَطَقَ يَنْطِقُ نُطْقًا، والآخر: النَّطَاق: إزار فيه تِكَّة. ونطق نُطُوقًا: تكلم بصوت وحروف تُعرف بها المعاني. وقد ورد لفظ النطق اثنتي عشرة مرة، على وجهين: الأصوات الصادرة عن اللسان: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [الصفات: ٩٢]. والمكتوب: ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُوَ لَا يُظْمَنُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٢]. فالنطق هو تعرّف الأصوات المقطّعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان، ولا يكاد يقال إلا للإنسان، فيُراد بالناطق ما له صوت، وبالصامت ما ليس له صوت، ولا يقال للحيوان ناطقاً إلا مقيداً، وعلى طريق التشبيه، أمّا في الآية ﴿وَقَالَ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمًا مِّنطِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦]، سمى الله تعالى أصوات الطير نطقاً اعتباراً بسليمان؛ حيث كان يفقه ما تقول كما كان مع الهدهد، وهذا له وحده. فمن فهم من شيء معنى فذلك الشيء بالإضافة إليه ناطق، وإن كان صامتاً، وبالإضافة إلى من لا يفهم عنه صامت، وإن كان ناطقاً، وقوله: ﴿هَذَا كَتَبْنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجنّة: ٢٩]؛ فإنّ الكتاب ناطق، لكن نطقه

تدرکه العين، كما أن الكلام كتاب، لكن يدركه السمع، فالكتاب يشهد على الناس، فيتذكروا ما عملوا. فالمكتوب شهادة له أو عليه، ناطقة بما وقع سلفاً. فالنطق كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان أم مركباً، وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه أو التتبع.

### ٣٠- مفهوم اللسان:

(ل س ن) أصل صحيح واحد، يدل على طول لطيف غير بائن في عضو أو غيره. من ذلك اللسان معروف، والجمع اللسن، فإذا كثر فهي الألسنة. وقد ورد لفظ اللسان أربعاً وعشرين مرة في القرآن الكريم على أربعة أوجه، هي: اللغة: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. والدعاء: ﴿لُعَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٨]. والجارحة: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّبِعَ بِهٖ﴾ [القيامة: ١٦] والثناء: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]. وأصل اللسان الجارحة وقوتها ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧] فالعقدة لم تكن في الجارحة، وإنما كانت في قوته التي هي النطق به، ولكل قوم لسان؛ أي لغة، ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وقوله: ﴿وَأَخْتَلِفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]، إشارة إلى اختلاف اللغات والنعجات، فلكل إنسان نعمة ونبرة خاصة به يميّزها من يسمعه، والمراد هنا القوة النطقية القائمة بالجارحة لا الجارحة نفسها. وقد وصف اللسان في القرآن بصفات، منها: الصدق ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [مريم: ٥٠]، والبيان ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، والفصاحة ﴿وَأَخِي هُرُوتٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي﴾

لِسَاءًا ﴿ [القصص: ٣٤]، والحِدة ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ لُغُوفٌ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ﴿ [الأحزاب: ١٩]، والكذب ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴿ [النحل: ١١٦]، واللي ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكَذِبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ أَلْكَاتِبٍ ﴿ [آل عمران: ٧٨].

### ٣١- مفهوم البكم:

(ب ك م) أصل واحد وهو الخرس. قال الخليل: الأَبْكُمْ الأخرس الذي لا يتكلم، وإذا امتنع من الكلام جهلاً أو تعمداً يقال: بَكَمَ عن الكلام. ويقال للذي لا يُفصح، والأبكم في التفسير الذي ولد أخرس. والبكم قد يكون مع عِيٍّ وبَلَه، أو أن يولد لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر.

ورد لفظ البكم في القرآن الكريم ست مرات، جُمع فيها مع الصمم، كقوله تعالى: ﴿ صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ [البقرة: ١٨] و﴿ صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٧١﴾ [البقرة: ٧١] والبكم هنا ليس تعطل عن الكلام أصلاً، إنما هو تعطل عن الكلام الحق، وهذا التعطيل ليس للعلّة، إنّما للغاية من خلق القدرة على الكلام، أمّا الجمع بين الصم والبكم فهو للدلالة على تعطل العقل عن دوره في إدراك الحق أو تبليغه، فكل ما في القرآن من ذكر البكم المراد الخرس عن الكلام بالإيمان إلا ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبِكْمًا وَصُمًّا ﴿ [الإسراء: ٩٧]، و﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴿ [النحل: ٧٦].

## ٣٢- مفهوم الحديث:

(ح د ث) أصل واحد، وهو حدوث الشيء وكونه بعد أن لم يكن، ومنه الكلام يحدث منه الشيء بعد الشيء. ورجل حدث حسن الحديث، والحديث: الجديد، والحديث: يأتي على القليل والكثير. والحديث هو ما ورد عن النبي الكريم ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

ورد لفظ حدث باشتقاقاته في (٣٦) موضعاً على خمسة أوجه، هي: الخبر: ﴿قَالُوا اتَّخَذُواهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]، والقول: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [٨٧] [النساء: ٨٧]، والقرآن: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [٢١] [الطور: ٣٤]، والقصاص: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ [الزمر: ٢٣]. والعبرة: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [سبا: ١٩]. فالحدث هو الخبر والقول، وكل ما يبلغ الإنسان من جهة السَّمْع والوحي في يقظته أو منامه، وأطلق على القرآن والقصة والعبرة وتعبير الرؤيا. والتحديث إخبارٌ عما يُعرف سواء كانت المعرفة حسية أم معنوية، ولا يكون الحديث إلا عن سابق علم أو معرفة. ومنه: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ [التحریم: ٣]، ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١]؛ وسمي القرآن حديثاً ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ [النجم: ٥٩]، وقال: ﴿فَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [٧٨] [النساء: ٧٨]. أمّا قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [سبا: ١٩]؛ أي أخباراً يُتحدثُ بها ويتمثل بهم ليعتبر السامع.

## ٣٣- مفهوم الخبر:

(خ ب ر) أصلان: الأول العلم بالشيء، تقول: لي بفلان خبرٌ وخبرٌ، والله تعالى الخبير؛ أي العالم بكل شيء. والثاني: يدل على لين ورخاوة وغُزْر.

والخَبْرَاء، هي الأرض اللينة. والخبير: الأكار، لأنه يصلح الأرض ويُدمِّثها ويلينها، وعلى هذا يجري هذا الباب كُلُّه، ويقال رجل خَابِرٌ وخَبِيرٌ وخَبِرٌ: عالم به. والخِبْرُ والخِبْرَةُ والمُخْبِرَةُ والمُخْبِرَةُ العلم بالشيء، والاستِخْبَارُ السؤال عن الخبر وكذا التَخْبِرُ.

وقد ورد لفظ الخبر بصيغته في القرآن الكريم (٥٢) موضعاً، على صيغة المفرد والجمع، وكلها تدلُّ على العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر، فجاء مفرداً في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [النمل: ٧] وقوله: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [القصص: ٢٩]. وجاء بالجمع في ثلاثة مواضع: ﴿قَدْ بَيَّأْنَا اللَّهُ مِنْ آخِبَارِكُمْ﴾ [التوبة: ٩٤]، ﴿وَبَلَّغُوا آخِبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٤٧]، ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، كما ورد بصيغة خَبْرٍ -بالضم- وهو العلم بالشيء مع بيانه، وقيل معرفة بواطن الأمور، وجاء اللفظ في الكهف في موضعين ﴿وَكَيْفَ نَصَبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨]. ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١].

وجاء بصيغة الخبير في القرآن الكريم في (٤٥) موضعاً، وهو من أسماء الله تعالى، العالم بما كان، وبما يكون، العالم ببواطن الأمور، ولم يأت لفظه في القرآن إلا مسنداً إلى الله تعالى، أو اسماً من أسمائه الحسنی، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]. وقرن اللفظ بالحكمة ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وباللطيف ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣]، وبالعلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، والبصير ﴿إِنَّ اللَّهَ بَعِيدٌ لَّخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١]. والخبر أعم من النبأ، وخبرت الأمر: عرفت حقيقته.

والتخبر والاستخبار، ويتضح معنى الخبير من قولهم "على الخير سقطت"، وأبلغ منه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٤]. حيث حصر معرفة النبأ بالخبير به، ذلك أنّ الخبرة معرفة يتوصّل إليها بطريق التجربة، فكأن غزارة المعرفة مأخوذة من ناقة خيرة: إذا كانت غزيرة اللبن.

### ٣٤- مفهوم البلاغ:

(ب ل غ) أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء، والبلاغ: الكفاية، والإبلاغ والتبليغ هما: الايصال. والبلاغات: الوثنيات، والتبليغ مثل الإبلاغ، غير أنه يلاحظ فيه الكثرة في المبلّغ.

ورد لفظ بلغ باشتقاقاته في سبعة وسبعين موضعاً، في خمسة وعشرين موضعاً منها، أفادت إيصال المعرفة بصيغ، منها: بَلَّغْتَ، وأبلغكم، يبلغون، بلاغ. فالبلاغ وصول الأمر زماناً كان أم مكاناً، حسيّاً أم معنوياً. ويقال: بَلَّغْتُهُ الخبر تبليغاً، وأبلغته، بمعنى أوصلته إليه، وكلّ ما جاء في القرآن مُعَدَّئِي بالهمز والتضعيف فهو بهذا المعنى. وهو على وجوه، ورد منها عشر مرات في تبليغ الرسالة الإلهية، ﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، ومنه الكفاية: ﴿إِنَّ فِي هَذَا بَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدٍ﴾ ﴿١٦﴾ [الأنبياء: ١٠٦]، وإيصال الشخص إلى مكان: ﴿ثُمَّ أَلْبِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦]، والتبليغ: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [آل عمران: ٢٠]. وغالب ما ورد مع البلاغ هو وصفه بالمبين؛ لأنّ الإبانة والتبيين حجة على المبلّغ. وقد انصرف مدلول البلاغ إلى معنى الكفاية في غير تلك المواضع، وهو لا يخالف أصله الدالّ على الانتهاء إلى أقصى المقصد، والمتهى مكاناً كان أم زماناً، فمن الانتهاء ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ

حَكَمًا وَعِلْمًا ﴿ [يوسف: ٢٢]. والبلاغ بمعنى التبليغ في نحو قوله تعالى: ﴿ هَذَا بَلَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]. والبلاغ بمعنى الكفاية نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَذَا بَلَاغًا لِّقَوْمٍ عٰكِفِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٦]، ويقال: بلغته الخبر، وأبلغته مثله، وبلغته أكثر.

### ٣٥- مفهوم البشري:

من بَشَرَ، (ب ش ر) أصل واحد: ظهور الشيء مع حُسنٍ وجمالٍ، يقال: بَشَّرْتُ فلاناً أبشَّره تبشيراً، وذلك يكون بالخير. وربما حُجِل عليه غيره من الشر، وأظنَّ ذلك جنساً من التَّبكيث. وإذا أُطلقَ فالبشارة بالخير، والندارة بغيره، والتباشير والبشري، أوائل كلِّ شيء، والبواكر من النخل. وما يَسُرُّ. وقد ورد لفظ بشر باشتقاقاته في مائة وثلاثة وعشرين موضعاً، على خمسة أوجه: الخبر السار: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا يُبَشِّرُونَ ﴾ [الحجر: ٥٤]، ﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ [الحجر: ٥٥]، والجماع: ﴿ وَلَا تُبَشِّرْهُم بِوَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ فِي الْمَسْجِدِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] والغيث: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ ﴾ [الروم: ٤٦]؛ والمبلغ بالخير: ﴿ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ [المائدة: ١٩]، ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [البقرة: ١١٩]. والناس: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ [المائدة: ١٨].

وقد عبَّرَ عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور الشَّعر على جلده، بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر. واستوى في لفظ البَشَر الواحد والجمع، والمباشرة الإفضاء بالبشرتين، وكني بها عن الجماع، وأبشَّرت الرجل وبشَّرتُه أخبرته بسارٍ بسَطَ بشرةً وجهه، ذلك أنَّ النفس إذا سرت

انتشر الدَّم فيها انتشار الماء في الشجر. ويُقال للخبر السَّارِ البِشَارَةُ والبُشْرَى. أما قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٦١﴾ [آل عمران: ٢١]، فاستعارة ذلك تنبيه للكافرين والمنافقين على أنَّ أسْرَ ما يسمعونه الخبر بما ينالهم من العذاب و﴿يُنزَلْنَ مِنَ الْقَوَمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ﴾ [النحل: ٥٩].

### ٣٦- مفهوم النصح:

(ن ص ح) أصلٌ يدلُّ على ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما. أصل ذلك النَّاصِح: الخياط، والنَّصَاح: الخيط يُخَاطُ به، ومنه النَّصْحُ والنَّصِيحَةُ: خلاف الغش ونَصَحْتُهُ أَنْصَحَهُ. والتوبة النَّصُوح كأنها صحيحة ليس فيها خَرْق ولا تُلْمَةٌ، ويقال أَنْصَحْتُ الإبل، إذا أرويتها فَصَحَّتْ؛ أي رويت، ويقال: نَصَحَهُ، نُصِحًا، نَصَاحَةً، وهو ناصِح، نَصِيحٌ من نَصَحَ، نُصَّحَ، والنَّصَاح، والاسم: النَّصِيحَةُ، ونصح تأتي بمعنى: خَلَصَ، وخاط، وروى، ولم يُغش. والنَّصِيحُ هو النَّاصِح، والقوم نُصحاء، ورجل ناصح الجيب؛ أي نقي القلب، فالنَّصَح هو الخُلُوص والصدق والإتقان والنسج والنَّاصِح الواعظ والخياط.

ورد لفظ نصح باشتقاقته وصيغته في (١٣) موضعاً في القرآن الكريم ولم تخرج عن دلالتها اللغوية، وهي على وجهين: الواعظ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبي وَأُنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾ ﴿٧١﴾ [الأعراف: ٧٩]. الخلوص: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]؛ أي خالصة صادقة. فلم ترد بمعناها الأصلي، بل جاءت الأوجه بالحقيقة المتعارف عليها، وهي النصيحة بمعنى التنبيه والتذكير برفق، فهي كالإنذار، ويكون النصح بالإرشاد، ولا يكون إلا في الخير المراد للمنصوح،

بأن يُنبه إليه من غير إحراج ولا تشهير مع ذكر الحجج والبراهين على صدق الناصح وخير النصيحة. فالنصيحة كلمة جامعة لحيازة الحظ المنصوح له. ببذل المودة في المشورة.

### ٣٧- مفهوم القصص:

من قَصَّ، (ق ص) أصلٌ صحيح يدلُّ على تتبّع الشيء من ذلك قولهم اقتصصت الأثر إذا تتبعتّه، ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح وذلك أنه يُفعل به مثل فعله بالأول، فكأنه اقتصّ أثره، ومن الباب القصة والقصص كلّ ذلك يُتَّبَع، وقص الخبر: أعلمه، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

ورد لفظ قصّ بصيغته في ثلاثين موضعاً، على سبعة أوجه، هي: التسمية: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]. والقراءة: ﴿فَأَقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٧٦) [الأعراف: ١٧٦]. والبيان: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٧٦) [النمل: ٧٦]. والطلب: تتبع الأثر ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (٦٤) [الكهف: ٦٤]. والخبر: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ [القصص: ٢٥]. والوحي: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ [طه: ٩٩]. وحدّ القتل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]. فالقصص هي الأخبار المتتابعة؛ وقد بين الله تعالى شروطها كي تكون مصدراً للمعرفة، كأن تكون عن علم، وأن تكون بالحقّ والحسن، وتكون الغاية منها العبرة وتثبيت الفؤاد، فقال تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ (٧) [الأعراف: ٧]، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ

الْفَصِّصِ ﴿ [يوسف: ٣]، ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنثِثُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴿ [هود: ١٢٠]، ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿ [يوسف: ١١١].

### ٣٨- مفهوم الجلو:

الجيم واللام والحرف المعتل أصل واحد، وقياس مطرد، وهو انكشاف الشيء وبروزه، يقال: جَلَوْتُ العروس جَلْوَةً وَجَلَاءً. وقال الكسائي: السماء جَلْوَاءٌ؛ أي صحوة. ومن الباب: جلا القوم عن منازلهم جَلَاءً وَأَجْلَيْتُهُمْ إِجْلَاءً، ويقال: جلا السيف: صقله، والهَمَّ عنه: أذهبه، والأمر: كشفه.

ورد لفظ الجلاء باشتقاقاته في خمسة مواضع على وجهين: الظهور والانكشاف: ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾﴾ [الشمس: ٣]، ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّهَا لَوْفِيهَا إِلَّا هُوَ ﴿ [الأعراف: ١٨٧]. ومغادرة الديار: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهم فِي الدُّنْيَا ﴿ [الحشر: ٣]. فالجلاء هو الوضوح والشهرة، وأمر جلي أمر بين، وخبر يقين. وجاء من مادته في القرآن الكريم ما يُناسب المدلول المعجمي تماماً في إشراق النهار وتجلي النور الإلهي ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴿ [الأعراف: ١٤٣].

### ٣٩- مفهوم الإنذار:

(ن ذ ر) من نذر، كلمة تدل على تخويف أو تخوف، والإنذار: الإبلاغ، ولا يكاد يكون إلا في التخويف، أُنذَرَهُ بِالْأمرِ إِندَاراً وَنَذَرًا وَنَذِيرًا: أعلمه وحذره وخوفه، والنذير: الإنذار.

ورد لفظ "نذر" باشتقاقاته في مائة وثلاثين موضعاً، على خمسة أوجه، هي: التحذير: ﴿أَنْ أُنذِرَ النَّاسَ ﴿ [يونس: ٢]، ﴿وَأَذْكُرْ أَنَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرْتَهُمْ بِالْحَقَافِ

وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ ﴿ [الأحقاف: ٢١]، ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ  
وَمُودٍ ﴿ [فصلت: ١٣]. والخبر: ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ ﴿ [النجم: ٥٦]،  
﴿ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿ [التوبة: ١٢٢]. والرسل:  
﴿ كَذَبَتْ تَمُودُ بِالنَّذْرِ ﴿ [القمر: ٢٣]، والشيب: ﴿ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴿ [فاطر: ٣٧].  
والنذر: ﴿ وَلِيُوقُوا نُذُورَهُمْ ﴿ [الحج: ٢٩]، ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ  
نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴿ [البقرة: ٢٧٠]. فالرسل منذرين ومُحذرين، بإخبار  
قومهم بوعد الله تعالى لهم ووعيده، ولا يكون المعلم منذراً حتى يحذر  
بإعلامه، فكل منذر معلم، وليس كل معلم منذر. والإنذار يستلزم إظهاراً لما  
يُنذَرُ به ليكون الإبلاغ حُجَّةً مُقْنِعَةً، وهو الإعلام بالشيء قبل وقته،  
والتخويف منه، كما أن التبشير إخبارٌ فيه سرور.

#### ٤٠ - مفهوم التحذير:

(ح ذ ر) من حذر، أصلٌ واحد. وهو التحرُّز والتيقُّظ، يقال: حذر  
يَحْدَرُ حِدْرًا، ورجلٌ حَذِرٌ، وحذور، وحذريان: متيقظ متحرِّز، وحذرون  
وحذاري؛ أي متيقظ شديد الحذر. وقد ورد لفظ حذر باشتقاقاته في واحد  
وعشرين موضعاً، على ثلاثة أوجه، هي: الخوف: ﴿ وَيُحَذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴿ [آل  
عمران: ٢٨]. والامتناع: ﴿ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَأَحْذَرُوا ﴿ [المائدة: ٤١]. والكتمان: ﴿ قُلْ  
أَسْتَهْزِئُ بِإِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿ [التوبة: ٦٤]. فالحذر احتراز عن  
مخيف، كقوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ﴿ [الزمر: ٩]، و﴿ حُذُوا حِذْرَكُمْ ﴿ [النساء:  
٧١]؛ أي: ما فيه الحذر من السلاح وغيره، فالحذر اجتناب الشيء خوفاً منه.  
وقيل الحذر: المتيقظ والحاذر: المستعد.

## ٤١ - مفهوم البلاء:

(ب ل و ي) أصلان: أحدهما إخلاق الشيء، والثاني نوع من الاختبار، ويحصل عليه الإخبار أيضاً. فأما الأول: يَلِيَّ يَلِيٌّ، فهو بالٍ والبلي مصدره، وإذا فتح فهو البلاء، أما الثاني: فقولهم يَلِيَّ الإنسان وابتلي، من الاختبار. ويكون البلاء في الخير والشر، لأنَّ به يختبر في صبره وشكره. والبلاء الغمّ، يبلي الجسم والتكليف بلاء؛ وهو منحة ومحنة.

ورد لفظ بلاء باشتقاقاته في سبعة وثلاثين موضعاً على ستة أوجه، وهي: الاختبار: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالسَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٥]، والتكليف: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. والمحاسبة: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: ٣٠]. والتعرف: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩]. والمنحة: ﴿وَإِذْ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١]. والمنحة: ﴿وَإِذْ أَبْنَىٰ إِبْرَاهِيمَ رُبُّهُ، بَكَبَتِ فَأَنْهَىٰ عَنْهُ﴾ [البقرة: ١٢٤]. وذلك بقوله تعالى له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، فالبلاء جاء بمعنى اختبار وجرب وامتحان، ويكون في الخير والشر، والنعمة والنقمة، فالنعمة مقتضية للشكر، والمنحة تقتضي الصبر، وكلاهما شاقَّ على الإنسان، فصار كلُّ منهما بلاء، وإذا قيل: ابتلاه الله بكذا، فالمراد ظهور جودته أو ردائه من غير تعرّف حاله أو الوقوف على ما يجهل منه؛ إذ إنّ الله تعالى علام الغيوب.

ثانياً: مفاهيم العلم:

## ١ - مفهوم العلم:

(ع ل م) أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثرٍ بالشيء يتميِّز به عن غيره. ومنه العَلامَة: وهي معروفة والعَلم: الرأية. والعِلم: نقبض الجهل وقياسه قياس العَلم والعلامة، يقال رجلٌ عَالمٌ وَعَليمٌ، وعلماءٌ وَعُلامٌ، وَعَلَمَهُ العِلمُ تَعْلِيماً وَعِلاماً. وَعَلِمَ به: شعر به، وبالأمر: أتقنه وعرفه. وَعَلَمَهُ: وسمه، واستعلمه الخبر فأعلمه إياه، وتَعَالَمَ الجميع؛ أي عَلمُوهُ. والعلامة، وهي الدلالة والإشارة. والعلم من المصادر التي تجمع، والمَعْلَمُ الأثر يُستدلُّ به على الطريق.

ورد لفظ العلم باشتقاقاته في ثمانمئة وستة وخمسين موضعاً على ثلاثة أوجه، هي: الرؤية، ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنَكَ وَالضَّالِّينَ﴾ [محمد: ٣١]، وهو العلم الشهادة، الذي يقع به الجزاء، لأنه إنما يجازيهم بأعمالهم لا بعلمه. والثاني: الظهور على الأمر: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩] فهذا العلم بعينه. والثالث: الإذن: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤]. أما العالمن فقد جاء على خمسة أوجه، هي: الإنس، والجن، وكل ولد آدم، والخلق من بعد نوح، وأهل الكتاب، ومجمل المخلوقات. ومدلول لفظ "العلم" في القرآن الكريم شاملٌ عام في الأغلب؛ لأنه يخص إدراكاً لجملة المعارف بالتأمل والنظر في الوجود والخلق، وتدبر آيات الله في الأرض والسماء، والعليم: صفة مشتقة من العلم، والعلم إدراك الشيء بحقيقته وذلك ضربان: أحدهما: المتعدّي إلى مفعول واحد، ومنه: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥]؛ أي: أدركتم ما حصل لأسلافكم من النقم التي حلت بهم،

والثاني: المتعدّي إلى مفعولين، كقوله: ﴿وَإِن عَلَّمْتُمُوهُنَّ مُمِيتَاتٍ﴾ [المتحنة: ١٠].  
والفرق بينها أنّ المعرفة تنصرف إلى ذات المسمّى، والعلم ينصرف إلى أحواله،  
ولذلك جاء به الأمر في القرآن: ﴿فَاعَلَّمْنَاهُ لَوْلَا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقد جاء الأمر بالعلم إحدى وثلاثين مرّة، وجاء من مادّة العلم  
الرباعيّ "عَلَّمَ" الماضي والمضارع والأمر إحدى وأربعين مرّة، نحو قوله  
تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤]. ومصدره  
التعليم، والفعل "تَعَلَّمَ" مصدره "التَّعَلَّمَ"، في قوله تعالى: ﴿وَيَنْعَلُونَ مَا  
يَصُرُّهُمُ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. والتعليم يكون بمعنى التفهيم، وبمعنى  
إلقاء أسباب العلم، نقول: علّمته فتعلّم، وعلّمته فما تعلّم، وذلك لاختلاف  
المفهومين من تعلّم. والمعلّم هو الذي يوصل المعاني إلى فهم المتعلم، ولم يرد  
في القرآن، بل جاء اسم المفعول "المعلّم" مرّة واحدة: ﴿وَقَالُوا مَعَلِّمٌ لِّمَنْ يُحِبُّ﴾ [١٤]  
[الدخان: ١٤]. وجاء اسم الفاعل "عالم" موصوفاً به الله تعالى، مقترناً بلفظ  
الغيب في (١٣) موضعاً، نحو قوله تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا  
يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٢].

## ٢- مفهوم الحبر:

(ح ب ر) أصل واحد منقاس مطرد وهو الأثر في حُسْنٍ وبهاء. يقال  
للذي يُكْتَبُ به الحبر وللذي يَكْتُبُ حَبْرًا، وجمعه أحبار، ويقال حَبْرٌ وَحَبْرَةٌ  
وَحُبْرَةٌ وَحِبْرٌ وَحِبْرَةٌ وتجبير الخط والشعر وغيرهما: تحسينه وسورة الأحبار  
هي سورة المائدة، وقيل: الحَبْرُ والحِبْرُ بالفتح والكسر العالم من أهل الكتاب،  
وواحد أحبار اليهود، والرجل الصالح.

جاء لفظ الأحبار في القرآن للدلالة على جمع العلماء، في أربعة مواضع، وفي موضعين في غير ذلك. وسُمِّي العلماء بذلك لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس وأثار أفعالهم الحسنة المقتدى بها، قال تعالى: ﴿لَوْ لَا يَنْهَاهُمْ الرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشُّحَّ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣]؛ ومفرد الأحبار حبر، واختلف علماء اللغة في فتح الحاء وكسرها، فإذا أُرْجِع أصله إلى المداد فهو بالكسر وهو الأوضح كما قال الجوهري. وإلى التعبير، بمعنى تحسين الكلام والعلم فهو بالفتح.

### ٣- مفهوم الربانيّ:

(ربّ) يدل على أصول، فالأول إصلاح الشيء والقيام عليه. فالربُّ: المالك والخالق والصاحب والمصلح. يقال: ربّ فلان ضيعته، إذا قام على إصلاحها، وربّبت الصبي أربّه وربّبتّه أربيه. والثاني: لزوم الشيء والإقامة عليه، وهو مناسب للأصل الأول. يقال: أرض مرّب لا يزال بها مطر ولذلك سمي السحاب رباباً. والثالث: ضمّ الشيء وهو مناسب لما قبله، والربّاني العارف بالله عز وجل، وقيل الربانيّ لفظة معربة عن السريانية أو العبرانية بمعنى المتأله. وربّبت القوم سُستهم؛ أي كنت فوقهم.

ورد لفظ الرباني في أربعة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشُّحَّ﴾ [المائدة: ٦٣]؛ أي وكذلك يحكم بالتوراة للذين هادوا أئمة الدين من الربانيين؛ أي العلماء العاملين

المعلمين الذين يربون الناس بأحسن تربية ويسلكون معهم مسلك الأنبياء المشفقين. والأخبار؛ أي: العلماء الكبار الذين يقتدى بأقوالهم، وترمق آثارهم، ولهم لسان صدق بين أمتهم. فالربانيون هم كاملو العلم، وفُسر بالعلماء الصابرين العاملين البُصراء بسياسة الناس وتدبير أمورهم، والقيام بمصالحهم، أو المتذاكرين للعلم المدرسين له، وهم فوق الأخبار، وقيل: هم العلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا اليهود، والملاحظ أنه اقترن في آيتي المائدة بلفظ الأخبار وجاء بمفرده في ﴿وَكَايَن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيثِيُونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

#### ٤ - مفهوم الكرسي:

(ك ر س) أصل صحيح يدل على تلبذ شيء فوق شيء وتجمعه. ومنه اشتقت الكرّاسة، لأنها ورق بعضه فوق بعض، والجمع الكرايس، والكرسيّ: العلم، والسرير. وجمعه كراسي، والانكراس: الانكباب على الشيء، والكرس: ما تلبذ من الدّمن في الديار، والكرسة: ترديد الشيء.

ورد لفظ كرسيّ في موضعين على وجهين: العلم: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وموضع الجلوس: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص: ٣٤]. فالكرسيّ لغة هو الذي يجلس عليه، وهو الشيء الذي ثبت ولزم بعضه بعضاً. والعرب تسمي أصل كل شيء الكرّس، وقيل معنى الكرسيّ العلم أو العرش أو موضع القدمين، وقيل: هو العلم، وقيل: ملك الله، وقيل: اسم الفلك المحيط بالأفلاك.

## ٥ - مفهوم الأثر:

من أثر (أ ث ر) له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي، أما الأثرية فهي البقية من الشيء والجمع آثارات. والأثرية: المكرومة المتوارثة كالمأثرة والمأثرة والبقية من العلم تُؤثر، فالأثر ما بقي من الشيء، والأثر ما بقي من الجرح بعد البرء، والإثر خلاصة السمن.

ورد لفظ الأثر باشتقاقاته في واحد وثلاثين موضعاً على أربعة أوجه، هي: البقايا: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: ٢١]، والطريق: ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِهَرَعُونَ﴾ [الصافات: ٧٠]، والفضل: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]. والاستفراد: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٩١]. فالأثر هو حصول ما يدل على وجود الشيء، وأثرت العلم رويته، وأصله تتبعته، وأثارة من علم، وقُرئ "أثرة"، وهو مكان يروى أو يكتب فيبقى له أثر، والمأثر ما يروى من مكارم الإنسان، فالمعنى اللغوي للأثر هو البقية، ومنه المأثور الباقي، فكل عالم باق مؤثر يسمى أثارة من علم، أو مأثرة عن الأولين كما في قوله: ﴿أَوْ أَتْرَكُوا مِنَّا عَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٤]. قال الواحدي: كلام أهل اللغة في تفسير هذا يدور على ثلاثة أقوال: الأول: البقية واشتقاقته من أثرت الشيء أُثِرته كأنها بقية تستخرج فتؤثر، ومنه ﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ﴾ [الروم: ٩]، والثاني: من الأثر الذي هو الرواية والأثرة المرة من مصدر أثر الحديث إذا رواه. والآثار: الأخبار فيما مضى ﴿وَنَكَتُتْ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]. والثالث: الأثر بمعنى العلامة والأثر سمة في باطن خُفَّ البعير يقتفي بها أثره؛ أي يترك من علامة باقية، والأثرية الدابة العظيمة الأثر في الأرض بحافرها.

## ٦ - مفهوم القبس:

(ق ب س) أصل صحيح يدل على صفة من صفات النار، ثم يستعار، أَقْبَسْتُ الرجلَ علماً واقتبسها: أخذها، وجاء لفظ القبس في: [طه: ١٠] و[النمل: ٨] و[الحديد: ١٣]، ولم يأت في غيرها، وفيها كان مقترناً بالإيناس والهدى والنور، قال تعالى: ﴿لَعَلَّآ إِنِّي كُنتَ مِنهَا بِقَبْسٍ﴾ [طه: ١٠]؛ أي هادٍ يهديني إلى الطريق ويدلني على المسير، و﴿أَنْظُرُونَا نَقَبَسَ مِن تَوْرِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، فالقبس للنار، ثم استعير لطلب العلم والهداية، وهذا ما في القرآن.

## ٧ - مفهوم الرسوخ:

من رسخ، (ر س خ) أصل واحد يدل على الثبات، ورسخ الغدير: نَشَّ مآؤه ونَضَبَ، وكلَّ ثابت راسخ، ومنه الراسخون في العلم، والرسوخ أن يُعْلَمَ الشيء بدلائل كثيرة، أو بضرورة لا يمكن إزالتها، وأصله الثبات على أصل يتعلّق به. ورد في موضعين: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ١٦٢]. فالراسخون في العلم هم الذين رسخ علمهم وإيمانهم، وثبت، كما يرسخ الشيء في منابته. وقال المبرد: المتذاكرون بالعلم. وقال: لا يذاكر بالعلم إلا حافظ، وفي آل عمران فسّر ابن عباس الراسخين ب: البالغون في علم التوراة، وقال البعض: هم المتحقّقون بالعلم لا يعرض لهم شبهة فيه.

## ٨ - مفهوم السيّد:

(س ي د) كلمة واحدة، سمّي سيّداً لأنه يسود سواد الناس؛ أي معظمهم، وهو الذي فاق غيره، وبهذا السيّد هو العاقل المدرك وذو المال

والنفع. وقد ورد لفظ السيد في ثلاثة مواضع، دلّت على أنه هو الحليم والعليم على ثلاثة أوجه، هي: الزوج: ﴿وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]، والقائد: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [١٧] [الأحزاب: ٦٧]، والشريف في العلم: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]، وهذا الوجه الأخير هو الدالّ على العلم؛ حيث السَيِّد هنا هو الشريف في العلم والفقهِ والعبادة.

## ٩ - مفهوم الحجّة:

الحجّة من حجّ الحاء والجيم أصول أربعة: الأول: القصد، ومنه المحجّة، وهي جادة الطريق، والحجّة مشتقة من هذا لأنها تقصد، يقال: حاججت فلاناً فحججته. والثاني: الحجّة وهي السنّة، وقد يُجمع إلى الأصل الأول؛ لأنّ الحج في السنّة لا يكون إلا مرّة واحدة. والثالث: الحجاج، وهو العظم المستدير حول العين. والرابع: الحجّجة: النكوص، والمحجاج: الغلبة بالحجّة، وكثرة الاختلاف، والتردد.

ورد لفظ الحجّة باشتقاقاته في عشرين موضعاً على وجهين: الخصومة: ﴿قُلْ أَتُحَاوِنُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [البقرة: ١٣٩]؛ ﴿هَتَأْتُمْ هَتُولَاءِ حَاجِحْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: ٦٦]. والدلالة المبيّنة: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. وما يحتج به الذين ظلموا مستثنى من الحجّة، تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ مُجِيبُهُمْ دَاخِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦]؛ فسمّى الداخضة حجّة، والمُحَاجّة أن يطلب كلّ واحد ردّ الآخر عن حجّته ومُحجّته، وكلّ ما استدلّ به على صحّة الدعوى فهو

حجّة، والمجادلة بالباطل قد تسمّى حجة، كقوله تعالى: ﴿مَجْهُدًا حِجَّةً عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦]. إمّا على حسابهم وظنّهم، أو على أسلوب قولهم هي حجّة بينهم. والحجّة أنواع: حجّة إقناعيّة: التي تفيد القانعين القاصرين عن تحصيل المطالب بالبراهين القطعيّة العقلية، وربما تقضي إلى اليقين بالاستكثار. وحجّة برهانيّة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فهي حجة برهانيّة تحقيقيّة؛ إذ لا تكاد النفس تحظر للمتأصل نقيض الإله، بعدما تحقّق عنده استحالة الخلاف في خبره تعالى واستمرار العادة بين ذي قدرتين على تطلب الانفراد والقهر في كلّ جليل وحقير، فكيف بمن اتصف بأقصى غايات التكبر؟ فضلاً عن أخطار فرض النقيضين مع الجزم بأنّ الواقع هو الطرف الآخر.

## ١٠ - مفهوم البرهان:

من برهن؛ أي أقام البرهان وهو الحجّة والدلالة، وأبره أتى بالبرهان، وقد ورد لفظ البرهان في القرآن في ثمانية مواضع على أربعة أوجه، هي: الكتب المنزلة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَّجَاءَ كُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤]؛ وعهد الله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُودُ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَنَ رَبِّيَ﴾ [يوسف: ٢٤] والحجة: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّيَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، والمعجزة: ﴿فَذَلِّكَ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [القصص: ٣٢]. والبرهان فعلان مثل الرجحان، مَصْدَرُهُ بَرَهُ يَبْرَهُ إِذَا ابْتَيَّضَ، ورجل أبره وامرأة برهء، والبرهنة مدّة من الزمان، فالبرهان أوكد الأدلّة، وهو الذي يقتضي الصدق أبداً لا محالة؛ وهو عند الأصوليين ما فصل الحق عن الباطل،

والصحيح من الفاسد. فالأدلة خمسة أضرب: دلالة تقتضي الصدق أبداً، أو تقتضي الكذب أبداً، أو إلى الصدق أقرب، أو إلى الكذب أقرب، أو إليهما سواء، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

## ١١ - مفهوم السلطان:

(س ط ن) أصل واحد، وهو القوّة والقهر. ولذلك سُمّي السلطان سلطاناً وهو الحجّة، كذلك السلطان: قدرة الملك والوالي، وسلطان أي شيء شدته، لأنه مأخوذ من السَلَطُ؛ أي الشديد، والسلطان هو البرهان والحجة، ولا يجمع لأن مجراه مجرى المصدر. وقد ورد لفظ سلطان في خمسة وثلاثين موضعاً، على وجهين: الملك والقهر: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، والحجة: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ [يونس: ٦٨]. وقد ورد بهذا الوجه في (٢٨) موضعاً، سمّيت الحجّة سلطاناً لما يلحق من الهجوم على القلوب، لكن أكثر تَسَلُّطِه على أهل العلم والحكمة من المؤمنين، أما الملك فسمّي سلطاناً لأنه حجة الله في أرضه، واشتق من السليط، وهو ما يضاء به.

## ١٢ - مفهوم الآية:

من أيي، (أ ي ي) أصل واحد، وهو النظر، وأصل آخر: وهو التعمّد، يقال: تَأَيَّتُ على؛ تفاعلت، وأصله تعمّدت آيتَه وشخصه. والآية العلامة، وهذه آية مآيَة. قال الأصمعيّ: آية الرجل شخصه. وقال الخليل: خرج القوم بأيّتهم؛ أي بجماعتهم، ومنه آية القرآن؛ مجموعة حروف والجمع أي، والآية: العبرة، والأمانة، ومن المعاني الوقت.

ورد لفظ آية بصيغته في ثلاثمائة واثنين وثمانين موضعاً على ستة أوجه، هي: العلامة: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [الروم: ٢٠]، ﴿ أَنْتَبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ تَعْبُوثٌ ﴾ (١٣٨) [الشعراء: ١٢٨]. والقرآن: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]. والمعجزات: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ [القصص: ٣٦]. والعبرة: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ [مريم: ٢١]. والكتاب: ﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِ ﴾ [الجاثية: ٨]. والأمر والنهي: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١٣٧) [البقرة: ١٨٧]؛ أي أحكامه من أمرٍ ونهي، فالآية هي العلامة الظاهرة، وحقيقة كل شيء ظاهر هو ملازم لشيء لا يظهر إلا بظهوره. ويقال لكل جملة من القرآن دالة على حكم "آية" سورة كانت، أو فصلاً، أو فصلاً من سورة. وقد يقال لكل كلام منه منفصل بفصل لفظي آية. وعلى هذا اعتبار آيات السورة التي تعدّها السورة. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٤) [العنكبوت: ٤٤]، فهي من الآيات المعقولة التي تتفاوت بها المعرفة بحسب تفاوت منازل الناس في العلم، ودرجة التفكير والتأمل.

### ١٣ - مفهوم الجدال:

(ج دل) أصل واحد، من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه امتداد الخصومة ومراجعة الكلام. يقال: جدل الحُب في سنبله، قوي. والأجدل هو الصقر، وجدلُهُ يجِدُّهُ ويجِدُّهُ: أحكم قتله، والجدلُ اللدُد في الخصومة، والقدرة عليها. وجدلُهُ فانجدل وتجدل: صرعه على الجدالة. وقد ورد لفظ الجدال بصيغته في تسعة وعشرين موضعاً على ثلاثة أوجه، هي: الخصومة: ﴿ وَهُمْ يُجَادِلُونَكَ فِي اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١٣] والمراء: ﴿ فَلَا رَفْتَ وَلَا سُوفَ

وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴿البقرة: ١٩٧﴾، والمناظرة والمحاورة: ﴿وَجَدِلْتُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. فالجدال هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جَدَلْتُ الحبل؛ أي أحكمت فتله ومنه الجديل. كأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل: الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة، وقيل: الجدال عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة الغير. والمجادلة منازعة في مسألة علمية لإلزام الخصم سواء كان كلامه في نفسه فاسداً أم لا، وإذا علم بفساد كلامه وصحة كلام خصمه فنازعه مكابرة. ومع عدم العلم بكلامه وكلام صاحبه فنازعه معاندة، فالأصل في الجدال الخصام؛ لذا كان الأمر بأن يكون بالتي هي أحسن؛ لأن غالب ما يرد فيه الجدال يكون مذموماً ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]. ويقسم الحوار إلى ثلاثة أقسام، هي: المناظرة، والجدال، والمكابرة وقد تشمل المناقشة الواحدة على كل هذه الأنواع الثلاثة.

#### ١٤ - مفهوم السؤال:

من سأل، السين واللام كلمة واحدة، سأل يسأل سؤالاً ومسألة، ورجل سُؤِلَ كثير السؤال، ويقال: سَلَّ واسأل، وقد ورد لفظ السؤال باشتقاقاته في مائة وثمانية وعشرين موضعاً على سبعة أوجه، هي: الاستفتاء: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، "يسألونك" [البقرة: ٢١٥]، و[٢١٧]، و[٢١٩]، و[٢٢٠]. والمتسول: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]؛ والدعاء: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١].

والاعتراض والمراجعة: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦]. والطلب: ﴿سْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، والحساب: ﴿فَلَسْتَنَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَكُنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]،  
 والتخاصم: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبا: ١].

فالسؤال استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إليها، واستدعاء مال أو ما يؤدي إليه. والسؤال من الله تعالى لتنبيه المخاطب أو لتبكيته وتعريفه، أو لإقراره وإلزامه، ولا يصح في حقه سبحانه طلب المعرفة، فإذا كان التعريف تعدّي إلى المفعول الثاني بنفسه، وتارة بالجار، نحو سألته كذا وبكذا، وعن كذا، وبمن أكثر؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]. أما إذا كان السؤال لاستدعاء مال فإنه يتعدّي بنفسه وبـ "مَنْ"، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبا: ٤٧]، والسائل الذي يسأل لفقره وسوء حاله، قال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ﴾ [الذاريات: ١٩]. فالسؤال الذي يهمنّا هو ما تتحقّق به المعرفة، بل هو أهمّ وسائلها، ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] وسؤال الله لعباده ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِيبَ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]. قيل: إنّ ذلك سؤال لتعريف القوم وتبكيته، لا لتعرّف الله تعالى فإنه علام الغيوب، فالسؤال للمعرفة يكون للاستعلام وأخرى للتبكيّة والتعجيز وأخرى للإقرار.

كما أنّ السؤال يقارب الأمنية، غير أنّ الأمنية تقال فيها قدر، والسؤال فيها طلب، وسؤال الجدل حقه أن يطابق جوابه بلا زيادة ولا نقص، أمّا السؤال للتعلّم والاسترشاد فحقّ المعلم أن يكون فيه كطبيب يتحرّى شفاء

سقيم، فيبين على ما يقتضيه المرض لا على ما يحكيه المريض. وقد يعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبيهاً على أنه كان من السؤال أن يكون كذلك ويسميه البعض بالأسلوب الحكيم. فيأتي الجواب أعم من السؤال، كقوله: ﴿وَمَا تَلْكَ يَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ﴾ ﴿٧﴾، جوابه ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ ولكنه أضاف ﴿أَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَىٰ غَنِي﴾، [طه: ١٦، ١٧]، وقد تكون للإغاطة كما في ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عُنُقِينَ﴾ ﴿٧١﴾ [الشعراء: ٧١]، في جواب ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٧٠﴾. وقد يكون الجواب زيادة للتحريض ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَيَنَ الْمَقْرِبِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ [الأعراف: ١١٤]، وقد يجيء أنقص لاقتضاء الحال ذلك. وقد يعدل عن الجواب أصلاً، إذا كان قصد السائل التعنت، والسؤال في القرآن إذا كان واقعاً يقال في الجواب "قل".

## ١٥ - مفهوم الجواب:

من جواب، (ج و ب) أصل واحد، هو خَرَقُ الشيء. يقال: جُبت الأرض جَوْباً، فأنا جائب وجَوَّابٌ. وأصل آخر، وهو مراجعة الكلام: يقال: كلمه فأجابه جَوَاباً وقد تجاوبا مجاوبةً، والجوَّاب الأخبار الطارئة، وهل من جائية خبراً؛ أي طريفة خارقة. يقال: استَجَوَّبَهُ، واستَجَابَهُ واستَجَابَ لَهُ، وتجاوَّبوا، والتجاوَّب هو التحوار.

ورد لفظ الجواب باشتقاقاته في ثلاثة وأربعين موضعاً على خمسة أوجه، هي: القطع والخرق: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ ﴿٩﴾ [الفجر: ٩]؛ والتلبية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]؛ والاتباع: ﴿يَقَوْمًا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١]. والطاعة: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ

وَأَلْسُولٍ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴿١٧٢﴾ [آل عمران: ١٧٢]. والردّ على السؤال: ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٢]، ويكون الجواب في مقابلة السؤال، والسؤال على ضربين: طلب المقال وجوابه المقال؛ وطلب النّوال وجوابه النّوال. فعلى الأول ﴿يَقَوْمَنَا أَيْبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١]؛ وعلى الثاني ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ [يونس: ٨٩]؛ أي أعطيتُما ما سألتُما، وقيل: الاستجابة هي الإجابة، وحقيقتها التحريّ للجواب والتهيوّ له، لكنّ عبّر عن الإجابة لقلّة انفكاكها منها. وقيل: الأصل في الجواب أن يعاد فيه السؤال نفسه ليكون وفقّه، نحو ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَكْ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠]، وكذا ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١] هذا أصله، ثمّ إنهم أتوا عوض ذلك بحرف الجواب اختصاراً، وتركاً للتكرار. ومن عادة القرآن أن السؤال إذا كان واقعاً يقال في الجواب "قل" بلا فاء، مثل ﴿وَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، ونظائرها في [الأعراف: ١٨٧]، و[البقرة: ١٣٣]. فصيغة المضارع للاستحضار؛ لأنه في قوله: ﴿وَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥]، فإن الصيغة فيها للاستقبال لأنه سؤال عليم الله تعالى وقوعه وأخبره عنه قبله وذلك أتى بالفاء فقال: ﴿فَقُلْ يَسْأَلُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه: ١٠٥]؛ أي إذا سألوك فقل.

## ١٦ - مفهوم الفتوى:

من الفتى، الفاء والتاء والحرف المعتل أصلان: أحدهما يدلّ على طراوة وجدة، كقولهم الفتى، وهو الطري من الإبل، والفتى من الناس واحد الفتيان. والآخر على تبين حكم، الفتيا يقال: أفتى الفقيه في المسألة إذا بيّن

حكماً، وقد ورد لفظ فتى باشتقاقاته في واحد وعشرين موضعاً على وجهين: الواحد من الناس: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، وبيان الحكم: ﴿قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]. والذي يهمننا في مجال المعرفة هنا "الفتوى". وقد جاء اللفظ بصيغة الفعل من غير الاسم في أحد عشر موضعاً، بمعنى طلب معرفة الشيء بالمسألة والاستفهام، وهو أخص من الاستفهام. فالفتوى لا تقع إلى على أمر بعينه، وبهذا التقييد من المعنى ورد في القرآن الكريم بدليل خطاب الملك في الآية للأشرف من قومه، وليس عامة القوم كما في ﴿تَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ أَتُونِي فِي رُءْيَايَ﴾ [يوسف: ٤٣]، والفتوى الجواب عما يشكل من الأحكام، والإفتاء هو تبين المبهم.

## ١٧ - مفهوم البيان:

من البَيِّنِ، (ب ي ن) أصل واحد، وهو بُعد الشيء وانكشافه، فالبيان في الأصل مصدر (بان الشيء) بمعنى اتضح وانكشف وأبنته واستبنته: أوضحتها، وجاء بيان ذلك وبيئته؛ أي بحجته. وقد ورد لفظ البيان مع اشتقاقاته مائتين وثمانية وخمسين موضعاً، على ستة أوجه، هي: التأمل والتريث: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقٌ يُنَادِي فَيَسْتَنُوًّا﴾ [الحجرات: ٦]. والحجج والدلائل: ﴿وَبَيَّنْتَ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والعلم: ﴿وَبَيَّنْتَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥] والظهور: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَبِيثَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَبِيثِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والوضوح: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ [النور: ٣٤]؛ والإفصاح: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤]؛ أي التبيين عملاً في ضميره. فالبيان يأتي بمعنى الإيضاح والإظهار، والتعريف والإعلام

بأدلة ظاهرة محسوسة، ويأتي بمعنى الكلام والإفصاح عما بداخل الإنسان، والأغلب أن يردّ الرباعي منه مهموزاً أو مضعفاً، ولم يجيء الثلاثي في القرآن الكريم للدلالة على معنى الإظهار، وإنما جاء من الرباعي والخماسي أبان وبيّن وتبيّن بصيغ واشتقاقات مختلفة للدلالة على الماضي والمضارع واسم الفاعل المبين في عشرات الآيات، ولم ترد صيغة الأمر منه سوى ثلاث مرات، وبلفظ واحد "تبيّنوا"، وفيه معنى التأمل والتريث، والتبيان بمعنى البيان، لأنّ المصادر إنما تجيء على التفعّل، ولم يجيء بالكسر إلا التبيان والتلقاء ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

والمبين اسم فاعل من أبان يبيّن فهو مبين، إذا أظهر وبيّن، إمّا قولاً وإمّا فعلاً ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]، كما جاء من اللفظ الخماسي "تبيّن" بمعنى العلم بالشيء بعد ظهوره (١٨) مرة في صيغ الماضي، المضارع والأمر، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجُنُودُ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِئُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]؛ أي لما علمت الجن وظهر لها العجز وعلموا جهلهم. والبيّنات في القرآن بمعنى الدلائل والحجج الواضحة واليقين الراسخ، ومفردها بيّنة، ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [الأنعام: ٥٧].

والبيان هو الكشف عن الشيء، وهو أعمّ من النطق، وهو مختص بالإنسان دون غيره من المخلوقات في عالم الشهادة. وهو على ضربين: أحدهما بالإنجاز، والثاني بالإخبار، وسمّي الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود وإظهاره نحو ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وسمّي ما يشرح به المجمل والمبهم من الكلام بياناً نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩].

والبيان يكون بالفعل، وبالقول، وهو على خمسة أوجه، هي: بيان التقرير ﴿فَسَحَدَ الْمَلَكُ كُنُهِمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠]، وقوله: ﴿وَلَا طَلِيرٍ يَطِيرُ بِمَنَاحِيهِ﴾ [الأعام: ٣٨]، فهو تقرير لموجب الكلام وحقيقته قطعاً؛ لاحتمال المجاز؛ إذ يقال المرء يطير بهمته. وبيان التفسير: لما فيه خفاء من المشترك أو المجمل أو الخفي. وبيان التغيير: وهو تغيير موجب الكلام نحو التعليق والاستثناء والتخصيص. وبيان التبدل: وهو النسخ، وبيان الضرورة: هو نوع بيان يقع بغير ما يوضع له لضرورة ما؛ إذ الموضوع له النطق وهذا يقع بالسكوت. وهو على أربعة أوجه، هي: الأول: ما يعلم بمعونة المنطوق لا بمجرد السكوت، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ﴾ [النساء: ١١]. والثاني: ما يثبت بدلالة حال المتكلم. والمراد بالمتكلم القادر على التكلم لا الناطق، واحتراز به عمن لا يقدر على التكلم كالأخرس. والثالث: ما يثبت ضرورة دفع الضرر عن المشتري. والرابع: ما يثبت بدلالة الكلام، كما قال: له عليّ مئة وثلاثة دراهم أو ثلاثة أثواب أو أفراس، فالمعطوف بيان للمعطوف عليه، والبيان ما يتعلّق باللفظ، والبيان ما يتعلّق بالمعنى.

## ١٨ - مفهوم الشرح:

(ش ر ح) أُصِيلَ يَدُلُّ عَلَى الْفَتْحِ وَالْبَيَانِ، مِنْ ذَلِكَ شَرَحْتُ الْكَلَامَ وَغَيْرَهُ شَرْحاً، إِذَا بَيَّنَّتهُ، وَاشْتَقَاقَهُ مِنْ تَشْرِيحِ اللَّحْمِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى: كَشْفِ، وَوَسَّعِ، وَالشَّرْحُ مَصْدَرُ شَرَحْتُ الْأَمْرَ، أَشْرَحَهُ شَرْحاً: إِذَا اكْتَشَفْتَ عَنْهُ وَأَوْضَحْتَهُ. وَقَدْ وَرَدَ لَفْظُ شَرْحٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، بِمَعْنَى الْبَسْطِ وَالتَّوَسُّعِ، مِثْلَ بَسْطِ اللَّحْمِ وَنَحْوِهِ، وَشَرْحِ الصَّدْرِ: بَسْطُهُ وَفَتْحُهُ لِقَبُولِ الشَّيْءِ، وَشَرْحِهِ

بالهداية بمعرفة الحقّ وطاعة الله وجعل الصدر وعاء للحكمة ورباطة الجأش والجرأة، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الزمر: ٢٢]، وما يباثله في [الأنعام: ١٢٥]، و[طه: ٢٥] و[الانشراح: ١]، وفي قوله تعالى عن دعاء موسى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]؛ لم يقرن الشرح بالقلب؛ لأن محلّ الوسوسة هو الصدر، ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥]، فهي بحاجة إلى القوّة والتوسعة لتكون حصناً للقلب من أهواء الشياطين. والشرح ليس مختص بالجانب الحقّ؛ لأنه وارد في الإسلام كما هو في الكفر ﴿وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦] فالشرح هو حقيقة في الأعيان واستعارة في المعاني.

## ١٩ - مفهوم التفسير:

من فسّر، (ف س ر) كلمة واحدة تدلّ على بيان شيء وإيضاحه من ذلك الفسّر، وهو كشف المغطى، وقيل: التفسير والتأويل واحد، كما هو كشف المراد عن المشكل، والتأويل ردّ أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر، والفسر نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه، والتفسّرة، فيعرف الداء. وقد ورد لفظ التفسير مرّة واحدة في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] وهو بمعنى الكشف والبيان، فكلّ شيء يعرف به تفسير الشيء أو ما ينبىء عنه يسمّى التفسّرة، والفرق بين التعريف والتفسير أنّ الأخير تعريف لفظي، يشرح اللفظ بلفظ أظهر منه، والتعريف يشمل الحدّ والرسم، فالتفسير إظهار المعنى المعقول، وهو أعمّ من التأويل، لأنه يجري على الألفاظ. والتأويل في المعاني؛ ويكون التأويل في الكلام لبس

وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره.

## ٢٠ - مفهوم الحكمة:

من حكم، (ح ك م) أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحُكْم؛ وهو المنع من الظلم. والحكمة هذا قياسها لأنها تمنع من الجهل، والحاكم منفذ الحكم؛ أي القضاء، والحكمة العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن والإنجيل، وأحْكَمُهُ أَتْقَنَهُ فاستحكم، ومنعه عن الفساد.

ورد لفظ الحكمة باشقاقاتة في (١١) موضعاً، على خمسة أوجه، هي:  
الموعظة: ﴿وَمَا أَنْزَلْ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ بِعَظْمٍ بِهٖ﴾ [البقرة: ٢٣١]. والفهم والعلم: ﴿وَعَايَنَهُ الْمُحْكَمَ صَبِيحًا﴾ [مريم: ١٢]. والنبوة: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ٥٤]. وتفسير القرآن: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. والقضاء: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٤٢]. فالحكمة تعني العدل، والعلم، وصواب الرأي، وسدادة العقل، وفهم المعاني، والإتقان في الصناعة، والفقهاء. وقد ورد في القرآن بعدة أوجه، ترجع إلى أصل الحكمة وهو الأحكام؛ أي الإتقان. والحكمة من الله تعالى إيجاد الأشياء، على وجه الإتقان، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات.. كما ورد في القرآن لفظ الحكيم ويحتمل أمرين: أنه معنى العالم، وقيل: لا يسمّى حكيماً حتى يجمع العلم والعمل. والحكيم بمعنى المحكم لأفعاله فكلها حكمة وصواب، وهو بمعنى المبين كذلك. فالحكمة والحكيم، من حكم دلالته المنع، ثم تطورت إلى ضبط العلم والعمل بما يحقق الصواب من خلال نظرة عميقة مباشرة إلى معاني الأشياء، ودقة

الملاحظة التي يستمدّها من تجارب الحياة. فكان العرب يسمّون أشرافهم بـ"الحكماء". والحكيم من أساء الله تعالى الذي لا يغرب عنه شيء يضبطه ويحكمه بقدرته وعلمه فسبحانه، وهو بمعنى الحاكم، وهو القاضي الذي يمنع الظلم، ويجوز أن يكون معنى الحكيم ذو الحكمة، وتنسب إلى أشراف العزم، وأئمتهم للدلالة على صواب الرأي، والسداد، وضدّ السفاهة، والفساد، والحكم أعمّ من الحكمة، ومحكم الكلام هو ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى، وقيل: الحكمة هي معرفة الحقائق على ما هي بقدر الاستطاعة، إفراطها: الجرَبَزَة، وتفريطها: الغباوة، وأكثر أهل العلم على أنّ الحكمة ليست للعلم المجرد، بل للعلم مع زيادة مبالغة فيه أو للعلم مع العمل، وأمر التقديم والتأخير بينهما إنما بحسب اقتضاء المقام.

هذه خلاصة الألفاظ التي حاولنا البحث فيها في مجال العلم وما قارب مفهومه، غير أنّ ألفاظاً أخرى يمكن إضافتها، لكن لطول البحث آثرنا التنبيه عليها من غير الخوض في دلالتها بأكثر ما هي عليه ومنها: الحلم والرشد واللفظ والإحسان والإيناس، والخوف والخشية والإنابة، والفصاحة واللعن، والعلن والاستخراج والحصحص، كلّها صفات للكلام والمعلومة المعروضة على السامع أو القارئ.

## ٢١ - مفهوم الهدى:

الهاء والذال والحرف المعتل، أصلان، أحدهما التقدم للإرشاد، هديته الطريق هداية؛ أي تقدمته لأرشدته، وكلّ متقدم لذلك هاد. ويتشعب، فيقال: الهدى خلاف الضلالة، وهاديها أوّل رعييل منها، ووالآخر بعثة

لطف، منه الهدية، ما أهديت من لطف على ذي مودة، والهادي من أسماء الله تعالى، وهو الذي بَصَرَ عباده، وعَرَفَهُم طريق معرفة حتى أَقَرُّوا بألوهيته وربوبيته. وهديته إلى الطريق؛ أي عرفته.

ورد لفظ الهدى بدلالاته العامة والخاصة في (٣١٦) موضعاً من القرآن الكريم، في ستة عشر وجهاً، لكن يمكن ضم بعضها إلى غيرها، هي: البيان: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]، ودين الإسلام: ﴿قُلْ إِنَّكَ هُدًى لِّلَّهِ هُوَ أَلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]، والداعي: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، والمعرفة: ﴿نَنْظُرُ أَنهَدِي أَمْ تَكُونُ مِّنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١]، والكتب: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، والرشد: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٢٠]، ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣] فالهدى هو الدلالة مع كونها موصولة إلى المطلوب، بدليل وقوعها مقابل الضلالة، وفيها الرشد والبيان لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦]. وكلها تدور حول معاني الدلالة والإرشاد والإلهام والتوفيق والمجازاة، ولها دلالات خاصة بالسياق. غير أن معنى البيان هو الأقدر على استيعاب معظم الوجوه. وقد ورد من لفظ الهدى الصيغ الفعلية ثلاثة أوجه، هي: مُعَدَّى إلى: يتضمّن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، ﴿وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦] ومعدى باللام: لتخصيص اللفظ بالشيء المطلوب، ﴿قُلْ إِنَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] ومعدى بنفسه: ويتضمّن المعنى الجامع لذلك كله والتعريف والبيان والإلهام ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]،

فالهداية في القرآن لها مفهوم خاص، كإعطاء العقل والتوفيق، والحيد عن طريق الضلال إلى طريق الإيمان، الذي يرشد إلى الجنة والخير. والهداية من البشر دعاء وتعريف للطريق الصحيح، الذي من شأنه الإيصال، سواء حصل الوصول بالفعل في وقت الاهتداء أو لم يحصل، غير أن بعضهم اشترط الإيصال لأن الضلالة تقابلها.

والهداية من الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه: الأول: الهداية التي تعم كل مكلف من العقل والفتنة والمعارف التي عمّ بها كل شيء، وقدر منه حسب احتماله. والثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه تعالى إياهم إلى سنة الأنبياء، وإنزال القرآن ونحو ذلك. والثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى. والرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة. أشار إلى الأول بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَنَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وعلى سائر الهدايات: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]. وكل هداية نفاها الله تعالى عن الظالمين فهي هداية التوفيق. وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ. ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] للحيوانات كلها، أما قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البدر: ١٠] للعقلاء، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣] وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ وَقَدِّمَهُمْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

## ٢٢ - مفهوم الاتباع:

من تبع، (ت ب ع) أصل واحد، التَّلُوُّ والقَفُو، يقال: تَبَعْتُ فلاناً إذا تلوته وأتبعته وأتبعته إذا لحقته، وقد ورد لفظ تبع بصيغته في (١٧٥) موضعاً على سبعة أوجه، هي: الصحبة: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ

رُشْدًا ﴿٦٦﴾ [الكهف: ٦٦] الاقتداء: ﴿أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا﴾ [يس: ٢١]. والاستقامة: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، والاختبار: ﴿وَتَبَيَّنَ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]. وعمل: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا أَلْسَيْطِينَ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. والصلاة: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا أَلِكْتَبَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥]. والطاعة: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

فالاتباع يكون بقفو الأثر، بالاتسام أو بالاتباع، ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢]، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ [الشعراء: ٥٢]. فالاتباع قد يكون بالمشي خلف المتبع، أو باقتفاء منهجه العلمي والفكري، أو بطاعته والاتباع لأوامره، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام ١٥٣]. ويكون في الحق وفي الباطل ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦]، فالاتباع في القرآن دائماً كان لما هو بين الصحة وقوي البرهان ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ [المائدة: ١٦]، وهو دليل صحة أنه وحي معصوم، قامت الأدلة على إثبات عصمته، أما المردود فقد وصف بالأهواء والباطل والظن ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

### ٢٣ - مفهوم الشورى:

من شور، (ش و ر) أصلان مُطْرَدَان: الأول: إبداء شيء وإظهاره، والآخر أخذ شيء. ومنه: شُرْتُ الدابة شُوراً، إذا عرضتها، والمكان الذي يُعرض فيه الدواب هو المِشْوَار. والآخر: قولهم شُرْتُ العسل أشوره، ومنه:

شاوَرْتُ فلاناً في أمرى، فكأن المستشار يأخذ الرأي من غيره. ومنه: المستشار، وهو البعير الذي يعرف الحائل من غيرها الحامل، واستشاره طلب منه الشورى. وأشار إليه باليد، أوماً، وأشار عليه بالرأى، والشورى الأمر الذي يتشاور فيه؛ أي كلّ يشير برأيه.

ورد لفظ الشورى بصيغته في أربعة مواضع على وجهين: الإيحاء باليد: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [مريم: ٢٩]. والتحاوَر: ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وهو من الله لنبية الكريمة بمشاوره أصحابه، و﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. فالمشاوره استخراج الرأي بمراجعة البعض لبعض.

## ٢٤ - مفهوم الفطرة:

(ف ط ر) أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه، ومن ذلك الفِطْر من الصوم. ومنه الفِطْر بفتح الفاء، فَطَرَت الشاة فَطْراً إذا حليتها، والفِطْرَة: الخلقة التي تُحَلَق عليها المولود في رحم أمه، والدين. وَفَطَرَ اللهُ تعالى الخلق: خلقهم وبرأهم، وفطر الأمر: ابتدأه وأنشأه، والفطير ضدّ الخمير، وهو العجين الذي لم يخبتر. وكلّ شيء أعجلته عن إدراكه فهو فطير، يقال: إياك والرأى الفطير.

ورد لفظ فطر باشتقاقاته في عشرين موضعاً على أربعة أوجه، هي: الإبداع: ﴿فَاطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠١]، والاختلال: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]. ومنها الخلق: ﴿فَطَرَتِ اللهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]. والانشقاق: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]. فأصل الفِطْر الشقّ طولاً. يقال: فطر فلان كذا فَطْراً وأفطر وهو فُطُوراً وانفطر انفطاراً. قال تعالى:

﴿هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]؛ أي اختلال، وقد يكون على سبيل الفساد، وقد يكون على سبيل الصلاح. وفطر الله الخلق؛ أي إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة من الأفعال، فقوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وفطرة الله هي ما ركز فيها من قوته على معرفة الإيوان، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، فالفطر يشبه أن يكون معناه الإحداث دفعة كالإبداع.

## ٢٥ - مفهوم الحيّ:

من حيي، الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي هو ضدّ الوقاحة. فأما الأول فالحياة والحيوان، وهو ضدّ الموت والموتان. ويسمّى المطر حيّاً، لأن به حياة الأرض. وطريق حيّ: بين، وحيي: استبان، والحيوان: جنس الحيّ، أصله حييان. وقد ورد لفظ الحي والأحياء خمساً وثلاثين مرّة، ومن الإحياء الموتى بصيغته المختلفة خمسين مرّة، وبمعنى الاستحياء في أربعة مواضع، وبمعنى المعيشة مرّة واحدة ﴿فَلَنَحْيِيَنَّاهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. وجاء من المادّة ما دلّ على التحيّة أربعاً وأربعين مرة في صيغة، وبدلالة سبي والخراب أربعة مواضع. وبمعنى القوّة العاقلة العالمة في موضعين ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]، ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

## ٢٦ - مفهوم الظن:

(ظ ن) أصل صحيح يدلّ على معنيين مختلفين: يقين، وشك. فأما اليقين فقول القائل: ظننت ظناً؛ أي أيقنت، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَلْمُوكَ أَنَّهُمْ

مُكْفَوُا اللَّهُ ﴿ البقرة: ٢٤٩ ﴾، والعرب تقول ذلك وتعرفه، وهذا في القرآن كثير. والثاني: الشك، يقال: ظننت الشيء إذا لم تتيقنه، ومن ذلك الظنَّة، التهمة، والظنُّ التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم، وقد يوضع موضع العلم، فهو من ألفاظ الأضداد، وهو تغليب القلب على أحد أمرين بوجود الدلائل والأمارات في الشيء المظنون، فكلمًا قويبت لحق العلم، وإن صَعُمَتْ لِحَقِّ بِالظَّنِّ. والظن قوَّة المعنى في النفس من غير بلوغ حال الثقة الثابتة. وقد ورد لفظ الظن في تسعة وستين موضعاً على أربعة أوجه، هي: العلم والإتقاء: ﴿إِنَّ ظَنًّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، يعني إن اتقيا، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ دَاوُدَ أَتَمَّا فَتَنَّاهُ﴾ [ص: ٢٤]، يعني وعلم داود أنها ابتليناه. والشك: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الجاثية: ٣٢]. والحسبان: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]. والتهمة: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠]، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] يعني المتهم. والظنُّ والشكُّ والتجوز نظائر، إلا أن الظن فيه قوَّة أحد الأمرين من غير الآخر. وَحَدُّهُ: ما قَوِيَ عِنْدَ الظَّانِّ عَلَى ظَنِّهِ مَعَ تَجْوِيزِهِ أَنْ يَكُونَ عَلَى خِلافِهِ، فبالتجوز يفصل عن العلم، وبالقوَّة يفصل عن الشكِّ.

## ٢٧- مفهوم الحسب:

(ح س ب) أصول أربعة: الأول: العَدُّ، حَسَبْتُ الشيءَ أَحَسَبُهُ حَسْبًا وَحُسْبَانًا. وهو الظنُّ، وقولهم: احْتَسَبَ فلان ابنه إذا مات كبيراً، وذلك أن يعدّه في الأشياء المذخورة له عند الله تعالى. والأصل الثاني: الكفاية، والثالث: الحسبان، وهي جمع حُسْبَانَة وهي الوسادة الصغيرة، والرابع: الأحسب الذي ابيضت جلده من داء ففسدت شعرته. فتحسب يأتي

بمعنى: توسد وتعرف وتوحنى واستخبر.

ورد لفظ حسب باشتقاقاته في (١١٠) مواضع، على خمسة أوجه، هي:

العدّ: ﴿لِنَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْنِينِ وَالْحِسَابِ﴾ [يونس: ٥]. والمناقشة والمجازاة:

﴿فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ [الطلاق: ٧]، والكفاية: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [التوبة: ١٢٩]، والرقيب: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]، والظن: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

والحسبان الذي يكون بمعنى الظنّ، يأتي بمعنى اليقين، والحسيب؛ بمعنى المحاسب وبمعنى الكافي والمعطي، والحسبان أحد مراتب الظنّ، أتى بصيغ عدة غالبها في سياق الاستفهام ﴿أَفَحَسِبَ﴾ و﴿أَحْسِبَ النَّاسُ﴾، ﴿أَمْ حَسِبَ﴾، ﴿أَيَحْسَبُ﴾ فكان في أغلبها صيغ للفظ "حسب". وجاء بمعنى المحاسب وبمعنى الرقيب، كما أنّ للحساب أوجهاً قد تشمل كل ما ورد سلفاً، ففي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢] فيه أوجه، هي: يعطيه أكثر ممّا يستحقه. ويعطيه ولا يأخذه منه. ويعطيه عطاء لا يمكن للبشر إحصاؤه. ولها أصلان: الأول: إذا كان فعلها الماضي مفتوح العين، مضمومها في المضارع فهو بمعنى العد. الثاني: إذا كان فعلها الماضي مكسور العين أو مفتوحها، مكسورها في المضارع فهو بالمعنى المقارب للظنّ.

## ٢٨- مفهوم الجهل:

(ج ه ل) أصلان: أحدهما خلاف العلم والآخر خلاف الظمأنينة.

الأول: الجهل نقيض العلم ويقال للمفازة التي لا علم بها، مجَّهَل. والثاني: قولهم للخشبة التي يجرّك بها الجمر مجَّهَل، ويقال استجهلت الريح الغصن

إذا حركته فاضطرب. والمجهلة: الأمر الذي يملك على الجهل، ويقال  
 جَهْلٌ جَهْلًا وَجَهَالَةً، وَتَجَاهَلٌ فَهُوَ جَاهِلٌ وَجَهُولٌ وَجُهَّالٌ وَجُهَّالَةٌ، وناقاة  
 مجهولة: لا سمة عليها واستجھله: استخفه، وتجاهل: أرى من نفسه ذلك  
 وليس به. وقد ورد لفظ الجهل باشتقاقاته في أربعة وعشرين موضعاً، على  
 أربعة أوجه، هي: ضد العلم: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْقُفِ﴾  
 [البقرة: ٢٧٣]. وضد الحلم: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾  
 [النساء: ١٧]. وكل زمان خلا من الرسالة الربانية: ﴿يَطُتُونَ بِاللَّهِ عِزَّ الْحَقِّ ظَنًّا  
 بِالْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] والكفر: ﴿قُلْ أَغْوَى اللَّهُ تَأْمُرُوفِي عَبْدٌ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ  
 ﴿٦٤﴾ [الزمر: ٦٤]. والجهل على ثلاثة أضرب: الأول: خلو النفس من العلم،  
 والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه. والثالث: فعل الشيء بخلاف ما  
 حقه أن يفعل، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هُزُؤًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ  
 مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، والجاهل تارة يذكر على سبيل الذم وهو  
 الغالب، وتارة لا. كقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْقُفِ﴾  
 [البقرة: ٢٧٣]؛ فالجهل هنا ليس صفة، بل انتفاء معرفته لهم فحسب.

## ٢٩ - مفهوم الباطل:

من بَطَلٌ، (ب ط ل) أصل واحد، وهو ذهاب الشيء وقلة مكنه ولبثه.  
 يقال: بَطَل الشيء يَبْطُلُ بَطْلًا وَيُطْوَلُ، والباطل ضد الحق، جمعه أباطيل، وقد  
 ورد لفظ الباطل باشتقاقاته في قرابة ستة وثلاثين موضعاً على خمسة أوجه،  
 هي: التكذيب: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [السجدة: ٤٢]  
 والإحباط: ﴿لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] والشرك: ﴿وَقُلْ

جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ [الإسراء: ٨١]. والظلم: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]. وصدّ الحق: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَكَانَ الْبَاطِلُ الْحَقَّ وَانْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]. فالباطل نقيض الحق: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]. ويقال ذلك في المقال والفعال، ويقال في المُستَقْبَلِ عَمَّا يَعُودُ بِنَفْعِ دُنْيَوِيٍّ أَوْ آخِرَوِيٍّ.

### ٣٠- مفهوم الهوى:

(ه و ي) أصل صحيح يدلّ على خلو وسقوط. أصله الهواء بين الأرض والسماء؛ سميّ لخلوه، يقال: هوى يهوي: سقط. وهواية جهنم؛ لأنّ الكافر يهوي فيها. وهوى النفس من المعنيين جميعاً؛ لأنه خال من كل خير، ويقال: هويتُ أهوى هوىً. والهوى: العشق يكون في الخير والشر وإرادة النفس، وذهبت بهواه؛ أي بعقله.

ورد لفظ الهوى باشتقاقاته في ثمانية وثلاثين موضعاً على خمسة أوجه، هي: نزل: ﴿وَالنَّجْوَى إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ [النجم: ١]؛ ﴿فَأَجْمَلْ أَعْدَةَ رَبِّكَ النَّاسِ يَهْوَىٰ إِلَيْهِمْ وَارْتُفَهُمْ مِنَ الْعُرَاتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. والشهوة: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]. وهلك: ﴿وَمَنْ يَحِلِّدْ عَلَيْهِ عَصْبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه: ٨١]. والجو: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْقِدْتَهُمْ هَوَاءً ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٣]. والذهاب: ﴿فَتَحَطَّمْتُمُ الطَّيْرَ أَوْ تَهَوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]. والهوى سقوط من علوّ إلى سفلى. وفي قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿١﴾﴾ [القارعة: ٩]؛ واسمها الهاوية؛ لأنها تهوي بصاحبها في قعر جهنم وهي إحدى دركات النار. وفي الآية ﴿وَأَفْقِدْتَهُمْ هَوَاءً ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٣]؛ أي

خالية عن العقل والفهم لما شاهدوا من الفزع والحيرة والدهشة، ومثلها في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَرْمُوسَىٰ فَدَرِيًّا﴾ [الفصص: ١٠]؛ لشدة خوفها على وليدها. والغالب على استعمال الهوى في القرآن هو في مقام الذم، والأهواء ما اشتتهه الأنفس من أمور قلبية معنوية أو جسدية أو مادية، ونهايته سيئة، فالهوى رغبات تتأثر بجنوح النفس نحو الدنيء من الأمور من غير ترو ولا تفكير ولا تعقل، كما أنها أمور تخالف الحق. والهوى خلاف العلم ﴿وَلَكِنَّ أَتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْعَلِمِ إِلَيْكَ إِذَا لَوْنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وخلاف الحق ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

### ثالثاً: مفاهيم الوحي:

#### ١ - مفهوم الوحي:

الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء. فالوحي: الإشارة والكتاب والرسالة والسريع، والوحي: الصوت والإلهام والكلام الخفي. وتوحي: أسرع، وشيء وحي: عجل مسرع، واستوحاه: حرّكه ودعاه ليرسله واستفهمه، ووحاه توحية: عجله.

ورد لفظ الوحي بصيغته تسعاً وسبعين مرة على خمسة أوجه، هي: الإشارة: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَخِّبُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، والوسوسة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، والإلهام: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَرْمُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [الفصص: ٧]. والتسخير: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]. والكلمة الإلهية: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [النساء: ١٦٣].

ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وحي، ﴿وَمَا كَانَ لِإِسْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِهِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ﴾ [الشورى: ٥١]. فالوحي يكون بمشاهدة الرسول وسماع كلامه، كتبليغ جبريل عليه السلام. وبسماع كلام من غير معاينة، كسماع موسى كلام الله. وباللقاء في الروع. أمّا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٧٣]؛ وحي إلى الأمم بوساطة الأنبياء المرسلين إليهم، وقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ﴾ [المائدة: ١١١]؛ وحي بوساطة عيسى عليه السلام. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]؛ فالوحي المنسوب إلى الشيطان وغيره هو بمعنى الإلقاء، فكل ما يلقى إلى الغير هو وحي. وكما هو وارد في حق الأنبياء ورد في حق الأولياء وسائر الناس بمعنى الإلهام وفي البهائم بمعنى التسخير.

## ٢ - مفهوم الإلهام:

من لهم، (ل ه م) أصل صحيح يدل على ابتلاع شيء، : إلتهم الشيء: إلتقمه. وأهمه الله تعالى خيراً لقنه إياه. والإلهام ما يلقى بطريق الكسب أو بطريق التنبيه في الروع. وهو ما يبدو في القلب من المعارف بطريق الخير ليُفْعَلَ، وبطريق الشر ليُتْرَكَ. وقد ورد الإلهام مرّة واحدة في القرآن بلفظه في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧، ٨]؛ أي بيّن لها ما ينبغي أن تأتي أو تذر من خير أو شر أو طاعة أو معصية. والإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكل مؤمن قد ألهمه الله رشده الذي حصل له

به الإيمان. فهو تَلَقَّى الخبر من الله بالقذف في القلب من غير نظر ولا استدلال، وهو ما يَخْلَفُه في قلب المؤمن العاقل من العلم الضروريِّ الداعي للعمل المرغوب فيه لتحقيق الخير والهداية.

ويعبر عنه لغير الرسل، وَلَمَّةُ الْمَلِكِ، والنفث في الروح. فهو اسم لما يهجس في القلب من الخواطر، فيتنبه ويفهم المعنى بأسرع ما يمكن؛ ولذا يقال فلان ملهم إذا كان يعرف بمزيد فطنته وذكائه ما لا يشاهده. والوحي من خواص النبوة، أمَّا الإلهام فأعم. ويحصل الوحي بوساطة ملك أو كلام مباشر أو نفث في الروح، أمَّا الإلهام فهو الإيقاع في القلب؛ حيث يدرك الحَقَّ من غير استدلال تامٍّ ولا نظر مجهد في حجة. والإعلام أعمُّ من الإلهام لأنه قد يكون بتنبيه وبيان.

### ٣- مفهوم اللطف:

(ل ط ف) أصل صحيح يدلُّ على رفق ويدلُّ على صغر في الشيء. فاللطف الرفق في العمل، واللطيف من أسماء الله تعالى، وهو بمعنى البرِّ بعباده المحسن إلى خلقه بإيصال المنافع إليهم برفق ولطف، أو العالم بخفايا الأمور ودقائقها. واللطيف من الكلام ما غمض معناه وخفي، وتلطفتُ بفلان: احتلت له حتى اطلعت على أسراره.

ورد لفظ اللطف في ثمانية مواضع، واللطيف هو العالم بما لطف ودق، ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ فاللطيف من كان فعله في الدقة والخفاء حيث لا يهتدي إليه غيره، كما في قوله تعالى:

﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩].  
واللطف يعبر عنه بالخفة، واللطائف ما لا تدركه الحواس. وجاء اسم  
اللطف مقترناً بالخبير. فاللطف العالم بخفايا الأمور ودقائقها، أمّا الخبير  
فهو العالم بظواهر الأمور ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

#### ٤ - مفهوم الرسالة:

(ر س ل) أصل واحد مطرد مُنْقَاس، يدلّ على الانبعاث والامتداد.  
فالرَّسَل: السَّيْرُ السَّهْلُ، أو ما أُرْسِلَ من الغنم إلى الرعي. وجاء القوم  
أرسالا: يتبع بعضهم بعضاً. والرَّسُولُ معروف، والمرسلات: الرياح.  
والترسيل في القراءة: الترتيل. وترسّل في قراءته.

ورد لفظ الرسالة باشتقاقه قرابة (٥١٣) مرّة على سبعة أوجه، هي:  
سَلَطْنَا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَوْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَهُّمًا أَرَأَيْتُمْ أَزْوَاجَهُمْ﴾ [مريم: ٨٣]. والبعث:  
﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩]. والفتح: ﴿وَمَا يُمَسِّكُ فَلَا تُرْسِلُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾  
[فاطر: ٢]. والإخراج: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوهُنَّ لَنَهْمٍ﴾ [القمر: ٢٧]. والتوجيه:  
﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَلَأَيْنِ خَبِيرَيْنِ﴾ [الشعراء: ٥٣]. والإطلاق والإفراج: ﴿أَنْ  
أَرْسِلَ مَعًا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٧]؛ والإنزال: ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [١١]  
[نوح: ١١]. فأصل الرسل الانبعاث على تودة، يقال: إبل مراسيل منبعثة انبعاثاً  
سهلاً، ومنه الرسول؛ أي المنبعث. ويقال للواحد والجمع: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ  
رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وفي الجمع: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
﴾ [الشعراء: ١٦]. وجمع الرسول رسل، ورسَل الله يراد بها الملائكة، أو  
الأنبياء. فمن الملائكة في: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ بَصُلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١]. ومن

الأنبياء: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

## ٥- مفهوم النبأ:

(ن ب أ) قياسه الإتيان من مكان إلى مكان، يقال للذي يَنبأ من أرض إلى أرض نَابِئٌ، والنبأ: الخبر؛ والمنبئُ المخبر. والنبَّاءُ: المخبر عن الله تعالى. والجمع أنبياء، والاسم النبوءة وتنبأ ادَّعَاهَا، ونبأ ونُبوءاً: ارتفع. والنبأُ الصوت الخفي. والنبأُ: الخبر الخفي، الذي يكون ذو فائدة عظيمة يحصل به علم وغلبة ظن، ولا يُقال للخبر نبأً حتى يتضمَّن هذه الأشياء، وحقَّ الخبر الذي يقال فيه نبأً أن يتعرَّى عن الكذب.

ورد لفظ النبأ باشتقاقه في مائة وستين موضعاً، وقد جاء بصيغة الماضي والمضارع، والجمع والمفرد والفعل والاسم: ولم تخرج كلُّها عن دلالتها المعجمية وهي إفادة الخبر العاري عن الكذب. منه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَاهَايَهُ﴾ [التحریم: ٣]، ﴿قُلْ أُوْنِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ دَالِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥]، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].

## ٦- مفهوم النبوة:

سبق دراسته مع مفهوم النبأ. والنبوة سفارة بين ذوي العقول من عباده لإزاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم. والنبِّيُّ لكونه منبئاً بما تسكن إليه العقول الذكيّة. وهو أقل درجة من الرسول، والنبوة اصطفاء من الله تعالى وليست كسباً، وعلومها إلهية لا دخل للعلوم البشرية بها.

## ٧- مفهوم الإيمان:

من أمن، (أ م ن) أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سكون القلب. والآخر: التصديق. يقال: أمنت الرجل أمناً وأمنةً وأماناً، وأمّنتي يؤمنني إيماناً، والمؤمن هو المؤمن لأولياته من العذاب، والإيمان: الثقة وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة. وقد ورد لفظ الأمن باشتقاقه في (٨٧٥) موضعاً على أربعة أوجه، هي: الإقرار باللسان في العلانية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ [المنافقين: ٣]؛ يعني أقرّوا علانية ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ سرّاً. ومنها التصديق في السرّ والعلانية، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ﴾ [البينة: ٧] والتوحيد: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِلَٰهِينَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥]. والإيمان مع الشرك: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

فالإيمان يستعمل تارة اسماً للشريعة التي جاء بها محمد ﷺ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰنِئِينَ وَالصَّٰنِئَاتِ﴾ [البقرة: ٦٢]، ويوصف به كل من دخل في شريعته مقراً بالله وبنبوته وعلى هذا قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، ويستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحقّ على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق القلب، وإقرار اللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول الصدق والعمل الصالح إيمان. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي صلاتكم. وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، بمصدق لنا. وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَلْبَسُوا بِالنِّسَاءِ﴾ [النساء: ٥١] مذكور

على سبيل الذم لهم، وأنه قد حصل لهم الأمن بما لا يقع به الأمن؛ وكقوله: ﴿مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦]. فالإيمان المعدى إلى الله تعالى معناه التصديق الذي هو نقيض الكفر، ويعدى بالباء لأن من دأبهم حمل النقيض على النقيض، وفي مؤمن مع التصديق إعطاء الأمن في المصدق، واللام مع الإيمان في القرآن -غير الله- لتضمين معنى الاتباع والتسليم. وهو عرفاً: الاعتقاد الزائد على العلم، كما في التقوى، فهو تصديق وانقياد، وهو إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان. فهو معرفة وعلم وعمل ويقين، كلما زادت درجة العلم زاد العمل، وكلما زاد العمل زاد اليقين. وهو يزداد بطاعة الرحمن وينقص باتباع خطوات الشيطان، ولا يتم الإيمان إلا بتلقي المعرفة من مشكاة النبوة وتجريد الإرادة عن شوائب الهوى وإرادة الخلق، فيكون علمه مقتبساً من مشكاة الوحي، وإرادته لله والدار الآخرة.

## ٨- مفهوم الغيب:

(غ ي ب) أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون، ومنه الغيب، يقال غابت الشمس تغيب غيبة، والغيب: الشك، وكل ما اطمأن من الأرض وانخفض، وغيابة كل شيء ما تترك منه.

ورد لفظ الغيب باشتقاقه ستين مرة على (١١) وجهاً هي: الله ويوم القيامة: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] والظلمة: ﴿وَأَلْفَوْهُ فِي غَيْبَاتِ الْجِبِّ﴾ [يوسف: ١٠]. وموت سليمان: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ ﴿١٤﴾ [سبأ: ١٤]. والموت: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾

مِنَ الْخَيْرِ ﴿ [الأعراف: ١٨٨]. وخزائن المطر: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. واللوح المحفوظ: ﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَوْ آخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ ﴿ ٧٨ ﴾ [مریم: ٧٨]. والنفس والمال: ﴿ فَأَلْصَقَ لِحَدِّثِ فَنِدْنَتْ حَافِظَتُ لِلْغَيْبِ ﴾ [النساء: ٣٤] ونزول العذاب: ﴿ عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ ﴿ ٦١ ﴾ [الجن: ٢٦]. والظن: ﴿ وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ﴿ ٥٢ ﴾ [سبأ: ٥٣]. والغيبة: ﴿ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات: ١٣]. والوحي: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَافٍ ﴾ ﴿ ٢٤ ﴾ [التكوير: ٢٤].

فالغيب كل ما استترت عن العين، واستعمل في كل غائب عن الحاسة وعمّا يغيب عن علن الإنسان بمعنى الغائب. وقوله تعالى: ﴿ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [الرعد: ٩]؛ أي ما يغيب عنكم وما تشهدونه. والغيب في قوله: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣] ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بدهة العقول، وإنما يعلم بخبر الأنبياء، وقيل: يؤمنون إذا غابوا عنكم وليسوا كالمنافقين، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ [المائدة: ٩٤]، ﴿ ذَلِكَ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿ ٦ ﴾ [السجدة: ٦]، ﴿ عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ ﴿ ٦١ ﴾ [الجن: ٢٦]. وقوله في صفة النساء الصالحات: ﴿ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء: ٣٤]؛ أي لا يفعلن في غيبة الزوج ما يكرهه. والغيب على قسمين: قسم نُصب عليه دليل، فيمكن معرفته كذات الله وأسمائه الحسنی وصفاته العلية وأحوال الآخرة، وقسم لا دليل عليه، فلا يمكن للبشر معرفته، ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

## ٩ - مفهوم القضاء:

من قضى، القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح، يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته. والقضاء الحكم؛ وسمي القاضي بذلك، لأنه يحكم الأحكام وينفذها. والقضية هي الصنع والحتم، والبيان، والقاضية: الموت، وقد ورد لفظ قضاء باشتقاقه ثلاثاً وستين مرة على عشرة أوجه، هي:

وصى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، والخبر: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَدِّينَ﴾ [الإسراء: ٤]. والفراغ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، والفعل: ﴿لَيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]. والموت: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]. والوجوب: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [٤١] [يوسف: ٤١].

وكتب: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [١١] [مريم: ٢١]، ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [٧١] [مريم: ٧١]. وأتم: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ﴾ [القصص: ٢٩]؛ والفصل: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩]، [الزمر: ٧٥]، [النمل: ٧٨]. والخلق: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]. فأصل القضاء الحسم والوجوب، ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: ٤]؛ أي أعلمناهم، والحتم وثيق الصلة بالأمر المقطوع به، ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦]؛ أي أخبرناه. والقضاء من الله تعالى أحص من القدر، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع.

## الفصل الثالث:

### مفاهيم الطرق المعرفية: العقل والحس

أولاً: مفاهيم العقل:

١ - مفهوم العقل:

(ع ق ل) أصل واحد، يدلُّ على حُبسة في الشيء، قال الخليل: العقل نقيض الجهل يقال: عَقَلَ بعقل عقلاً، وجمعه عُقُول. ورجل عاقل وقوم عقلاء وعاقلون، ورجل عَقُول إذا كان حسن الفهم وافر العقل، وما له معقول؛ أي عقل. والعاقله القوم تقسم عليهم الدية في أموالهم حين قتل الخطأ، وهم بنو عم القاتل، والمَعْقَل: الحصن، والصدقة يقال لها عِقال. قال الأصمعي: عَقَلَ الظبي يَعْقِل عُقُولاً، إذا امتنع في الجبل، وعَقَلَ الطعام بطنه إذا أمسكه. واعتَقِل لسان فلان إذا احتبس عن الكلام. والعقل له معانٍ كثيرة، هي: العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكما لها ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين وشرّ الشرين، والمعقول ما تعقله في فؤادك، وسمي العقل بذلك لأنه يعقل صاحبه عن اتباع شهواته، وقد ورد لفظ العقل بصيغته تسعاً وأربعين مرّة، واسم العقل لم يرد قط في القرآن الكريم وإنما يوجد ما تصرف منه نحو: "عقلوه" ورد مرّة واحدة، و"تعقلون" و"يعقلون" ستاً وأربعين مرة، "نعقل" و"يعقلها" مرّة واحدة لكل لفظ، فكل الصيغ فعلية.

وورد بصيغة "أفلا تعقلون" في ثلاثة عشر موضعاً، ﴿وَلَهُ اخْتِلَافٌ آلِيلٍ وَالتَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [المؤمنون: ٨٠]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

﴿١٧﴾ [النحل: ٦٧]؛ والعقل صفة أكثر منه مصدرًا في القرآن، والدليل هو نفيه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]؛ أي لا يمنعهم عقلهم من القبائح، ولا يردعهم عن الفواحش، وقيل: لا يعقلون ما لهم من ثواب لو استجابوا لله ورسوله. فالنفي لا يعني انتفاء العقل، بل النفي يقع على درجة الاستجابة والامتثال، فهم يفهمون عن الله ورسوله، لكن لا يستجيبون إماماً كبراً أو لعدم اقتناعهم، والحجة قائمة عليهم بالفهم لا بالاعتناع. وسمي العقل عقلاً لأنه يزم اللسان ويخطمه عن أن يمضي فرطاً في الجهل والخطأ والمضرة كما يعقل البعير. والعقل عند أهل النظر جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله، وهو النفس الناطقة التي يشير إليها كل واحد بقوله أنا، وقيل: هو نور في القلب يعرف الحق والباطل. وهو على أربعة معانٍ: الأول: الوصف الذي يفارق به الإنسان سائر البهائم، والثاني: ما وضع في الطباع من العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات. والثالث: علوم تستفاد من التجارب تسمى عقلاً، والرابع: أن منتهى قوته الغريزية إلى أن نسمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة، والناس يتفاوتون في هذه الأحوال. فالعقل هو القوة المتهيئة لقبول وتمييز المعلوم، ويقال للعلم كذلك عقلاً.

## ٢- مفهوم الحجر:

(ح ج ر) أصل واحد مطرد، وهو المنع والإحاطة على الشيء. فالْحَجْرُ حَجْرُ الإنسان وقد تكسر حاؤه، ويقال: حَجَرَ الحاكم على السفیه حَجْرًا، منعه من التصرف في ماله. والعقل يسمّى حَجْرًا لأنه يمنع من إتيان ما لا ينبغي، وسمي عقلاً تشبيهاً بالعقل. وقد ورد في القرآن الحجر بمعنى العقل مرّة

واحدة في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]، لذي عقل. وذلك أن الأصل في الحجر المنع كما الأصل في العقل، فاجتمعا في معنى الإمساك.

### ٣- مفهوم النهي:

(ن هي) أصل صحيح يدل على غاية وبلوغ، والنهية العقل لأنه ينهى عن قبيح الفعال، والجمع نهي، وقيل سمي العقل بذلك لأنه ينتهي إلى ما أمر به، ونهية كل شيء غايته والنهاية كالغاية والإنهاء: الإبلاغ. ورجل منتهأ: عاقل حسن الرأي فهو نهى ونه من قوم نهيين.

ورد اللفظ مجموعاً في موضعين: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ [طه: ٥٤] أي لذوي العقول. وخصّ أولي النهى بذلك لأنهم المنتفعون بها. فحقيقة المنتفعين بآيات الله هذه هم المنتهون، لإدراكهم الأدلة العقلية التي أوردها الله تعالى حجة عليهم بيقين بعثهم بعد الموت، كما بعث النبات بعد موت الأرض وكما أنشأهم من العدم. فالنهي هي العقول الناهية عن القبائح المنتهية إلى غاية الأوامر الإلهية.

### ٤- مفهوم القلب:

(ق ل ب) أصلان صحيحان، أحدهما: يدل على خالص الشيء وشريفه، والآخر على ردّ الشيء من جهة على جهة. فالأول: قلب الإنسان وغيره، سمي لأنه أخلص شيء فيه وأرفعه؛ والثاني: قلبت الثوب قلباً، والقلب: يُقَلَّبُ الأمور ويحتال لها، وهو الفؤاد أو أخص منه.

ورد لفظ القلب في الإنسان في القرآن مائة واثنين وثلاثين موضعاً على ثلاثة أوجهه، هي: العقل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]. والرأي: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]؛ فالقلب يطلق على المضغة الصنوبرية، سميت بذلك لما فيها من العقل والرأي وسرعة الخواطر والتلون في الأحوال، وهو النفس المدركة للعالمة من الإنسان للمطالب والمعاتب والمعاقب. قال الحكماء حينما ذكر الله القلب إشارة إلى العقل والعلم، وحينما ذكر الصدر إشارة إلى سائر القوى من الشهوات والهوى والغضب ونحوها. والقلب يعبر عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة والخوف والمرض.

وقد وردت له أوصاف كثيرة في القرآن الكريم، منها: الفظ، الغليظ، السليم، المتكبر، الجبار، المنيب، الآثم، المطمئن، المريض، الربط، الرعب، التقوى، القلب، الاشتمزاز، القفل، السكينة، الرأفة، الرحمة، الوجوف، الصغو، القسوة، الكسب، الألفة، التعمد، العقد، الغل، الشرب، الحسرة. ومن هذه الأوصاف ما يعد أوصافاً علمية مثل: الغفلة، الهداية، الفقه، الطبع، الزيع، العقل، العمى، الختم، الطهارة، التزين، الإيوان، الغلق، الارتياب، النفاق. وأغلب ما ورد من القلب في المعنويات والأخلاق. فورد مفرداً في تسعة عشر موضعاً، ومثنى مرة واحدة، ومائة واثنى عشرة مرة مجموعاً، وجاء في أغلبها دالاً على العقل والرأي الراجح ومصدر المعرفة والفهم والفقه ومحل الإدراك والتمييز، وهو محل الجهل والظن والغفلة والارتياب والشك والطمأنينة والإيمان والإسلام والكفر والنفاق.

## ٥ - مفهوم اللب:

(ل ب) أصل صحيح يدل على لزوم وثبات، وعلى خلوص وجودة. فالأول أَلَبَّ بالمكان إذا أقام به، يَلُبُّ إلباباً. والتلبية قولك: كَيْبِكَ، قالوا: معناه أنا مقيم على طاعتك. أما المعنى الآخر: اللُّبُّ معروف من كل شيء، وهو خالصه وما ينتقى منه. ولذلك سَمِّيَ العقل لباً، ورجل لبيب؛ أي عاقل. واللُّبُّ: القلب والعقل وموضع القلادة من الصدر. وقد ورد بصيغة الجمع فقط في ستة عشر موضعاً، كلها بمعنى العقل الراجح الذكيّ. فاللب خالص الشيء، ولا يوصف به في القرآن إلا أهل الإيمان الذين هم خاصة عباد الرحمن: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: ٧٧]. وذوي الألباب اختصوا بصفات هي التقوى والتذكر، فاقترنت التقوى بذوي الألباب في أربعة مواضع، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة: ١٧٩]، ﴿وَتَكَرَّوْا فإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الْقَوَىٰ وَأَتَّقُوا يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧]. واقترنت الذكرى مع أولي الألباب في عشرة مواضع منها: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ﴿إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾﴾ [الرعد: ١١٩]. واقترنت العبرة معه في: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

وإن وظيفة اللب في القرآن الكريم هي التذكير المؤدي إلى التقوى، والعبرة المترتبة عن التذكرة المنتجة للاعتبار والامثال بالتقوى. ولم يرد لفظ اللب في القرآن كله إلا مجموعاً دالاً على أنه خاصّة الإنسان، وفائدته، وهو حياته العقلية المتمكّن والاعتبار والتقوى حتى جعل أصحابه خاصّة

الأولياء، فاللب العقل الخالص من الشوائب وخالص المعاني الإنسانيّة، وقيل هو ما زكّي من العقل فكّل لب عقل وليس كلّ عقل لباً؛ لذا علقت الأحكام التي لا يدركها إلا ذوو العقول الزكيّة من أولي الألباب.

## ٦ - مفهوم الفؤاد:

(ف أ د) أصل صحيح يدلّ على حمى وشدّة حرارة. فأذت اللحم: شويته. والفؤاد، سمّي بذلك لحرارته. وافتأد فلان: أصاب فؤاده الخوف، وهو للقلب مذكّر، فالقلب موجود داخل الفؤاد، والمفأد: الحديدية التي يُفأد بها اللحم. وقد ورد الفؤاد في ستة عشر موضعاً من القرآن الكريم، بمعنى القلب، وقيل: الفؤاد وسط القلب، وقيل: غشاء القلب، واختلف في ترادفها. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَهُ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الملك: ٢٣). فالقلب لم يجمع مع قوى المعرفة بل مع الأدوات الأذن والعين، وإن ذكر السمع والبصر فمتفق على أنّ المراد الجارحة لا قوتها. وقد جمع الفؤاد مع غيره في مقام المدح فقط كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨). والأفئدة جمع فؤاد وأصله القلب ويطلق كثيراً على العقل وهو المراد هنا.

## ٧ - مفهوم الصدر:

(ص د ر) أصلان صحيحان: أحدهما يدلّ على خلاف الوِرد، والآخر صدر الإنسان وغيره. فالأول قولهم: صدر عن الماء، أمّا الآخر فالصدر للإنسان والجمع صدور. والصّدُرُ أعلى ومقدم كلّ شيء وأوله وكلّ ما واجهك، وصدور الوادي: أعاليه ومقادمه.

ورد لفظ الصدر بمعنى صدر الإنسان في أربعة وأربعين موضعاً كلها كان فيها محلاً للإرادة والشهوات والإيثار والكفر والعلم والمعرفة. ولم يُرد به الجارحة، وحيثما ذكر الله تعالى القلب فإشارة إلى العقل والعلم، وحيثما ذكر الصدر فإشارة إلى ذلك، وإلى سائر القوى من الشهوة والهوى والغضب والخوف والرعب. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿٤٦﴾ [الحج: ٤٦]؛ أي العقول، كما في قوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٥٤﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فالتمحيص للقلوب، والتفريق في المبنى والتركيب دليل على افتراق في المعنى لاختلاف الوظيفة، فالصدر مركز الحفظ والذاكرة والإسلام والكفر. والقلوب مراكز العقل والتميز والتذكير باسترجاع ما في الذاكرة والحافظة التي مقرّها الصدر، قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ [العنكبوت: ١٠]، وأدّل منها قوله: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنِتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وأعطيت للصدر في القرآن من المحفوظات والعقائد، واقرن بالانشرّاح ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦]. وقد وصفت الصدر بأنها تخفي وتكن وتُحْصِرُ، وهذه الصفات لا تكون إلا للمعارف وعلوم واعتقادات. والصدر محلّ الوسواس: ﴿الَّذِي يُوسَّوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ﴿٥﴾ [الناس: ٥]، فالشيطان لا يوحى إلا بمعارف وظنون ليضل، كذلك من صفات الصدر الضيق والغل، وهو مركز الحاجات، والرغبة، والقلب مركز الرعب. وهو محلّ الكِبَرِ والانشرّاح والشفاء؛ ووصف القلب بأنه سليم ويمرض، والصدر بالابتلاء والقلب بالتمحيص.

## ٨- مفهوم الفقه:

(ف ق هـ) أصل واحد صحيح، يدلّ على إدراك الشيء والعلم به، وكلّ علمٍ بشيء فهو فقه. ثمّ اختص بكلّ عالم بالحلال والحرام، وغلب على علم الدين لشرفه. فالفقه هو الفهم بالعلم في الصنعة والفتنة والبيان والفهم. وقد ورد في القرآن من مادة الفقه الفعل لا المصدر في عشرين موضعاً، وهو أخصّ من العلم؛ ﴿قَالُوا يَنْشُعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]؛ أي ما نفهم وجه استدلالك ولم نقتنع بحججك، وإلا لما قامت عليهم الحجة بخطابهم؛ فهم أدركوا معنى كلامه وفهموه؛ لكن لم يقتنعوا بأنه أصحّ ممّا عندهم. والحجة تقوم بالفهم لا بالاعتناع. والفقه من أعمال القلب: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ﴿صَرَكَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]. والتفقه لم يرد إلا للكلام والقول والحديث ﴿وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مِن لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٧ - ٢٨]، ﴿فَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء: ٧٨]. أمّا في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، التفقه طلب للفقه الشرعي؛ أي التخصص لمعرفة الأحكام الشرعية. فالآية تحث المسلمين على أن يتفرغ أناس منهم؛ لطلب العلم الشرعي ويفقهوا أسراره، ثمّ يُعلّموا غيرهم، ويندروا قومهم.

## ٩- مفهوم الفهم:

(ف هـ م) علم الشيء. وعرفه بقلبه، وتفهمه: فهمه شيئاً بعد شيء، والفهم: تصوّر عميق للمعنى من لفظ المخاطب عند السماع أو الإشارة.

وقد ورد من المادّة الماضي المضعّف في ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّأْنَا حُكْمًا وَعَلَّمْنَا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، فهّمه: مكّنه من أن يفهم. وقد خصّ الله تعالى سليمان بفهم الحقّ في الواقعة التي شارك في الحكم بها دون داود، فأعطاه من قوّة الفهم ما أدرك به إصابة الحكم بإلهام إلهيٍّ أو وحي خصّ به، فالفهم سرعة الفطنة وتوقّدها، وقيل: هو هيئة للنفس يتحقّق به ما يكون حسناً وما يكون غير ذلك؛ بتصوّر الشيء من لفظ المخاطب، فهو تصوّر عميق للمعنى من الخطاب عند السمع أو الإشارة. وقيل إدراك خفيّ دقيق؛ لأن الإدراك في الفهم متفاوت وليس كلّ ما يفهم يعلم بل قد يظنّ ويخمن؛ فهو تصوّر المعنى من لفظ المخاطب، ويسبق في مراتب العلم التذكر، ثمّ الذكر، بعدهما يأتي الفهم الذي يليه الفقه.

## ١٠ - مفهوم الإحاطة:

من حوط (ح و ط) كلمة واحدة، وهو الشيء يطوف بالشيء، من حاطه حوطاً، وحاطه بمعنى: حفظه وصانه وتعهدّه، والحائط هو الجدار. وأحاط به: علمه، وقد ورد اللفظ بصيغته ثلاثاً وعشرين مرّة في القرآن الكريم على خمسة أوجه، هي: العلم: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ [الجن: ٣٨]؛ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. والجمع: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]. والإهلاك: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١]، ﴿وَأَحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ [الكهف: ٤٢]. والاحتواء: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٤]. والحفظ: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]. فالإحاطة هي الإحداق بالشيء والاشتغال عليه،

وهو مأخوذ من الفعل الرباعيّ اللازم والثلاثيّ حوط، فمن الرباعيّ ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل: ٢٢]؛ والإحاطة بالأمر علماً: أن يعلم وجوده وحسنه وقدره وكيفيته وغرضه المقصود به وبإيجاده، وما يكون هو منه وذلك ليس إلا من الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩] فنفي ذلك عنهم، والله أحاط بكلّ شيء علماً دونهم، فتكذيبهم من عجزهم وجهلهم وضعف حجّتهم في ردّ القرآن، فلو أحاطوا به علماً وفهموه حقّ فهمه لأذعنوا بالتصديق له، وقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨] تنبيه على أنّ الصبر التام إنما يقع بعد إحاطة بالشيء علماً، وذلك صعب إلا بفيض إلهيّ.

## ١١ - مفهوم التمحّيص:

من محص (م ح ص) أصل واحد صحيح يدلّ على تخليص شيء وتنقيته. ومحصّه محصاً: خلّصه من كلّ عيب. ومحص الذهب بالنار: أخلّصه مما يشوبه. والتمحّيص: التنقية والاختبار والابتلاء. وقد ورد اللفظ مرّتين ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِيْنَ﴾ [١٤١] [آل عمران: ١٤٧]. ﴿وَلِيَنْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُوْرِكُمْ وَيُلْمِصَّ مَا فِي قُلُوْبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. فهو تعالى يمحّص المؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم بابتلائهم بالشدائد. والآية الأخرى فكان التمحّيص للقلوب، مصدر المعرفة وذاك بالاختبار؛ فالتمحّيص يقال في إبراز شيء عن ما هو متّصل به، وهو هنا كالتزكية والتطهير والفحص، غير أنّ الفحص يقال في إبراز شيء عمّا هو منفصل عنه، والمحص عمّا هو متّصل به.

## ١٢ - مفهوم التمييز:

من ميز (م ي ز) أصل صحيح يدل على تزييل شيء من شيء. وميزته تمييزاً وميزته مِيزاً وامتازوا تميز بعضهم من بعض. فميز الشيء فضل بعضه عن البعض، فهو بمعنى الفرز والعزل.

ورد اللفظ في أربعة مواضع بصيغة الفعل فقط، كلها بمعنى الفرز والعزل، فالتمييز قوة عقلية لإدراك الفروق واستيعاب المتشابه. بمعنى أن المتكلم يميز هذا الجنس من سائر الأجناس التي توقع الإبهام. ويبيّن التمييز عند الفقهاء وقت عرفان المضار من المنافع. والتمييز بين المشتبهات نحو ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ أَلْحَيْثَ مِنْ أَلْطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧]. وفي المختلطات نحو ﴿وَأَمْتَرُوا أَلْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩].

## ١٣ - مفهوم التفكير:

(ف ك ر) تردد القلب في الشيء، يقال: تفكّر إذا ردّد قلبه معتبراً. وقيل: إعمال النظر في الشيء؛ ورجلٌ فكّيرٌ: كثيرُ الإقبال على التفكير. وقد ورد لفظ التفكير بصيغته ثمان عشرة مرّة، والتفكّر تصرّف القلب بالنظر في الدلائل فيما يمكن أن يحصل له فيه صورة؛ لذا كان الله تعالى منزهاً عن التفكير في ذاته. ولم يرد في القرآن اللفظ بالمصدر، لكن ما تصرّف منه من أفعال، والتفكّر والتذكّر والتدبّر والتأمل والاستبصار والاعتبار معانٍ متقاربة تجتمع في شيء وتفترق في شيء. وقد نوع القرآن بين الآيات الأمرية بالتفكّر في ميادين شتى كالخلق، من خلق السموات والأرض وخلق ما بينهما وما فيهما: ﴿أَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِسْماً وَوَعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا

خَلَقَتْ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ ﴿ [آل عمران: ١٩١]. كما دعا إلى التفكر في اختلاف ألوان الناس وتعدد لغاتهم مع أن خلقهم من أصل واحد: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾ [الروم: ٢١] فجعل الزواج والتناسل وإلقاء المودة بين طرفين مختلفين من الآيات التي يجب التفكر فيها.

#### ١٤ - مفهوم التدبر:

من دبر (د ب ر) أصل واحد، وهو آخر الشيء وخلفه، وتشذ عنه كلمات يسيرة. والتدبر خلاف القبل. والتدبير أن يدبر الإنسان أمره، والتدبير عتق الرجل عبده أو أمته عن دُبر. والتدبر النظر في عاقبة الأمر. والتفكر فيه. وقد ورد لفظ دبر في ستة وأربعين موضعاً على ستة أوجه، منها: الظهور: ﴿ فَلَا تُؤْتُوهُمْ آلِ الدُّبَارِ ﴿١٥﴾ [الأنفال: ١٥]؛ و ﴿ وَمَنْ يُؤْمِرْ بِيَوْمِكُمْ حَيْثُ دَبَّرْتُمْ ﴾ [الأنفال: ١٦]. وأديان الآباء الباطلة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا عَلَىٰ آذُنَيْهِمْ ﴾ [محمد: ٢٥]، وعقيب الشيء: ﴿ وَمَنْ آيَلٌ فَسَيْحُهُ وَأَذْبَرُ الشُّجُودِ ﴿٤٠﴾ [ق: ٤٠]. والذهاب: ﴿ وَأَيُّلٌ إِذْ أَذْبَرَ ﴾ [المدثر: ٣٣]. والأخير: ﴿ فَفَطِّعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [الأنعام: ٤٥]؛ أي أصلهم إلى آخرهم. والتفكر: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الَّذِينَ آذَنُوا ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الَّذِينَ آذَنُوا ﴾ [محمد: ٢٤]. وتصريف الأمور: ﴿ وَمَنْ يُدْبِرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ [يونس: ٣١]، ﴿ يُدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [السجدة: ٥]. والتدبر هو النظر في عواقب الأمور، وتدبر الأمر تأمله، والنظر في أدباره، وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل. والتدبر في القرآن ورد بصيغتين "يتدبرون" و"يدبروا".

## ١٥ - مفهوم التذکر:

من ذکر (ذکر) أصلاً عنهما يتفرع كل الباب. الأول: هو الذکر خلاف الأثني. والآخر: ذكرت الشيء خلاف نسيته، ثم حصل عليه الذکر باللسان. والذکر: العلاء والشرف، والذکر: الحفظ للشيء، والتذكرة ما يستذكر به الحاجة، والاستذكار الدراسة والحفظ.

ورد لفظ ذكر باشتقاقه قرابة مائتين وأربع وسبعين مرة على ثمانية عشر وجهاً، هي: الخبر: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَىٰ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ [الأنبياء: ٢٤] والوحي: ﴿أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [القمر: ٢٥]. والقرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَلَّهِ لِحَافِظُونَ﴾ [١]. [الحجر: ٩]. والتوراة: ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ٧]. واللوح المحفوظ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. والبيان: ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ [١]. [ص: ١]؛ والتفكير: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧]؛ والصلاة: ﴿فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]. والتوحيد: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [طه: ١٢٤]. والشرف: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، والموعظة: ﴿فَلَمَّا سَأُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٤]. وإظهار الأمر: ﴿أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]؛ والتذكير بعد البيان: ﴿وَالذِّكْرَ إِذَا قَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكِّرُوا اللَّهَ فَأَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. والتكلم: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]. والعمل الصالح: ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا بَقِيَ﴾ [البقرة: ١٥٢]. والحفظ: ﴿حُدُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣]. وقيل: الذکر بمعنى الرسول.

وقد جاء في التصاريف تفسير الذكر على ستة عشر وجهاً في القرآن الكريم وذلك لضرورة تخصيص الدلالة تأدية للمعنى المراد، فقد جاء دالاً على الطاعة والعظة والقرآن والبيان والخبر، وجاء بمعنى التفكّر، وجاء من المادة لفظ "مذكر"، وبمعنى العلم في قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ [غافر: ٤٤]، وبمعنى الدراسة والحفظ في [البقرة: ٦٣]. أما التذكير فهو محاولة استرجاع الصور المحفوظة، وهو بالحقيقة التفات النفس إلى عالمها وتكوين صورة له في الذهن يُشهر بها، وضده الغفلة والنسيان. والتذكر يسبق الذكر، والتفكر والتذكر متقاربان، لأنّ التفكّر تأمل في ما علم، والتذكر استحضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد الذهول عنه أو غيبته كيما يتفكّر فيه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. فالتفكّر يُحصل العلم، والتذكر يحفظه ويزيده. وكل الصيغ وتراكيب الآيات التي فيها لفظ التذكر تنحصر في بيان أمور العقيدة، والمقارنة بين أهل الإيمان والكفر، والنظر في عواقب الأمور ومحاسبة النفس. وتأتي في الأغلب مرتبطة بأولي الألباب كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

## ١٦ - مفهوم الحفظ:

(ح ف ظ) أصل واحد يدل على مراعاة الشيء. يقال: حفظت الشيء حفظاً، وحفظ القرآن: استظهره، والله هو الحفيظ: الذي لا يعزب عنه شيء في السموات ولا في الأرض، والملائكة الحفظة: الذين يحصون أعمال العباد من الملائكة. والحفظ نقبض النسيان.

ورد اللفظ باشتقاقاته قرابة أربع وأربعين مرّة على ستة أوجه، هي:  
 العلم: في قوله تعالى: ﴿يَمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]. والصيانة  
 والعفة: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنَدَتُ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ يَمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].  
 والتعهد والحماية: ﴿وَحَفِظَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [الصافات: ٧]. والشفقة:  
 ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢]. والضمان:  
 ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكَتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [يوسف: ٦٣]. والشهادة:  
 ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَفِظِينَ﴾ [١٠] كِرَامًا كَنِينٍ﴾ [الانفطار: ١٠]. فالحفظ ضدّ النسيان،  
 وهو ضبط الشيء في النفس، أو هيئة للنفس التي بها يثبت ما يؤدي إليه  
 الفهم، والحفيظ من أسماء الله تعالى وهو الحافظ؛ فعيل بمعنى فاعل، ﴿قَالَ  
 أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾ [يوسف: ٥٥]؛ والحفاظة من أسباب  
 قوّة العقل؛ وضعفها ضعف في الذاكرة ونقص في المعرفة؛ والحفظ استحكام  
 المعقول في العقل، يلي الشعور والإدراك ويعقبه التذكّر والذكر في مراتب  
 وصول العلم. وقد ذم الله من يحفظ ما لا يفهم ولا يعي، حتى وصفوا بالحمار  
 يحمل أسفارا؛ أي يثقل ظهره بكتب لا يدري ما هي، كما أنّ العلم من غير  
 حفظ بناء على جرف هاو، وضعف في مقام الجدال، وقد ذم من يدّعي العلم  
 وهو لا يستوعب منه إلا الشتات؛ فالعلم ما حوى الصدر لا ما ملأ القمطر.

## ١٧ - مفهوم الوعي:

(وع ي) كلمة تدلّ على ضمّ شيء. ووعيت العلم أعيه ووعياً؛ حفظته  
 وجمعته. والوعي: حفظ القلب، والوعي: الحافظ الكيس الفقيه.  
 ورد باشتقاقاته سبع مرّات على ثلاثة أوجه، هي: الأواني الحافظة:

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ آخِيهِ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ آخِيهِ ﴾ [يوسف: ٧٦].  
 والكتبان: ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴾ ٢٢ ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ ٢٣ ﴿ [الانشقاق: ٢٣].  
 والتدبير والتذكر: ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذِكْرًا وَنَعِيماً أَذْنٌ وَنِعِيَةٌ ﴾ ١٢ ﴿ [الحاقة: ١٢]. فالوعي  
 يأتي بمعنى الجمع والحفظ، وبمعنى الوعاء، الذي يحفظ فيه الحاجيات من  
 ذلك في الآية: ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ ١٨ ﴿ [المعارج: ١٨]؛ وجاء بمعنى التفكير والتدبير لما  
 يحفظ في سورة الحاقة: ١٢؛ بمعنى أذن عاقلة لما يقال، حافظة له، فالوعي  
 يجمع بين الحفظ والفهم، وهو أن تحفظ في نفسك الشيء بعد علمه وفهمه.

## ١٨ - مفهوم الوجدان:

(وج د) يدلّ على أصل واحد، وَجَدْتُ الضالةَ وَجَدَانًا، ووجدت زيداَ  
 كريماً: علمتُ. وللوُجْدان دلالة الارتفاع والظهور؛ وَجَدْتُ، من أفعال  
 القلوب بمعنى علمت ويتعدّى إلى مفعولين. وقد ورد لفظ وجد بصيغته في  
 مائة وستة مواضع من القرآن الكريم، وهو على وجهين: وجدان الضالة:  
 ﴿ كَمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ [آل عمران: ٣٧]. وعلم:  
 ﴿ وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ ﴾ [البقرة: ٩٦]، ﴿ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ  
 ءِابَاءَنَا ﴾ [المائدة: ١٠٤]. ولفظ "وجدنا" من الألفاظ المشتركة التي تدلّ على  
 أكثر من معنى. والوجود أضرب: وجود بإحدى الحواس الخمس، نحو  
 وجدت طعمه أو صوته. ووجود بقوة الشهوة نحو وجدت السبع. ووجود  
 بقوة الغضب كوجود الحزن والسخط. ووجود بوساطة العقل، كمعرفة الله  
 تعالى ومعرفة النبوة، الوجود فبمعنى العلم.

## ١٩ - مفهوم النسيان:

من نسي (ن س ي) أصلاً صحيحان: يدلّ أحدهما على إغفال الشيء، والثاني: على تركه. فالأول نسيت الشيء إذ لم تذكره، نسياناً؛ ومنه النسيء، والنسيان، وهو ضدّ الحفظ. وقد ورد لفظ النسيان بصيغته خمساً وأربعين مرّة على وجهين: الترك: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١]. وضدّ الحفظ: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَتَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]. وكلّ نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى؛ فهو ما كان أصله عن تعمد، وما عُذِر فيه لم يكن عن تعمد، وإذا نسب إلى الله تعالى فهو تركه إياهم، مجازاة لهم بتركهم في جهنم من غير رحمة، كما في ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]؛ أمّا ما رفع عنه القلم فهو غيبة الشيء عن القلب بحيث يحتاج إلى تحصيل جديد، وقال بعضهم النسيان: زوال الصورة عن القوّة المدركة مع بقائها في الحافظة.

## ٢٠ - مفهوم السهو:

(س ه و) معظم الباب يدلّ على الغفلة والسكون. فالغفلة، يقال: سَهَوْتُ في الصلاة أَشْهُو سَهْوًا. فالسهو غفلة يسيرة كما هو في القوّة الحافظة؛ والنسيان زواله عنها كليّة، إلا أنهم يستعملونها بمعنى واحد تسامحاً منهم. وقد ورد لفظ السهو بصيغته ﴿سَاهَوْتُ﴾ مرّتين في قوله تعالى: ﴿قُلْ الْفُرَصُونَ﴾ [الذاريات: ١١]، و﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الذاريات: ١١]، و﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]. فالسهو خطأ عن غفلة وهو على ضربين، أحدهما: أن لا يكون من الإنسان جَوَالبه ومولداته، والثاني أن يكون منه مولداته، وبين السهو والنسيان والغفلة تقارب معانٍ مع فروق

بينهما، فالسهو جعل في غفلة القلب عن الشيء بحيث يتنبه بأدنى تنبيهه، أمّا النسيان فزوال الصورة عن القوّة المدركة مع بقائها في الحافظة، كما لا يكون إلا لما علم من قبل ويحتاج على تحصيل جديد.

## ٢١ - مفهوم الغفلة:

من غفل (غ ف ل) أصل صحيح يدلّ على ترك الشيء سهواً. وربما كان عن عمد، غفلت عن الشيء غفلة وغفولاً؛ إذا تركته ساهياً. وأغفلته إذا تركته على ذكر منك له. والتَّغَاؤُلُ والتَّغْفُلُ: تَعَمَّدَهُ، وَعَقَلَهُ؛ تغفيلاً: ستره. وقد ورد في القرآن باشتقاقه خمساً وثلاثين مرّة، بمعنى السهو الذي يعترى الإنسان من قلة التحفّظ والتيقّظ. إمّا للطبع عليه، أو لعقاب أو لنقص في الحافظة. كما أنّ الله تعالى وصف نفسه بقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] و[آل عمران: ٩٩]، فالغفلة عدم إدراك الشيء مع وجود ما يقتضيه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧].

## ٢٢ - مفهوم الشكّ:

(ش ك) أصل واحد، مشتقّ بعضه من بعض، ويدلّ على التداخل، شككته بالرمح؛ إذا طعنته، ومنه الشكّ الذي هو خلاف اليقين، سمّي بذلك كأنّ الشاكّ شكّ له الأمران في مشكّ واحد، وشكّ الشيء: لصق بعضه ببعض واتّصل. وشكّ عليه الأمر: التبس، وارتاب.

وورد في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعاً، ولا أوجه له في كتب النظائر المتوافرة لنا، أمّا معناه فيدور على أنه أخص من الجهل، ويأتي دائماً مع

الحرفين "في" و"من"، نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا نَبَأٌ ظَنِينٌ وَمَا قُلُوبُهُمْ بِيَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧]. فالشك المخالف لليقين هو ما صاحبه حرف المعنى "في"، فإن سبق الحرف "في" اللفظ جاء بعد اللفظ حرف المعنى "من" للتبيين أو للجنس؛ لأنّ الشك دائماً يكون بين جزئين أو قضيتين. أمّا إن سبق لفظ الشك حرف المعنى "في" فلا نجد الحرف "من". فالأول يكون اسماً، أمّا الثاني فيكون فعلاً، و"في" هنا تحدّد محلّ الشك. و"من" في الصورة الأولى تحدّد الحالة النفسية. فالشك مخالف لليقين، وقد ورد في القرآن في آيات عدّة، منها: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، وكان خلاف الشك ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٩٤]، الحقّ الذي لا مرية فيه. و﴿أَنْتُمْ هُنَا أَنْتُمْ تَعْبُدُونَ مَا تَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦١]؛ أي خيف، وليس كلّ شك مرتاباً والعكس صحيح. ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٣]. فهنا اقتضت همزة الاستفهام تقديم المشكوك فيه على لفظ الشك مع حذف الحرف "من" لتحديد المشكوك فيه.

### ٢٣- مفهوم الريب:

(ري ب) أُصِيبَ يَدُلُّ عَلَى شَكٍّ وَخَوْفٍ، وَالرَّيْبُ مَا رَابَكَ مِنْ أَمْرٍ، وَأَرَبْتُهُ: جَعَلْتُ فِيهِ رَيْبَةً؛ وَرَبَيْتُهُ: أَوْصَلْتُهَا إِلَيْهِ. وَأَرَابَ الرَّجُلِ صَارَ ذَا رَيْبَةٍ فَهُوَ مُرِيبٌ، وَرَبَيْبُ الْمُنُونِ حَوَادِثُ الدَّهْرِ.

ورد لفظ الريب باشتقاقاته في سبعة وثلاثين موضعاً على ثلاثة أوجه، هي: الشك: ﴿ذَلِكَ أَنْ كَتَبَ لَآرَبِّهِ فِيهِ﴾ [البقرة: ١]. والحوادث: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ

نَرَبِّصْ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ﴿٢٠﴾ [الطور: ٢٨]. والحسرة: ﴿لَا يَزَالُ بُعِثُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ١١١]. وكل ما جاء في القرآن من ريب فهو شك إلا ﴿رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾ [الطور: ٢٨]، قال تعالى عن كتابة الدين: ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ [البقرة: ٢٨١] فالكتابة أعدل وأحفظ وثيقة بين المتدائنين، وهي تدفع الشكّ بينهما وكذا الخوف؛ لأن سبب الكتابة هو الخوف من ضياع مال الدائن كلّ أو جزء منه وهذا الخوف متولد عن الشكّ في المستدين، في العاجل أو الآجل؛ لذا كان أحسم الطرائق هو توثيق المعاملة الماليّة بينهما بالكتابة والاستشهاد فينقطع الريب. والشك سبب للريب وليس العكس. وهو مبدأ الريب، كما أنّ العلم مبدأ اليقين. فالريب ما لم يبلغ درجة اليقين وإنّ ظهر نوعاً ما. ويقال رابني الأمر ولا يقال: شكني. والريب قد يجيء بمعنى القلق والاضطراب والكذب، فالصدق طمأنينة وسكون النفس للأمر، أمّا الريبة فلا تكون إلا من الكذب، أو ما لم يحدّد الحكم عليه فتولد عن ذلك خوف.

## ثانياً: مفاهيم الحس

### ١ - مفهوم الحس:

(ح س) أصلان: فالأول غلبة الشيء، والثاني حكاية صوت عند توجّع وشبهة. فالأول الحسّ: القتل، والحسيس القتل. وأحسست؛ أي علمت بالشيء، والثاني: قولهم حسّ. كلمة تقال عند التوجع. وفي القاموس: الحسّ: الجلبة، والقتل، والاستئصال، ونفض التراب عن الدابة بالمحسّة. وبالكسر: الحركة، وأن يمرّ بك قريباً فتسمعه ولا تراه، والحاسوس:

الجالسوس. وحواس الأرض: البرد، والبرد، والريح، والجراد، والمواشي.  
وأحسستُ وأحسيتُ: ظننت ووجدت وأبصرت وعلمت.

ورد لفظ الحس بصيغته ست مرّات في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه، هي:  
القتل: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢].  
والإدراك بالحاسة: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]. والبحث: ﴿بَيْنَى أَذْهُبًا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧].  
وأما أحسسته فحقيقته أدركته بحاستي، ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وقوله تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ [مريم: ٩٨]؛ والحس المشترك هو القوّة التي ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة. والإحساس هو إدراك الشيء، مكتنفاً بالعوارض الغريبة واللواحق الماديّة مع حضور المادة ونسبة خاصّة بينهما وبين المدرك. ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ [آل عمران: ٥٢] وحسّ الثلاثي له معان ثلاثة، هي: القتل، أو المسح، أو الإلقاء بالحجارة. والإحساس إن كان للحسّ الظاهر فهو المشاهدات، وإن كان للحسّ الباطن فهو الوجدانيّات.

## ٢- مفهوم الشعور:

من شعر، (ش ع ر) أصلان معروفان يدلّ أحدهما على نبات، والآخر على علم وعلم. فالأول: الشّعْرُ معروف، والجمع أشعار. والواحدة شَعْرَة، والشّعار الشجر إذا ملأ الأرض. منه: داهية شعراء وداهية وبراء. والباب الآخر: الشّعار الذي يتنادى به القوم في الحرب ليعرف بعضهم بعضاً. والأصل قولهم شَعَرْت بالشيء إذا علمته وفطنت له، وليت شِعْرِي أي ليتني علمت. أصله من الشعر كالدربة والفطنة، ويقال سمّي الشاعر بذلك لأنه

يفطن لما لا يفطن له غيره. والشعيرة واحد الشعائر وهي أعلام الحج وأعماله. والشعور هو العلم والعقل والفهم والدراية والإدراك بالحواس.

ورد لفظ الشعور باشتقاقاته في خمسة وأربعين موضعاً على خمسة أوجه، هي: ما نَمَّا على البشرية: ﴿وَمَنْ أَصَوِّفَهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارَهَا﴾ [النحل: ٨٠] والصناعة: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، والإدراك: ﴿وَمَا يُشْعِرْكُمْ أَنهَآ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩]؛ والكذب: ﴿بَلِ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥]. ومعالم الدين: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]. وقد ورد بدلالة المعرفة بصيغة الفعل فقط، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤]؛ لأنَّ المؤمنين إذا أخبرهم الله تعالى بأنهم أحياء علموا أنهم أحياء، فلا يجوز أن ينفي عنهم العلم، ويجوز أن يقال: ﴿لَا تَشْعُرُونَ﴾ لأنه ليس كل ما علموه يشعرون به، وكم من أمر يقع ولا يحس به ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَعْتَهُ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر: ٥٥]، وهذا كله يتضمَّن أصله اللغوي. فالشعر اسم للعلم الدقيق المستشعر أولاً، غير أن قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿بَلِ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥]، حملة المفسرون على أنهم رموه بالشعر المنظوم المقفى، ورموه بالكذب فإنَّ الشعر يعبر به عن الكذب والشاعر الكاذب، ولهذا قال تعالى في وصف عامة الشعراء ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

### ٣- مفهوم الإيجاس:

من وجس، (وج س) كلمة تدلّ على إحساس بشيء، وتسمّع له. تَوَجَّسَ الشيء: أحسَّ به فسمّع له. والوَجَسُ: الفرع يقع في القلب، والواجِس:

الهاجس، وتوجَّس الطعام: تذوّقه قليلاً.

ورد اللفظ بصيغة الماضي ثلاث مرّات في القرآن الكريم، بمعنى الإحساس بالفرع أو الخوف أو بما يقع في القلب منه فيشعر به ويضمّره ولا يظهره، وقد ورد في [هود: ٧٠] و[طه: ٦٧] و[الذاريات: ٢٨] ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ كلّها مقرونة بالخوف المضمر، ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفَّفْ﴾ [هود: ٧٠]. لأن الهاجس مبتدأ التفكير، ثم يكون الواجس الخاطر.

#### ٤ - مفهوم الإيناس:

من أنس، (أ ن س) أصل واحد، وهو ظهور الشيء، وكلّ شيء خالف طريقة التوحّش، يقال: أنستُ الشيء إذا رأيته أو سمعته. أنسه ضدّ أو حشه، والأينس: المؤانس، وكلّ ما يؤنّس به. وقد ورد فعل أنس سبع مرّات في القرآن الكريم، أربع منها في النار التي أنسها موسى عليه السلام إذ سار بأهله في البرية: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ [طه: ١٠]. والإيناس في تكلم الآيات: الإبصار البين الذي لا شبهة فيه، ومنه "إنسان" لأنه يتبيّن به الشيء، والإنس لظهورهم، والجنّ لاستتارهم، وقيل هو إبصار ما يؤنّس به. ومن الإيناس بمعنى العلم جاء بصيغة الماضي ﴿وَأَنْبَلُوا إِلَيْنَا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا الْبِرْكَاتِ فَإِنَّ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ [النساء: ٦]. فالإيناس يأتي بمعنى الرؤية، كما يأتي بمعنى العلم والألفة والاستئذان والإحساس. وقيل سمّي بذلك لأنه يأنس بكلّ ما يألفه، فالاستئناس هو الأنس الحاصل من جهة المجالسة، وهو خلاف الوحشة.

## ٥ - مفهوم اللمس:

(ل م س) أصل واحد يدل على تطلب شيء، تلمست الشيء، إذا تطلبت به بيدك. واللمس أصله باليد ليعرف مس الشيء، ثم كثر ذلك حتى صار كل طالب مُلمّساً، ولمست إذا مسست، ولمس الجارية: جامعها، والتمس، وتلمس: تطلب مرة بعد أخرى. وقد ورد لفظ اللمس خمس مرات في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه، هي: الطلب: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَمِسًا﴾ [الحج: ٨]، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]. والتحمس بالجراحة: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧]. والجماع: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ الْمَيْمَنَةَ﴾ [النساء: ٤٣]، و[المائدة: ٦]، فاللمس إدراك بظاهر البشرة كالمس، ويُعبر به عن الطلب، ويُكنى به وبالملاسة عن الجماع، وقرئ لمستم ولا مستم حملاً على المس وعلى الجماع.

## ٦ - مفهوم اليد:

(ي د) أصل بناء اليد للإنسان وغيره، ويستعار في الميتة، فيقال: له عليه يدٌ. ويجمع على الأيدي واليُد: القوّة، وقد ورد لفظ اليد باشتقاقه في مائة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم على ستة أوجه، هي: الجراحة: ﴿أَنْ يُفَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُنَقَّطَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾ [المائدة: ١١]. والملك: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْقُوبَ أَوْ يُعْقُوبَ أَوْ يَفْقُوهَا الَّذِي يَدِيهِ عُقْدَةُ الْيَكَّاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، والقوّة: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥]. والندم: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩]. والكرم والإنعام: ﴿بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَاتٍ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿ [المائدة: ٦٤].

فاليد غالب دلالتها على الجارحة، واستعيرت اليد للنعمة والقوة، كما نسبت أفعال الإنسان وجرائره كلها إلى اليد على جهة التغليب ﴿ ذَلِكَ يَمَّا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الحج: ١٠]، وقوله ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾، فنسبته إلى أيديهم تنبيه على أنهم اختلقوه ذلك، كنسبة القول إلى أفواههم في قوله عز وجل ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ [التوبة: ٣٠] تنبيهاً على اختلافهم. كما دلّت اليد أيضاً على القوة والقدرة والسلطان والجاه والوقار والحفظ والنصر والإحسان، كلها أوصاف لأعمال اليد.

## ٧- مفهوم المس:

(م س) أصل صحيح واحد يدلّ على جسّ الشيء باليد. ومَسَّته أمْسُهُ. والممسوس: الذي به مسُّ كأن الجِنَّ مَسَّته، والممسوس من الماء: ما نالته الأيدي. وفي القاموس: مَسَّته أمْسُهُ مَسًّا ومَسِيئاً ومَسِيئِي. وحاجة ماسّة: مهمّة، وقد مَسَّتْ إليه الحاجة. ولا مَسَّاس: لا تَمَسَّ.

ورد لفظ مس باشتقاقاته وصيغته في قرابة واحد وستين موضعاً من القرآن الكريم على أربعة أوجه، هي: الجماع: ﴿ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، ﴿ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ﴾ [آل عمران: ٤٧]. والإصابة: ﴿ مَسَىٰ آبَاءَهُنَّ الظُّرُمَةَ ۖ وَالسَّرَّاءَ ﴾ [الأعراف: ٩٥]، ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر: ٣٥]. والحبل: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَرْبَابًا لَا يُقِيمُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِينَ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. والتقاء البشرية: ﴿ قَالَ

فَأَذَهَبَ فَإِنَّكَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴿ طه: ٩٧﴾. فالمس هو التقاء  
 البشريتين، والمسك باليد، وكني به عن النكاح. وعن الجنون، وعن كل ما  
 ينال الإنسان من أذى. وجاء في القرآن كناية عن الجماع، بصيغة: "يتماسا"،  
 "تمسوهن"، "يمسني"، والتقاء البشريتين "مساس"، والجنون "المس".

## ٨- مفهوم السمع:

(س م ع) أصل واحد، وهو إيناس الشيء بالأذن من الناس، وكل ذي  
 أذن، والأذن وما قر فيها من شيء تسمعه. والسمع قوة إدراك الأصوات،  
 ويعبر به عن الجارحة والفهم والطاعة.

ورد لفظ السمع بصيغته واشتقاقاته مائة وخمسة وثمانين مرة، على  
 وجهين: إدراك الأصوات: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢]، والإيمان  
 بالقلب: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال: ٢١]،  
 فالسمع قوة في الأذن قد تؤدي إلى الفهم، وقد لا يوصل إليه، كما في قوله  
 تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا  
 أَفْئِدَتُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٦]. ويعبر عن الأذن والإفهام والطاعة وعن فعل  
 السماع بالسمع؛ نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]،  
 وكل نفي للسمع فهو نفي للاستجابة لا لإدراك الأصوات؛ لأن الثاني تسقط  
 به الكلفة ولا مقام للحجية على المخاطب الأصم؛ لذا وصف الله تعالى من لا  
 يستجيب له ولا لأنبيائه بالميت ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّةَ الدُّعَاءَ﴾  
 [الروم: ٥٢]، فالسمع أربعة أنواع، هي: سمع الإدراك، متعلق بالأصوات،  
 وسمع الفهم والعقل: متعلق بالمعاني، وسمع الإجابة، وسمع القبول

والانقياد: ويتعدى بـ"من" و"اللام".

## ٩ - مفهوم الإنصات:

من نصت (ن ص ت) كلمة واحدة، تدلّ على السكوت، وأنصت لاستماع الحديث، ونصت ينصت. وأنصته: سكت واستمع لحديثه. وقد ورد اللفظ بصيغة الأمر مرتين في القرآن الكريم، هما: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]. فأية الأحقاف فيها الأمر بالاستماع والإنصات، والفرق بينهما أنّ الإنصات في الظاهر بترك التحدّث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه، أمّا الاستماع بأن يُلقى سمعه ويحضر قلبه ويتدبّر ما يستمع إليه، ومن لازم هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله ينال خيراً كثيراً وعلماً غزيراً وإيماناً مستمراً متجدداً؛ لهذا رتب سبحانه حصول الرحمة عليهما. فالإنصات أخصّ من الاستماع، ويكون بتوجيه النفس والفكر والتركيز على شيء واحد للتدبّر فيه.

## ١٠ - مفهوم الصمم:

من صمّ، (ص م) أصل يدلّ على تضامّ الشيء وزوال الخرق، منه الصّمم في الأذن، وهو انسداد الأذن وثقل السمع. وقد ورد لفظ الصم بصيغته خمس عشرة مرّة على وجهين: انسداد الأذن: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ [هود: ٢٤]. وترك الإصغاء إلى الحقّ: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ [المائدة: ٧١]. فالصمم فقدان حاسة السمع، وبه يوصف من لا يصغي إلى

الحق ولا يقبله، ﴿صُمُّ بِنُكْمٍ عُمِّي﴾ [البقرة: ١٨]. وغالباً ما جمع النفي لحاسة السمع؛ فكل صمم في القرآن فهو عن سماع الإيذان، والقرآن خاصّة، والحق، إلا في [الإسراء: ٩٧]، و[هود: ٢٤].

## ١١ - مفهوم الأذن:

(أذن) أصلان متقاربان في المعنى متباعدان في اللفظ. أحدهما: أُذُنٌ جارحة، والآخر: العلم. وعنهما يتفرّع الباب كلّه، فأما التقارب فبالأذن يقع علم كلّ مسموع، والأذن معروفة، وتقال للرجل السامع من كلّ أحد أُذُنٌ، والأصل الآخر: العلم والإعلام. تقول العرب: قد أُذِنْتُ بهذا الأمر؛ أي علمت. وأذنتي فلان أعلمني والمصدر الإِذْنُ والإِذَانُ. والأذان وهو اسم التأذين.

ورد لفظ أذن مائة مرة وواحدة، في ثمان عشرة منها كانت بمعنى الأذن الجارحة، ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾ [المائدة: ٤٥]، والسمّاع لكلّ أحد: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١]. والمناداة: ﴿قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]. والعلم أو الأمر: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [غافر: ٧٨]. والإذن أصله العلم والسمّاع، وجاء في القرآن بأكثر من صيغة دالاً على معنى الإعلام والإخبار ﴿وَأَذَّنَ رَبُّنَا لِرَسُولِهِ﴾ [النبي: ١٠٧]، وهو إيقاع الخبر في الأذن، ويقال: أذنتك بالأمر فأذنت، أعلمتك فعلمت. والأذان والأذن: الإصغاء لما يسمع ويحصل بوساطته كثير من العلم، حتى صار

كالمبدأ فيه أمّا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٧) [إبراهيم: ٧]؛ وقوله: ﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الأنعام: ٢٥]، إشارة إلى جهلهم لا إلى عدم سمعهم، فليسوا بصم معطلين عن إدراك الأصوات، بل هم معطلين عن الاستجابة لما يسمعون.

## ١٢ - مفهوم البصر:

(ب ص ر) أصلان أحدهما العلم بالشيء، يقال: هو بصير به. والبصيرة: البرهان. وأصل ذلك وضوح الشيء. يقال: بصرت بالشيء إذا صرت به بصيراً عالماً، وأبصرته إذا رأيته. أمّا الأصل الآخر منه البصر: وهو أن يضمّ أديم إلى أديم، يخاطن كما تخاط حاشية الثوب، والبصرة فالحجارة الرخوة. والبصر حس العين، والبصيرة عقيدة القلب والفتنة والحجة. واشتبصر: استبان، والتبصر: التأمل والتعريف. والبصيرة هي تكامل العلم والمعرفة بالشيء.

وقد ورد لفظ البصر بصيغته مائة وخمسين مرة في القرآن الكريم؛ حيث ورد مصدراً وفعلاً بكلّ تصاريفه، وكان على أربعة أوجه، هي: بصر القلب: ﴿ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٤٣) [يونس: ٤٣]. وبصر العين: ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٢) [الإنسان: ٢]، والحجة: ﴿ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ (١٥) [طه: ١٥]؛ والاعتبار: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (١١) [الذاريات: ٢١]، ويتعدى فعله بالباء ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ [طه: ٩٦]؛ أي علمت ما لم يعلموا. والبصيرة في اللغة على ضرب: العليم الخبير بالشيء، ولم يرد بهذا المعنى في القرآن إلا مختصاً بالله تعالى في اثنتين وأربعين آية، اقترن بأسماء وصفات أخرى، هي: السميع: ﴿ لَنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأْتَنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) [الإسراء: ١]،

والخبير: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١]، والأعمال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥] فالسمع ربط بالأقوال، والبصر ربط بالأفعال الظاهرة والباطنة، لكن الباطنة غالباً ربطت بالعلم والخبير كما في آية: ﴿وَكُنْزٍ رَبِّكَ بِذُنُوبٍ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧].

### ١٣ - مفهوم الرؤية:

(رأي) أصل يدل على نظر وإبصار بعين، أو بصيرة؛ فالرأي: ما يراه الإنسان في الأمر وجمعه آراء، وتراءى: القوم إذا رأى بعضهم بعضاً. والرؤية: النظر بالعين وبالقلب. ورأيتُهُ رُؤية ورأياً، والرؤياً ما رأيتُهُ في منامك. ورأيتُهُ: أبصرته، وتأتي بمعنى: الظنّ والعلم فتتعدى إلى مفعولين. تقول: رأيت زيداً خارجاً، أي: ظننت زيداً خارجاً، وبمعنى العلم: رأيت زيداً منطلقاً، والرأي هو الفكرة والاعتقاد.

ورد لفظ الرأي بصيغته واشتقاقاته ثلاثمائة وتسع وعشرين مرة في القرآن الكريم على ستة أوجه، هي: العلم: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦]، والمعانية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]. والنظر: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ٥١] والخبير: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَيْبِهِ﴾ [البقرة: ٣٥٨]؛ والعبرة: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ [النحل: ١٧٩]؛ والسمع: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وأصل الرؤية النظر بالعين والقلب، والرأي مصدر، رأى الشيء يراه رأياً ورؤية، ويفرق بينهما أنّ رأى البصريّة تنصب مفعولاً واحداً، ورأي

القلبية تنصب مفعولين. والرؤيا في النوم، والرؤية في اليقظة، والرأي يعلم بالقلب ولا يُرى بالعين. وقد وردت ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بمعنى رؤية القلب؛ بمعنى العلم والإدراك كذلك، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]. وقال: ﴿فَسِيرَىٰ اللَّهُ عَلَمَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥] والوهم نحو ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقُفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]. والتفكر ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨] وقد يصح الرؤية البصريّة. وبالعقل ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١].

## ١٤ - مفهوم النظر:

(ن ظ ر) أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد، وهو تأمل الشيء ومعانيته، ثم يستعار ويُتسع فيه، فيقال: نظرت إلى الشيء أنظر إليه إذا عاينته، ونظرتُه؛ أي انتظرتُه، والنّاظرُ: العين، والنّاظران: عرقان على حرّفي الأنف. والنّظرُ: محرّكة الفكر في الشيء تُقدّره وتقيسه؛ ونظر إلى الشيء: أبصره، ونظر في الأمر تفكّر فيه، وأحاطه حفظاً وتأملاً.

ورد لفظ نظر بصيغته واشتقاقاته مائة وتسع وثلاثين مرّة على أربعة أوجه، هي: الرحمة: ﴿خَلْقَيْنَ فِيهَا لَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آل عمران: ٨٨]. والانتظار: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهَمٌّ يَخِصِّمُونَ﴾ [٤١] [يس: ٤٩]. والاعتبار: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]. والرؤية: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [٢٢] إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٢٣] [القيامة: ٢٣]. فالنظر هو الإقبال على الشيء بالبصر، ومن ذلك النظر بالقلب؛ والانتظار: الإقبال على الشيء بالتوقع له. والرؤية وإدراك المرئي، فقد تنظر إلى الشيء ولا تراه، وقد تنظر إليه وتتأمله كأنك تفحصه بنظرك من البصر أو البصيرة.

وأكثر ما جاء من مادّته في القرآن "البصر والبصيرة" لأنه يؤدي إلى التفكير والتدبّر. لكن ورد في مادّته معانٍ أخرى كالانتظار والأظار ﴿قُلْ أَنْظَرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (١٥٨) [الأنعام: ١٥٨]. ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧) [الغاشية: ١٧]. وجاء معنى النظر بالبصيرة في آيات كثيرة، منها: ﴿قَدْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (١٣٧) [آل عمران: ١٣٧]، و[الأنعام: ١١] و[يونس: ١٠١]. وهو هنا تقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، قد يراد به التأمل والفحص وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرويّة.

## ١٥ - مفهوم المشاهدة:

من شهد، (ش هـ) أصل يدلّ على حضور وعلم وإعلام، يقال: شهد يشهد شهادة، والمشهد: محضر الناس. والشهود: جمع الشاهد، والشاهد: اللسان والملّك. وشهد: بيّن وأعلم لمن الحقّ، وعلى من هو. والشهيد: الشاهد، والأمين في شهادة، والذي لا يغيب عن علمه شيء، والقتيل في سبيل الله لأن ملائكة الرحمة تشهده أو تشهد له، والشهادة: الخبر القاطع. ورد لفظ شهد بصيغة واشتقاقاته مائة وستين مرة على سبعة أوجه، هي: الشهيد بالبلاغ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١) [النساء: ٤١]. والملّك الحافظ: ﴿وَحَدَّثَ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (١١) [ق: ٢١]. وأمة محمد ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. والقتيل في سبيل الله: ﴿مَنْ أَلْتَمَسَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ﴾ [النساء: ٦٩]. والحاضر: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَوْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ (٧٢)

[النساء: ٧٢] والشاهد المبين للحق: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢].  
 والشركاء: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]. وأصل الشهادة في  
 اللغة من الحضور والشهود، والمعينة، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ  
 شُهُودٌ﴾ [البروج: ٧]؛ وتكون الشهادة بالبصر أو البصيرة، والشهيد هو  
 المحتضر؛ سمي بذلك لحضور الملائكة إياه. والشاهد غير الحاضر؛ لأن  
 الشاهد يلزمه العلم بما يشهد عليه على غير الحاضر.

### ١٦ - مفهوم العمى:

العين والميم وحرف العلة أصل واحد يدل على ستر وتغطية. العمى:  
 ذهاب البصر من العينين، ورجل أعمى، وامرأة عمياء، وقوم عمون.  
 ويقولون في هذا المعنى: ما أعماه، ولا يقولون ذلك في عمى البصر. وقد ورد  
 لفظ عمى بصيغته واشتقاقاته ثلاثاً وثلاثين مرة في القرآن الكريم على ثلاثة  
 أوجه، هي: عمى القلب: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي  
 الصُّدُورِ﴾ [٤٦] [الحج: ٤٦]، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [١١] [فاطر: ١٩]. وعمى  
 البصر: ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ [٢] [عبس: ٢]، ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].  
 وأعمى عن الحجّة: ﴿فَهُوَ فِي الْأَخْرِقِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

### ١٧ - مفهوم العين:

(ع ي ن) أصل واحد، يدل على عضو، يبصر وينظر. قال الخليل: العَيْنُ  
 الناظرة لكل ذي بصر، وتجمع على أعين وعيون وأعيان، ومن الباب: العينُ  
 الذي تبعثه يتجسس الخبر، والجارية التابعة من عيون الماء، ولقيته عيانياً:  
 معاينة لم يشك في رؤيته إياه. والعَيْنُ بالكسر: بقر الوحش، والأَعْيُنُ: ثوره.

ورد لفظ العين بصيغه خمساً وستين مرّة على ثلاثة أوجه، هي:

الجارحة: ﴿كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣]، ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾ [يوسف: ٨٤]. ومنبع الماء: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]. والحفظ والرعاية: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]. وتطلق على الباصرة ﴿وَأَلْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ [المائدة: ٤٥]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

## **الباب الثاني**

**العلم والمعرفة في القرآن الكريم**



## الفصل الأول:

# المعرفة في القرآن الكريم

## أولاً: تعريف المعرفة:

أورد التهانويّ جملة تعريفات للمعرفة، يمكن تلخيصها فيما يأتي:  
العلم بمعنى الإدراك مطلقاً، تصوّراً كان أم تصديقاً. وإدراك البسيط تصوّراً  
للهيئة، أو تصديقاً بأحوالها. وإدراك المركب، سواء كان تصوّراً أم تصديقاً.  
وإدراك الجزئيّ، والكلي مفهوماً كان أم حكماً. وإدراك الجزئيّ عن دليل.  
وإدراك بعد جهل.

## ١ - التعريف اللغويّ للمعرفة:

قال ابن فارس: عرف أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على تتابع  
الشيء، متصلاً بعبءه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة. والمعرفة ضدّ  
النكرة، وتُجمع على معارف، ويأتي اللفظ في معرض المدح بجوّد الرأي،  
وجدّة الفطنة، وشدّة الذكاء.

## ٢ - التعريف الاصطلاحيّ في العرف:

كلّ اسم خصّ واحداً بعينه من جنسه، فهو معرفة؛ أي ما وُضع ليدلّ  
على شيء بعينه، كالمضمرات، والأعلام، والمبهات، وما حُليّ بالألف واللام.  
وهي أول فرض افترضه الله على خلقه بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ  
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالمراد المعرفة الإيمانيّة. وعند أهل الكلام  
والمنطق: المعرفة تقال للإدراك المسبوق بالعدم، ولثاني الإدراكين إذا تخللها

عدم، وتقال لحصول صورة الشيء عند العقل، وللاعتقاد الجازم المطابق الثابت، ولإدراك الكلي والمركب.

### ٣- التعريف الاصطلاحي في الشرع:

ورد لفظ المعرفة في القرآن في أربعة وعشرين موضعاً، وتكرّر سبعاً وستين مرّة بصيغته، وأكثر ما جاء من هذه المادّة ما يدلّ على "المعرفة الحسيّة التي تقع على الصفة الظاهرة وتميّزها". قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]؛ أي يعرفونه ﷺ، بنعته وصفته بين علمائهم، وضدّ المعرفة الإنكار، كقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [١١] ﴿المؤمنون: ٦٩﴾. ولكن اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَيَذِخْلَهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَافًا لَهُمْ﴾ [٦] ﴿محمد: ٦﴾ بمعنى طيّبها وزينها، وقيل: بيّنها وعرفّها، وعلى المعنى الثاني لا تخرج عن مدلولها اللغوي. وبالتأمل في آيات "المعرفة"؛ نجد أن لها خصائص تميّزها في المعنى والاستعمالات اللغويّة. فهي ترد في القرآن على أنها إدراك مكتسب بدليل أو علامة، كقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]، وقوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]. والسمة هي العلامة، وتكون الأدلّة ظاهرة على المعرفة، سواء أكانت عقليّة أم نقليّة، فهذه المعرفة علم عن دليل خبريّ أو سمعيّ، أمّا المعرفة عن أدلة عقليّة ففي قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرَبِّكُمْ أَيْدِيهِ فَنَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣]، وقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ تَتْرُيبُنَّ كُرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، ويمكن ضمها إلى الإدراك الحسيّ، مع قوله: ﴿ذَلِكَ أَذَقْنَا أَنْ يُعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِنُ﴾.

## ثانياً: طبيعة المعرفة:

### ١ - مفهوم طبيعة المعرفة:

المعرفة صفة للحيّ، وهي علاقة تقوم بين ذات عارفة وموضوع معروف، فالمراد من "طبيعة المعرفة" تحديد تلك العلاقة وبيان عمليّة المعرفة، والعلاقة بين الإنسان وما يحيط به من خلال عناصر ثلاثة، هي: وجود عالم خارجيّ، وواقع من حوله، وجود ذهن خاصّ به "نفسه". وهذه العلاقة المعرفيّة، مرتبطة بغاية الوجود الإنسانيّ على وجه الأرض، وقضيّة بقائه، فالمعرفة إذن لازمة من لوازم الوجود، وتقوم هذه العلاقة في وعي الإنسان المميّز، وقد تتخذ شكل الأفكار أو العقائد عند الإنسان، وما يهمننا هنا هو علاقة المعرفة بالوجود؟ وأيهما أسبق؛ الماهيّة أم الوجود؟ وإذا كانت مكتسبة فهل نعرف الماهيّة، أم نعرف الصور، أم المثال؟ ومن ثمة: فهل هو تعرّف الكليّات أم الجزئيات؟ وأين تكون هذه الكليّات؟ وما نوع وجودها؟ ثمّ ما أدوات كسب المعرفة؟ وكيف نكتسبها؟

### ٢ - طبيعة المعرفة في القرآن الكريم:

مما سبق نقول: إنّ المعرفة في القرآن الكريم هي: المعلومات والمفاهيم اليقينيّة، والأحكام والمدركات والتصورات الجازمة التي نكوّنّها، أو نتوصّل إليها عن شيء ما، نتيجة ما نتلقاه عن طريق الحسّ أو العقل، أو عن طريقها جميعاً. وهي العلم اليقينيّ، الذي ينكشف فيه المعلوم؛ انكشافاً لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم، ولا يتّسع القلب لتقدير ذلك.

## أ- أصل المعرفة:

كل شيء مرَّده إلى الله سبحانه، إيجاداً وخلقاً وأمرأ، كونياً أم شرعياً. والمعرفة مخلوقة لله تعالى، ونعمة منه، يَمُنُّ بها على الإنسان بما خلق فيه من استعدادات لها؛ من فطرة تبحث عن الحق، وأدوات لتحصيل المعرفة؛ أي إنَّ الله عزَّ وجل جعل سنته تتكرَّر؛ بحيث إذا نظر الإنسان أو إذا تحققت شروط معرفته حصلت له هذه المعرفة بتمام أركانها وشروطها. فالإنسان مدين لله في خلقه وتعليمه. ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. فحصول المعرفة يكون بالنظر والعلم، فتوافر السبب، مع توافر شروطه وانتفاء موانعه يوفر المسبب، وإلا سقطت القوانين الكونيَّة وفسدت حياة الناس، وما خالف نادراً لا يقاس عليه؛ لأنَّ الأولى البقاء على الأصل، والكيس لا يقيس على الشاذ.

والخلاف حول حصول العلم بين الفرق الإسلاميَّة منبثق من الاختلاف في فهم الآيات الكريمة التي تتحدَّث عن أصل المعرفة الإنسانيَّة؛ تلك المعرفة التي علَّمها الله سبحانه لأوَّل مخلوق من البشر وهو آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]. وتحديي الله للملائكة بما لم يعطوا، دلالة على امتياز آدم عليهم بزيادة علم، والامتحان دلالة على كرامة آدم، وجلالة الله وقدرته، وهذا يعني أنَّ المعرفة متوقِّفة على معلومات مسبقة، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة بوضوح ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] فالمنبع الرئيس للمعرفة المعلومات السابقة التي

رُكِبَتْ في الإنسان الأول، وهي أصل المعرفة.

## ب- المعرفة المكتسبة والضرورية:

مما حاول العلماء طرحه عما تعلّمه آدم: هل لقّنه الله العلم كلّ أم أصول المعرفة؟ هل كانت طريقة تعليمه إياه بإلقاء العلم الضروريّ في نفسه مع خلق القدرة على النطق، ومن ثمّ تكون اللغة أو المعرفة تلقينيّة، أو تعليميّة، وما طريقة التعليم أو تكوين اللغة واستقاء المعرفة الأولى؟

### - المعارف الأولى للإنسان الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]؛ فيها دلالة أنّ الله سبحانه علّم آدم اللغة الدالّة على حقائق الأشياء، أو صورها الذهنيّة المأخوذة عن وجودها. لأنّ الاسم من المفهومات التي يتوقّف تعقلها على تعقل مسماها؛ ولا يكون الاسم بلا مسمّى، فلا بدّ أن يتصوّر المسمّى أولاً، فإدراك الاسم متضمّناً لإدراك مسماها، وفهم المسميات من فهم المراد بأسائها، فالأسماء لا تلقى إلا على مسميات؛ سواء كانت عيناً قائمة بذاتها، أم صفة في غيرها، فالتسمية تطلق على صفات وخصائص ما؛ بحيث إذا ما ذكر الاسم تواردت صفاته وخصائصه تلقائياً.

والدّلالة نوعان: لفظيّة؛ وغير اللفظيّة، وكل منها ثلاثة أنواع: وضعيّة، وعقليّة، وطبيعيّة (عاديّة).

### - المعارف البشريّة بعد المعارف الأصليّة:

لا يشترط في المعرفة المكتسبة أن تكون كلّها قائمة على الأدلّة المنطقيّة، وهذا لا يعني إبطال عمل العقل في المعرفة، ولكن الفطرة أعمّ من أن تتقيّد في تحصيلها

للمعرفة بالدليل المنطقي؛ المرتب والمرتب من مقدمات منطقيّة، فقد تكون هذه الأدلّة على أوضح ما تكون، ومع ذلك ينكر الشخص معرفته بالحقيقة.

وللفطرة من الاستعدادات للتوجّه نحو الخير ما يعينها على إدراك الحقّ والميل نحوه، فلها منطقة الذي هو أعمّ من منطق العقل المقنّن. وهذا ما نلمحه في الأدلّة التي أقامها الله سبحانه وتعالى على وحدانيّته؛ حيث كانت على وجهين، الأولى: أدلّة كونية، تدرك بطريق النظر في الآفاق، وأدلة كونية تدرك بالنظر في الأنفس؛ إذ قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال عز وجل: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]، فجمع سبحانه بين نظر الأنفس إلى ذاتها وإلى الأدلّة الكونية في الخارج، ومن ثمّ فإنّ وجود الأدلّة غير كاف للمعرفة ما لم يحصل التوجّه من النفس نحو الإفادة من هذه الأدلّة لتحصيل العلم والمعرفة أو الإيمان، فمن طمس على بصيرته بالمعاصي وتعطلت عنده أجهزة الاستقبال الفطرية والاستعداد للانتفاع بالدليل والإفادة منه لا ينفع إقامة الأدلّة عليه، ولا يحصل عنده علم، سوى أن يكون حجّة عليه لا غير.

ولعلّ استعمال القرآن في كثير من آياته كلمة "لعل" في باب المعرفة يدلّ على أنّ "وجود الشروط الخارجية لاكتساب المعرفة قد لا يعني أن يتعلّم الإنسان بحكم الضرورة، وأن يصل إلى الحقيقة، فالمعرفة العقلية التي يستطيع الإنسان اكتسابها تعتمد على قابلية الاستقبال لها". ولكي نفهم مراتب حصول المعرفة كما وردت في القرآن علينا أن نقسّمها على حسب المراتب العامّة للهداية وإقامة الحجّة، أو مدارك الناس الدنيوية، ومقامها السمع

والبصر والعقل، ثم يليه الهداية الثانية؛ ومردها إلى الهدى الرباني. وهذه مقامات متصاعدة درجات يقابلها مقامات متنازلة دركات في من أضله الله.

فحصول العلم له علاقة بتوجّه النفس أو الإرادة، نحو الإفادة من الحقّ، وبالذليل الذي هو مئة من الله تعالى، فحصول المعرفة الأولى لإقامة الحجة لازم وقطعيّ، وحصول المعرفة الثانية للاهتمام لازم متعلّق بميل النفس نحوه، ثم حصول المعرفة الثالثة بزيادة الهدى والإيمان والتقوى لازم عن الثانية، وهو من عند الله لا دخل للإنسان به، إلا اتخاذ أسباب المعرفة الثانية، أمّا الأولى؛ فقدّر الله بأن منحه القدرة والإرادة، فكان مخيراً، وفي الثالثة كانت منّة وزيادة، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال: ﴿لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] فهذا مقام المعرفة الأوّل، وهو بيان لا يستثنى فيها أحد إلا من رفع عنه القلم.

والعلوم الدنيويّة المقصد منها قسمان؛ الأول في الدنيا، ويحصل للمؤمن وللکافر باتخاذ أسباب الحصول عليه التي سخّرها الله للناس جميعاً، إلا أنّ للمؤمن زيادة فضل في الأجر الدنيويّ بالأخرويّ، والتوفيق أكثر إن اتخذ تلك الأسباب. أمّا المقصد الثاني وهو الأخرويّ فالکافر محروم منه، والمؤمن كلّما أدرك مقوّمات السير في الأرض زاد إيماناً، وارتفعت درجاته في الآخرة. وهذا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَوَّأْنَا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

والتمكّن من كلّ شيء لا يكون إلا بتوافر شرطين: القدرة والحكمة. والقدرة تكون في توافر الأسباب الماديّة الأولى من مواد وطاقات بشريّة، وقدّرات أمنيّة لحماية المقدّرات، أمّا الحكمة فتكون بتوافر المعرفة والعلم،

وحسن استعمالها، والتيسير الجيد، والاستغلال الكامل. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَاتَمُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

فالاستخلاف في الأرض له غاية تكمن في العبودية، بينما طبيعة المعرفة في المفهوم الفلسفي بشريّة ماديّة، وعلى ذلك فإنّ أعلى أنواع المعرفة في المفهوم القرآنيّ هو الإيذان بالله ويقابله الكفر؛ فالقرآن يتناول مسألة المعرفة مع القلب واللبّ والفؤاد أكثر من غيره؛ ليدلّ على أنّ المقصد ليس المعرفة العقليّة النظرية البعيدة عن هدى الفطرة واستعداداتها.

ومن هنا نرى أنّ عمليّة البحث عن المعرفة تتعاون فيها وسائل الحسّ الظاهرة والباطنة، والأدوات التي تستخدمها الحواس، وموازين العقل الفطريّة والمكتسبة، ومعارفه السابقة التي اكتسبها بنفسه والتي تلقاها عن غيره مما اكتسبه الآخرون، يضاف إلى ذلك الوحي، فتكون المعارف ما بين فطريّ وضروريّ ونظريّ، والأوّل خلق في الإنسان منذ ولادته لا تغيير لأصله، والثاني: ما يكون إدراك الشيء فيه ضروريّاً؛ بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال، ويمثل القضايا الأوليّة، أمّا الثالث: ما يكون الإدراك فيه يحتاج إلى نظر واستدلال وإعمال الذهن، كالعلم بأنواع المعارف والعلوم، فالحسّ مثلاً يشعر بلذع النار، فيكون ذلك لدى الإنسان خبرةً ما حول النار، وهكذا تتوارد التجارب في حياة الإنسان، ويكتسب منها معارف عن طريق الإحساس المباشر للظاهرة. وهذه الحواس هي بمثابة منافذ للفكر على العالم الماديّ المحسوس. ثمّ تنقل تلك المعارف إلى منطقة الإدراك الفكريّ، وتسجّل

الذاكرة ما تؤكده الحواس بالتجربة، وبعد ذلك يبدأ الفكر عمله فيها سجّلته الحافظة من صور، كما يستفيد الفكر من المعارف السابقة لبناء فكره وتطويره.

والقرآن الكريم يقرّ بمعارف السابقين، ويدعو إلى إقامة وحدة لمعارف الوحي بين أتباع الرسل، وذلك بالاعتماد على أسلوبَي التصديق والهيمنة، بأن يوافق كلّ معرفة لم يطرأ عليها تحريف أو انتحال، ثمّ الهيمنة عليها بما ورد فيه. فالمعرفة في أصلها طارئة مع حدوث أدواتها ووسائلها الداخليّة والخارجيّة، والإنسان أوتي استعداداً وقابليّة للعلم، لكن العلم صفة طارئة لا ذاتيّة فيه، بمعنى أنّ "العلم وإن كان صفة للإنسان؛ إلا أنه ليس عنصراً ذاتياً فيه، ولكنه معنى قائم بالعالم".

### ت- المعرفة القرآنيّة معرفة خصائص لا ماهيّة:

يرى بعض الباحثين أن الفلسفة مستوى من التعميم يحاول أن يرّد مفردات القيم السلوكيّة والمعارف والعلوم على اختلافها إلى قَمّة واحدة، ومهمتها استخراج ما هو مضمّر في أحكامنا واعتقاداتنا لننقلها من حالة الكمون إلى حالة العلن، ويظنّ البعض أنّ هذا التحديد لمعنى الفلسفة يقود إلى الزعم الصادق بأنّ للتفكير الفلسفيّ علاقة وثيقة بالدين، وأنّ الفلسفة نشأت في صورة نقدٍ فكريّ للمعتقدات الدينيّة والأخلاقيّة.

يرشدنا القرآن الكريم إلى الحقائق الظاهرة التي نستفيد منها في العلم والعمل، فكُلّ مسألة لا يبنى عليها عمل لا يستحسن الخوض فيها، والدليل من القرآن قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ﴾ [البقرة:

١٨٩]، فوق الجواب بما يتعلّق به العمل؛ إعراضاً عمّا قصده السائل من السؤال عن الهلال: لم يبدو في أول الشهر دقيقتاً كالخيط، ثم يمتلئ حتى يصير بدرأً، ثم يعود إلى حالته الأولى؟ ومن الأدلّة كذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الذَّبَابُ فَأَمْنُوا وَلَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: ١٥١]، وقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]. فحقيقة الأشياء وكنها وماهيّتها لا يعلمها إلا الله سبحانه، ومن ثمّ كان تميّز منهج البحث الإسلاميّ أنه اعترف بوجود الأشياء في عالميّ الغيب والشهادة، وجعل في إمكان الكينونة العارفة أن تستدلّ على وجودها. ولكن كنه الأشياء لا يقع في دائرة المعرفة الإنسانيّة؛ لأنّ الله يعلم أنّ معرفة الكنه لا تستلزمها مهمّة الإنسان في الحياة.

فالتعريفات قد تدرك بطريق تقريبيّ، كما لو طُلب معنى الإنسان. فقليل إنه هذا الذي أنت من جنسه، فيحصل فهم الخطاب مع هذا الفهم التقريبيّ حتى يمكن الامتثال، وعلى هذا وقع البيان القرآنيّ، فيكون تفسير ألفاظ القرآن بمفرداتها لغة من حيث كانت أظهر في الفهم منها. فالصلة التي يدعو إليها القرآن بين العلم والمعرفة وبين الإنسان الذي يعرف ويعلم هي التي تهملها مناهج البحث التي يسمّونها علميّة في هذا الزمان، فتقطع ما وصل الله من وشيجة بين الناس والكون الذي يعيشون فيه، فالناس قطعة من هذا الكون، لا تستقيم حياتهم إلا حين تنبض قلوبهم بنبضه. والمنهج الإيمانيّ لا ينقص شيئاً من ثمار المنهج العلميّ في إدراك الحقائق المفردة، ولكنه يزيد عليه ربط هذه الحقائق بعضها ببعض، والبحث في الخصائص ربح للوقت وتوفير للجهد وزيادة للفائدة، فيكون الطريق قصيراً والنتائج مهمّة، وتوافي الجهد المبذول لتحصيلها.

### ث - المعرفة والوجود:

يدعو القرآن الكريم إلى البدء من الوجود إلى المعرفة، وليس العكس، لأنه لا يوجد بحث مجرد ولا معرفة مجردة، وإنما الإيمان قضيّة تظهر إلى الوعي من أعماق النفس. والعقيدة في مجتمع ما إنما تلقن وتسير الحياة وفقها قبل طور الوعي الفردي للشخص، والإنسان يؤمن بعقيدة قبل أن يصوغ نظريّة في المعرفة. من هنا يكون دور المعرفة هو مناقشة قناعات الإنسان واعتقاداته، فما كان منها صادقا أقره وما كان غير ذلك رفضه، وتتدخل هنا عوامل البيئة والتربية، بالإضافة إلى الفطرة، فالمعرفة علم ووعي بالاعتقاد، والوجود أوسع من دائرة المعرفة ويتجاوزها.

فالمعرفة إدراك للمعتقدات وما تستلزمه في نظام الحياة. وأصولها في القرآن هي أصول للمعرفة الإنسانيّة، وخصائصها صادرة عن الوجود بكونه سبباً وهي المسبب. فالوجود حاوٍ لدائرة المعرفة ويتجاوزها، والمعرفة علم بما يستلزم الاعتقاد من شريعة، ونظام يتسم به الوجود.

والقرآن الكريم أيقظ الفطرة البشريّة من أجل الإيمان بوحديّة الله في الوجود، وانفراده في الخلق له، فوجوده سبحانه والوجود بصفة عامّة أسبق من الإنسان وإدراكه؛ فالوجود مؤثّر، والمعرفة أثره الحاصل في النفس المدركة بعد مباشرة العمليّات الإدراكيّة. والقرآن يقرّر إثبات وجود خارجيّ عينيّ مستقل عن الذات العارفة وإدراكها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ [البقرة: ٣٠]، وأعقبها ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]. فالآتيان تشيران إلى استقلال الأشياء من سماوات وأرض

وملائكة عن الإنسان؛ وأنها قد خلقت قبله، فكان وجودها سبباً للمعرفة، والموجودات الخارجيّة تنقسم بالنسبة إلى الإنسان إلى قسمين: موجودات في عالم الشهادة: وهي الأشياء التي تحيط بالإنسان في عالم الطبيعة، من جماد ونبات وحيوان وإنسان، ويدركها بحواسه. وموجودات في عالم الغيب: وذلك كاللوح المحفوظ والجنة والنار والعرش، والوحي الذي أنزل كان إيقاظاً للإنسان كي يقرأ باسم ربه الذي خلقه، وخلق الوجود الذي هو منه، قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥].

فالوجود أعمّ من الإدراك المعرفي؛ لأن المعرفة والعلم ليسا إلا نوعاً من أنواعه، ووجود العالمين: الغيب والشهادة، عقيدة رئيسة في القرآن الكريم، وهي من أقوى الأدلة على نسبيّة المعرفة ومحدوديّة الإدراك كما وكيفاً. فالله سبحانه يبيّن أنّ ما رزقه للإنسان إنما لأداء دور الاستخلاف في الأرض للوصول إلى تحقيق العبوديّة لله تعالى. وأعلى الناس معرفة هو النبيّ عليه الصلاة والسلام أمره الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

### ثالثاً: ميدان المعرفة

جاء تقسيم المعرفة في القرآن على ميدانين، هما: الغيب والشهادة، وهذه الثنائيّة منسجمة مع الوجود، على مسلّمة مفادها أنّ الله تعالى يمثّل الطرف الأوّل في هذا الوجود، في حين تمثّل عناصر هذا الكون طرفه الثاني". وهذه الازدواجيّة مقارنة لإزدواجيّة الطاقات الحسيّة والطاقات العقليّة، ومشابهة لها

ازدواجية الفطرة الإنسانية في معرفة مجالي المعرفة، فمجال عالم الشهادة يكون بالإيمان بالمحسوس، ومجال عالم الغيب بالإيمان باللامحسوس، ومجال عالم الغيب معقول من حيث مبدأ التسليم بوجوده، ولكنه من ناحية أخرى خارج عن نطاق العقل في كَيْفِيَّتِهِ وتفصيلاته، وهكذا نجد أن هذه المعرفة لهذين المجالين هي إيمان مزدوج. فالطاقة الحسية والعقلية معاً؛ تمارس نشاطها في عالم الشهادة، ولكن الطاقة الحسية يقتصر عملها على ميدان المحسوسات، على غير الطاقة العقلية. وقد تكلم الله تعالى عن الكون فبوصفه عوالم متعددة، كما في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. مما يؤكد أن ثمة عوالم كثيرة من حيث العدد، بيد أنها من حيث النوع عالمان؛ عالم غيب وعالم شهادة، ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

## ١ - العلاقة بين ميدان الشهادة وميدان الغيب:

لا شك أن إيراد أحد المصطلحين يستلزم الآخر عند كل المؤمنين بهما؛ لأن الإيمان بعالم الغيب يكسب المعتقد له قوة التماسك، واستمرار الأمل في الحياة وبعد الممات، واتساعاً لمصادر المعرفة وغاياتها. وآيات عالم الشهادة في القرآن الكريم تزود المؤمن بنوع من التماسك المتجلي في ميدانين، هما: الآفاق والأنفس؛ إذ جعل الله تعالى هذين الميدانين من مستويات تجلية آياته، وإثبات نصره لأوليائه، ومواقع لتفكير الإنسان وتدبره كما يطمئن بعالم الشهادة على صحة ما ورد عن عالم غائب عنه.

فمرحلة الإيمان بعالم الشهادة تمثل مرحلة وعي لفهم ما أمر الله سبحانه به، وذاك مقتضى العقل والفطرة وعين الصواب. وحين يحدث ذلك الوعي؛ فإن

التوازن يتحقق للإنسان على مختلف المستويات، ويتحقق عندها منهج القرآن في أمره الناس بالنظر في سَيْر الأمم والأحداث في الأرض، كما يروا عالم الشهادة؛ من خلال إيمانهم بحقيقة ما جاء في عالم الغيب، فالمنهج المعرفي القرآني يرمي إلى إيجاد المتعلم المستوعب لقوانين الشهادة المستمدة من عالم الغيب؛ ليتحقق الارتباط الإيجابي بين الغيب والشهادة، ولا يتم ذلك إلا بتخصيص قدر مناسب من مفردات المحتوى، مع الربط بينهما وبين عالم الغيب.

مما سبق يمكن إبراز التكامل بين العالمين: عالم الغيب وعالم الشهادة، في مظهرين: "الأول: وجود أدلة عالم الغيب في عالم الشهادة. والثاني: بروز المخلوقات من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، ثم تنتقل من عالم الشهادة إلى عالم الغيب بانتظام واطّراد، فمفهوم الغيب والشهادة في القرآن هو المفهوم الذي يحدّد معنى الحياة والوجود وغايتها، وعلاقة ذلك بها وراء الحياة وما وراء الوجود؛ إذ إنّ مفهوم الغيب والشهادة هو الإطار الأشمل الذي يحدّد معنى العقل الإنسانيّ ودوره في الحياة الإنسانيّة وحدود هذا الدور ومجالاته.

## ٢- عالم الغيب

### أ- التعريف اللغوي للغيب:

(غ ي ب) أصل صحيح يدلّ على تسرّ الشيء عن العيون. ويقال: غابت الشمس تَغيب، غَيْبَةً، غُيُوبًا، ووقعنا في غَيْبَةٍ وَغَيْابَةٍ؛ أي هَبَطَ من الأرض يُغلب فيها ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠]. والغيبية: الواقعة في الناس من هذا، لأنها لا تقال إلا في غَيْبَةٍ. ويدور معنى اللفظ على ما خفي وتسرّ عن المعين، وكلّ ما اشتق منه يرجع إلى هذا الأصل؛ لذا سنجد

التعريفات الاصطلاحية تساير هذا.

## ب- التعريف الاصطلاحى:

الغيب: الأمر الخفيّ الذي لا يدركه الحس، ولا تقتضيه بديهه العقل. والغيب المكنون والغيب المصون، هو السرّ الذاتيّ وكنهه الذي لا يعرفه إلا هو؛ وعند الأصفهائيّ: هو ما لم يقم عليه دليل، ولم ينصب له أمانة، ولم يتعلّق به علم مخلوق. وقيل: الغيب؛ هو الخفيّ الذي لا يكون محسوساً، ولا في قوّة المحسوس كالمعلومات ببديهه العقل أو ضرورة الكشف. وتطلق كلمة الغيب على كلّ شيء غاب عن إدراك حواس الخلائق كلّهم أو بعضهم، أمّا الله سبحانه؛ فلا شيء في الوجود كلّ هو غيب بالنسبة إليه، بل كل ما في الوجود هو من عالم الشهادة بالنسبة إليه.

ورد لفظ الغيب في القرآن ثلاثاً وخمسين مرّة، أربع مرّات منها بصيغة الجمع "الغيوب"، ومرّة واحدة بصيغة "غيبه"، قال تعالى: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْفَكَّائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠]؛ فاستعمل في كلّ غائب عن الحاسّة، وعمّا يغيب عن علم الإنسان ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِنْتٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥]. والغيب في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]؛ ما لا يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بدهاه العقول، وإنا يُعلم بخبر الأنبياء، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد. قال تعالى: ﴿حَفِظْتُكَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]؛ أي لا يفعلن في غيبة الزوج ما يكرهه. ويقسّم الغيب إلى أقسام، منها: قسم نُصب عليه دليل فيمكن معرفته، كذات الله تعالى وأسائه الحسنى وصفاته العليا وأحوال الآخرة، إلى غير ذلك، وقسم لا دليل عليه، فلا يمكن للبشر معرفته كما قال

تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقسم هو الغيب الإضافي: وهو درجتان؛ غيب مكانيّ وغيب زمانيّ، فالمكانيّ ما غاب عنك لبعده عن نظرك، أمّا الزمانيّ فماضٍ لم تدركه؛ إمّا وجوداً أو معرفة، ومستقبل آت، وحال وقوعه هو غيب في حقّ من كان غائباً عنها.

### ت - خصائص الغيب:

منها أن عالم الغيب يمثل عالم اللامحسوس، وأن عالم الشهادة قد يكون ما فيه غيباً إضافياً؛ أي يتجزأ حسب المضاف إليه، ومنه قسم عظيم من عالم الغيب خصّ الله عزّ وجلّ به نفسه، ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ٢٦] غير قابل لأن يكون من عالم الشهادة. ومنه مفاتيح الغيب ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]. ومنه ما أطلع عليه من ارتضى سبحانه ﴿إِلَّا مَن أَرَادَ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجنّ: ٢٧]؛ ومن صفات عالم الغيب استغراق علمه للجزئيات والكليّات معاً ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]، فشمول علم الله للغيب كلّه صفة خاصّة به جلّ جلاله. ومن الغيب قسم قابل لأن يكون من عالم الشهادة؛ إذا تهيّأت للمخلوقات شروط مشاهدته.

### ث - أدوات معرفة الغيب:

ينطلق منهج المعرفة في عالم الغيب من مدركات حسية؛ متجاوزاً الإطار الماديّ المحدود، ليتفاعل مع المبادئ الأولى للعقل، فيتمكّن من إدراك قضايا الغيب الكبرى من ألوهية وربوبية وأسماء وصفات ونبوة، على نحو من المعرفة العلميّة. وبإمكان العقل معرفة بعض الكليّات، كوجود الله تعالى،

والنبوة، بوصفها طريقاً إلى المعرفة الغيبية، ولكن أياً من الحسّ أو العقل لا يقوى على أن يصل إلى معرفة تفصيلية عن عالم الغيب؛ لأن طريق ذلك هو الوحي فحسب، ولا طريق إلى المعرفة التفصيلية بالحسّ أو العقل. فالخبر اليقين "الوحي" هو مصدر هذه المعرفة، وهذا ينعكس على المنهج المعرفي في الإسلام، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ. مَنْ نُشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

حينما يدعو القرآن الناس إلى الإيمان بأصول الغيب يوجههم إلى ذلك عن طريق البحث العلمي، ويحثهم على استخدام أدواتهم المعرفية؛ للتفكير والتدبر في دلائل القدرة وسعه العلم الدالة على قدرة الخالق، ويرشدهم إلى أن هذه الدلائل منبئة في السماء والأرض، وفي أنفسهم، وفيما حولهم ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِجْسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصْرَةَ وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨]، ففي هذا إثارة للعقل الإنساني بما يوصله إلى الاطمئنان للخبر المتواتر، ويقوده هذا إلى الركون لتفصيلات الغيب، وأن لا طاقة له بها؛ إذ لم يستوعب ما هو في مجاله في الشهادة، وعجز عن كثير مما هو فيها، فكيف به مع ما هو خارج عن نطاقه؟! وهذا يصدّق في الغيب الذي لا يصبح من عالم الشهادة، أمّا ما يمكن أن يدرك؛ فيصبح من عالم الشهادة، فالبحث فيه يطأله الحسّ والعقل.

### - مبادئ الغيب:

يمثل ميدان الغيب مصدراً لمعرفة يتلقاها الإنسان بكونه مستقبلاً للمعرفة، ويمكن تحديد مبادئ عالم الغيب، في أن الوجود ذو غاية خيرة،

وأن علاقات الوجود الكليّة غير خاضعة لإرادة الإنسان؛ وأن وجود الله تعالى يمثل أهمّ معطى في عالم الغيب بالنسبة إلى الإنسان، وأن الدار الآخرة تمثل محصّلة حسابيّة وجزائيّة نهائيّة لما قدمه الإنسان في الدنيا، وأن الإرادة الإنسانيّة وفق علم الله وأمره، وأن الهداية والضلال في حياة الإنسان مصير فرديّ يسبق في علم الله حين وهب الإنسان الحرّيّة في الاختيار؛ لذا لا معنى للتواكل والقول بالجبر ومظاهر العجز، وأن الوحي هو المصدر الذي يمدّ الإنسان بحاجاته المعرفيّة الغيبيّة، وأن العقل والوحي يتكاملان لتحقيق موقع الإنسان في عالم الشهادة، وسعيه إلى تحقيق الغاية منها بعالم الشهادة، وعلى هذا الأساس يتمّ تصميم المنهج بعيداً عن الثنائيات العقيمة للدين والدولة، والعقل والنقل، والأصالة والمعاصرة.

### ٣- عالم الشهادة:

الغيب في الاصطلاح خلاف الشهادة، والغيب ما غاب عن العيون، وإن كان محصلاً في القلوب. فميدان الشهادة يعقل بالتعاون مع الحواس، فيكون الكون ميداناً لعالم الشهادة في كلّ ما كان محسوساً. مع كون النظر إلى هذا الميدان مبنيّ على التكامل والتوازن؛ لأنّ الخلافة قائمة على مواجهة عالم الشهادة والتعامل معه بحسابه ميداناً للإنجازات العظيمة؛ عن طريق تسخير القوانين المودعة فيه، من خلال عقلانيّة حاسمة قائمة على أساس السببيّة والتوافقيّة والتعامل المباشر مع أجزائه.

### أ- التعريف اللغويّ:

شهد: (ش هـ) أصلٌ يدلّ على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء

من فروعه عن الذي ذكرناه. من ذلك الشهادة، التي تجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور والعلم والإعلام. ومن أساء الله الشهيد؛ أي الذي لا يغيب عن علمه شيء، والشهيد هو الحاضر، فالعلم إذا عُدَّ مطلقاً كان الله هو العليم، وإذا أضيف في الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد، والشهادة خبر قاطع تقول منه: شهد الرجل على كذا، فالشاهد هو العالم الذي يبيّن ما علمه، والمشاهدة: المعاينة.

### ب- التعريف الاصطلاحيّ:

ورد لفظ شهد بمشتقاته مائة وأربع وعشرين مرّة، في سبعة أوجه، فالمشاهدة وردت في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ ﴿٧﴾ [البروج: ٤٧]؛ أي حضور. وتكون الشهادة إمّا بالبصر، أو بالبصيرة، فهي خبر قاطع يؤدي معنى الإقرار والحجة، مع وجود العلم بذلك، ولكن الشهود بالحضور المجرد أولى، والشهادة مع المشاهدة أولى، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]؛ يعني مشاهدة بالبصر، وقوله: ﴿سَتَكُنُّبَ شَهَدَتُهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]؛ تنبيهاً بأنّ الشهادة تكون عن علم وحضور، وقوله: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]؛ أي ما جعلتهم ممّن اطلعوا ببصيرتهم على خلقها، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ [البقرة: ٨٤]؛ أي تعلمون، وقوله: ﴿عَلَيْهِمُ الْعَيْبُ وَالشَّهَادَةُ﴾ [الرعد: ٩]؛ أي ما يغيب عن حواس الناس وبصائرهم وما يشهدونه بها.

### ت- أقسام الشهادة:

عالم المحسوس في مجال الإدراك، هو ميدان الآفاق وميدان الأنفس؛ إذ

هما مشاهدان ومحسوسان، وورد ذكرهما في قوله تعالى: ﴿سَرُّبِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي  
الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. نقل الشوكاني في  
تفسيره عن بيان معنى الآفاق جملة من كلام السلف: قال ابن يزيد: الآفاق  
آيات السماء. وقال قتادة والضحاك: وقائع الله في الأمم. وقال عطاء: يعني  
أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار  
والرياح وغير ذلك، " وزاد ابن كثير: الفتوحات وظهور الإسلام على  
الأقاليم وسائر الأديان، وقال الرازي: الآيات الفلكية الكوكبية، وآيات  
الليل والنهار، وآيات الأضواء والإظلال والظلمات، وآيات عالم العناصر  
الأربعة، وآيات المواليد الثلاثة.

### ث - العلاقة بين ميدان الآفاق وميدان الأنفس:

هنالك علاقة جلية بين الميدانين من خلال اجتماعهما في الذكر كلما ورد  
أحدهما، من ذلك قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنفُسِهِمْ  
وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١]، ﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَفِي  
أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]. والقرآن يرينا تكامل الميدانين؛ إذ إنَّ  
الكون مسخَّر للإنسان، نافعاً بذلك نظرية الصراع بين الإنسان والكون،  
ومنه نلمس الترابط في المنهج المعرفي؛ فمعرفة الميدانين تحدث تكاملاً  
للمعرفة، فالإنسان يسعى إلى الخلافة واستعمار الأرض بحثاً عن السعادة  
والرفاهية، وهذا يقتضي إدراك سبل تسخير الآفاق، وإدراك سبل فهم  
النفوس الإنسانية وحاجياتها، وكلما توسَّع الإنسان في فهم الكون زاد تسخيره  
له، فتطوَّر الإنسان مبني على قدرته وكفاءته في التعامل مع الكون والأنفس،

من خلال معرفته بمواطن الصلاح ومواقع الفساد، سعياً نحو الخير العام للإنسان كيما يرقى في المعرفة، ويعلو في درجات الإفادة مما توفر له من طاقات في الآفاق والأنفس.

## رابعاً: ضوابط المعرفة في القرآن الكريم

من خلال التأمل في كتاب الله تعالى تظهر العناية بالتفكير المنضبط، في جانبه الأخلاقي والعلمي؛ ذلك أن الانضباط الخلقية في مسألة المعرفة لا يكفي، فلا يقبل من الباحث أن يكون أميناً في نقله للمعلومات من غير أن يستكمل أجزاءها، ولا يكفي الانضباط العلمي في مسألة المعرفة، فلا بد من ضوابط أخلاقية وعلمية تسري على قواعد المعرفة جميعها؛ فالقرآن الكريم يهدي إلى محاسن الأمور في المعارف، ويحدد الحدود التي تضبط المنهج المعرفي، كيما لا يشطط عن هدى الوحي الرامي إلى خير البشرية في الدنيا والآخرة، فالقدح في الشرع، أو انتقاص العقل، كلاهما آفتان تنخر التطور المعرفي، والتكامل بين المصادر المعرفية. فكان لزاماً جمع ضوابط تُيسر البحث وتنزّهه من الأخطاء الهادمة لمنهجية البحث السليم.

### ١ - الضوابط الأخلاقية للمعرفة في القرآن الكريم:

تكمن أهمية الكلام عن الضوابط الأخلاقية للمعرفة بوصفها محددات معرفياً لضمون العمل الأخلاقي. فالقرآن الكريم تبرز فيه القيم الأخلاقية على كونها "أحكاماً، أو مبادئ فطرية في عقل الإنسان بعد ولادته، من خلال حركة الإنسان في الحياة، ولا يعني هذا أن الإنسان ينساق دائماً إلى امتثالها،

بل قد يخالفها، لكنه يبقى عالماً بها، شاعراً بمخالفته لها، وهذا من علامة فطريتها، إذا كان غاية المعرفة تمكين الإنسان من الخلافة والعمارة، وفق منهج الله تعالى، فالقرآن الكريم هو مصدر للأخلاق والقيم التي يجب أن يسير عليها المستخلف؛ لتكون الأحكام الشرعية ضوابط وحدود للتعامل مع الآخر، والتعامل مع الكون بصوره المختلفة الجامدة والحية؛ كي لا يسعى الإنسان إلى خراب الكون والإفساد في الأرض بتحصيله لمعرفة من غير أخلاق، ولا ضوابط توجه تلك المعرفة نحو الصواب والخير.

### أ- النهي عن التنازع:

هناك فرق بين التنافس والتنازع، فالأول محمود بنبل المقصد؛ لقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، أما التنازع فنهايته التفرق؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذَهَبَ رِيحَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]. فالخلاف قسمان؛ ما دون فيه، بل هو أحد أوسمة التراث العلمي للمسلمين؛ وهو يمثل الثورة العلمية والثروة المعرفية، وفيه تعمق لإدراك الحق وتحصيل الفوائد العلمية والعملية. وميدان هذا المسائل الاجتهادية التي يتسع لها الاختلاف، لكن القرآن الكريم قد نهى في غير ما آية عن مسلك بعض أهل الكتاب الذين تباينت أحكامهم لجملة من أصول الدين عندهم، مع توافر المعرفة على نحو بين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمْ عَدَاؤُ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥] فمن أخطر الإصابات الذاتية التي يمكن أن تلحق بالنخبة والأمة على حد سواء: انتقال علل التدين التي كانت سبباً في سقوط الأمم السابقة وانقراضها عندما افتقد

العلم أخلاقه وأهدافه الخيرة، فتتحول من معرفة بالله إلى وسيلة باغية، وأصبح سبباً في تمزيق الأمة وتفريق الدين.

وقد علم من نبأ الأولين في الحياة الفكرية والعقدية أن أسباب الاختلاف كثيرة، وكلما خطا الإنسان خطوات في سبيل المدنية والحضارة؛ اتسعت فرجات الخلاف، حتى تتولد المذاهب والطوائف والديانات، وغير ذلك، ومنشأ المذموم منه يكون في اتباع الهوى؛ ﴿وَلَكِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَدِ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْعَلِمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّلْمِ لَمِ﴾ [البقرة: ١٤٥]، فمن يهتدي بالوحي هو من يخالف الهوى ﴿أَمْ مَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَفَرَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ سُوءٌ عَلَيْهِمْ وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤] فالقرآن والسنة هما مصدر المعرفة الرئيسين. والخلاف الذي يصادم الوحي ويعارضه هو اتباع للهوى، إما حب الدنيا، أو بغضاً لأهل الإيمان، وتكبراً واستعلاءً بها عنده من علم، قال علي لسان قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]. وهذا يعني أن المعرفة الإسلامية موصولة بالله تعالى، فهي ربانية المصدر، وربانية الوجهة والمسلك.

## ب- الموضوعية:

نقصد بالموضوعية هنا تحلي الإنسان عن عواطفه وانفعالاته التي لا يقوم عليها دليل نقلي أو عقلي تجاه مسألة من المسائل التي يحتاج فيها إلى اتخاذ قرار أو إصدار حكم؛ شريطة أن تكون القضية -موضع الطرح- مما تختلف فيه الأفهام ويتقبل فيه النقاش، وهي على هذا معيار أساسي من معايير البحث، يقوم على الصدق والعلم والأمانة والبعد عن الأهواء الشخصية. فالإنسان عندما يكون بصدد التعامل مع فكرة أو معلومة، فإن الموضوعية

في مثل هذه المواطن مطلب عزيز جداً يصعب تحقّقه.

ورد اصطلاح "الموضوعية" في القرآن الكريم، وفق القواعد الشرعية التي وضعها الوحي لضبط إصدار الأحكام والتعامل مع الآخر. فالله تعالى ذكر أحوال الأمم، وبيّن ما لهم وما عليهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنٌ إِن تَأْمَنَهُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ إِذْ يَأْتِيَنَّكَ مِنْهُمُ خَبْرٌ أَ تَعْلَمُ بِهِ خَبْرًا مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ٧٥]، وبها أنّ المنهجية القرآنية دعت المسلم إلى التجرد والقسط، مع بيان مخاطر ترك هذا الخلق النبيل، فالتحلّي بالموضوعية يجب أن يكون بمعايير ربانية لا مجال فيها للتشنجات وردود الأفعال، ولا مكان للحظوظ البشرية الدنيئة، والأهواء الأرضية الترابية، فلا يمكن أن يقال على من تمسك بالمعيار الشرعيّ أنه غير موضوعي، فقد "أصبح الكثير منهم يُعرّف الموضوعية بأنها تجرد الباحث من كلّ اعتبار قيميّ وعقدّي. ومن لوازم الموضوعية، "الأمانة العلمية"، ومفهومها واسع يشمل قضايا عدّة، منها العلمية بإثبات المقال للقائق، والمحاسبة على القول لا على لازم القول، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْوُونَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحْوُونَ أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

### ت - التحذير من الكتمان:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٤٢]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ مِمَّا قَلِيلًا أَوْلِيَّتِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرْكَعِيهِمْ وَأَهُمْ عَذَابِ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البقرة: ١٧٤]؛ فالكتمان محرّم على من وجب

في حقّه الجواب؛ لأن من العلم ما يجب كتمه في حقّ بعض الناس لدواعي عاتمة بالزمان أو المكان، أو دواعي خاصّة، مراعاة لقدرة الاستيعاب وأجواء الإشكال كيما يفهموا عن المتكلم؛ فلا يخاطبوا إلا على قدر عقولهم كي لا يُكذَّبَ الله ورسوله.

### ث - عدم الانتقائية في المعارف:

قال تعالى مخاطباً أهل الكتاب: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥]، وفي هذا تربية على توسيع المدارك وتنمية النظرة الكلية لدى المتعلّم والباحث؛ لتجنّب الوقوع في النظرات التجزيئية والتبعيضية الضيقة، ولن يتحقّق ذلك ما لم يسهم المنهج بعناصره وأطرافه جميعها في تقديم جملة من الخبرات والمعارف الهادفة إلى تحقيق هذه القيمة، غير أن التحذير من الانتقائية لا ينافي الدعوة للتصفية والتربية، والمراد منها نزح الأفكار المدخولة، وردّ الزائف منها.

### ج - اجتناب الظن:

القرآن الكريم لا يقيم وزناً لمعرفة قائمة على الظنّ والتخرّص، مهما كثر أهلها، فبيّن أنّ الحقّ ليس بكثرة متّبعيه، والباطل لا يتجلّى بقلّة مريديه ﴿وَإِن تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَلْمُوكَ الْكِتَابَ إِلَّا آمَانِيَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يُظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، فهذه آيات بيّنا على أنّ المعرفة الحقّة تقتضي الدقّة لبلوغ اليقين.

## ح- حظر التزييف والافتراء:

نبه القرآن الكريم إلى ضلال أهل الكتاب المتمثل في التزييف والتليس وخلط الباطل بالحق، فقال: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُوتَ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران: ٧١]. وتوعدهم فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة: ٧٩]؛ فالتحريف جريمة أخلاقية، ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧٨]؛ فتقرر أن إقصاء المعرفة السليمة الصحيحة يتبعه بالضرورة إحلال المعرفة المزيفة؛ واستبدال الحق بالباطل. فحينما يكون المنهج المعرفي مبنيًا في مصدره على حقائق يقينية نقيّة عندها ستكون النتائج سليمة معافاة من الأمراض الاجتماعية المتفشية كالغش والخداع والنفاق، والتجروء على الكذب، والتكلم بغير علم ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

## ٢- الضوابط العلميّة للمعرفة في القرآن الكريم:

### أ- عدم قبول القول إلا بدليله:

يؤكد القرآن في منهجيّته العلميّة أهميّة التثبت من صدق المعلومة التي تبني عليها المواقف. ويكون التحقق منه بالدليل النقلي أو العقلي، والمراد بالنقلي ما جاء في كتاب الله أو في سنة نبيه محمد ﷺ، أما العقليّ فما كان من المسلّمات العقلية التي لا مجال لإنكارها، خاصّة إذا كانت هذه المسلّمات ممّا

يمكن للعقل أن يدركه. من هنا جاءت المطالبة بالدليل على صدق ما يدلي به الإنسان في مواطن كثيرة من كتاب الله تعالى، خاصة في المواطن التي تحتاج إلى إثبات بسبب الخلاف فيها. وقد ورد مصطلح الدليل بألفاظ عدة، منها العلم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨]؛ وقال: ﴿أَتَتَّبِعُونَ يَكْتُمُونَ مَن قَبِيلٍ هَذَا أَوْ أَتَّبِرُ مَن عَلَيْهِمْ كُتُمٌ صَدِيقٌ ﴿٤﴾﴾ [الأحقاف: ٤]؛ أي بقیة من علم یوصل بها إلى صحّة ما تقولون، فإنّ الدعوى إذا لم یكن معها حجة لم تنعن عن المدعی شیئاً، وفي البرهان: ﴿أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤]، وفي السلطان: ﴿هَتُولَاءِ قَوْمَنَا أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴿١٥﴾﴾ [الكهف: ١٥]. وفي الحجّة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣] و: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ ءَايَمٍ بَيِّنَةٍ ﴿٢١١﴾﴾ [البقرة: ٢١١]، وفي البيّنة: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذِ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠]، وفي البصيرة: ﴿فَدَجَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤].

## ب- عدم خوض الإنسان فيما لا يعلم:

وهذا ضابط علمي قرآني لصاحب التفكير العلمي الذي يعرف ذاته ويعرف قدراته وإمكاناته، فلا يتحدث في قضية لا يعرفها، وسماه القرآن "خوضاً"؛ لكونه يورث الخلل في الحكم والتخبط في النتيجة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ رَأَيْتَ الَّذِينَ يُخَوضُونَ فِي ءَابَائِنَا فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يُخَوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ ءَ وَإِنَّمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨]. وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ

بِهِ عَلِمَ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

### ت - العناية بالمصطلحات وفهم لغة العلوم:

وهذا من أهم مستلزمات المنهج العلمي في التفكير، ومن ضوابط المنهج المعرفي؛ لذا قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلُوبُنَا لَمْ نُوْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسَلْنَا لَمَّا يَدْخُلِ الْأَيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ [الحجرات: ١٤]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِكَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ [البقرة: ١٠٤]. فقد كان المسلمون يقولون حين خطابهم الرسول عند تعلمهم أمر الدين "راعنا"؛ أي راع أحوالنا، قاصدين المعنى الصحيح، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسداً. فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة؛ سداً لهذا الباب، فيه. وفيه هداية إلى الأدب، واستعمال الألفاظ التي لا تحمل إلا الحسن وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع من التشويش، أو احتمال لأمر غير لائق. فاللفظ حين يُقال تكتفنه ظروف، وملابسات، وبيئات، وأزمان، وأفكار، ومواقف، وتخصّصات، هي التي تحدّد المراد منه في غالب الأمر، فإذا أخذ مجرداً أوقع صاحبه في الخلل والتخبّط، وأوداه في مغبّة سوء الفهم. والمصطلح يفهم بما تواضع عليه أهله، والعناية بالمصطلحات جزء من ضابط علمي يوسم به الباحث المسلم؛ ألا وهو التثبيت قبل إصدار الحكم، وفهم اللغة التي يتحدّث بها الآخرون.

ذلك أنّ الناس لهم من ألفاظهم مرادات حيّة ينطقون بها، وليس من المنهجية العلمية التي جاء بها القرآن الكريم أن يهاجموا، أو تصدر عليهم

الأحكام قبل التثبيت من مصطلحاتهم التي يتفوهون بها، لكون اللسان والنطق مغرافاً لما في ضمير المتحدث، "كما أنّ المتخصّصين في جوانب المعرفة المختلفة لهم مصطلحاتهم الخاصّة بهم عندما يتحدّثون، ومعرفتها أمرٌ مهمّ،" فلا يعترف لأيّ كان بالعلم ما لم يضبط لغته؛ أي مصطلحات ذلك الفن، وليس بغريب أن "تؤدّي المصطلحات دوراً أساسياً ومحورياً في أشكال الإبداعات الفكرية جميعها، وما يتّصل بها من محاورات ومطارات، وكلما اتسعت الرؤية وتشتّعت منافذ الحديث وتعمّدت القضايا ازدادت خطورة المصطلحات؛ حيث يمكن لها أن تجلّي الحقائق وتختزل المعاني ببراعة لتركّزها في الذهن، وتضبط قواعد الحوار الفكريّ وآدابه، كما أنّها من جانب آخر يمكنها أن تزيد الإشكاليّات تعقيداً، وأن تكون عاملاً من عوامل تغييب الرؤية واضطراب قواعد الحوار الفكريّ وآدابه،" بل إنّ من خطرها -في زمن الصراع العقديّ والفكريّ والثقافيّ بين الأمم- أنها يمكن أن تراحم المصطلحات الأصيلّة للأمة المسلمة في شتى مناحي حياتها؛ تمهيداً لترحيل ما تعبّر عنه من مُعتقد، أو فكر، أو خلق إسلاميٍّ أصيل.

### ث- التناسب بين المجال المعرفيّ والمنهج العلميّ المستخدم:

لأهميّة هذا التناسب جاء مثال له في القرآن ﴿ وَجَعَلُوا اللَّامِيكَةَ الَّتِي هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَخَّكِنْبُ شَهِدَهُمْ وَنُسَكُلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩]. فقد خرج المشركون على الناس بمنهج معرفيٍّ مفاده: أنّ الملائكة إناث، وفي مواطن آخر يقولون بأنهم "بنات الله"! كما حكى الله ذلك عنهم بقوله: ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ [الطور: ٣٩]، فجاء الردّ رائعاً جليلاً في قول الحقّ جلّ

ذكره: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]. ومعنى ذلك أنّ هذا المنهج المعرفي الذي يزعم أنّ الملائكة إناث وأنهم بنات الله، يحتاج إثباته إلى مجال علمي دقيق يوصل إلى نتيجة علمية دقيقة، ولا يمكن أن يكون هناك مجال علمي غير المشاهدة ليدور الأمر بين واحد من الاحتمالين: إمّا أنّ هؤلاء كانوا مع الله ورأوا خلق الملائكة، وإمّا أنهم لم يكونوا مع الله ولكنهم رأوا الملائكة بعد ذلك. الجواب: لا، فيكون كلامهم عبارة عن تخريصات وظنون، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُحْتًا وَكَذِبًا وَتَعَدَّى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [١٠٠] بديع السموات والأرض أنّ يكون له، ولد ولم تكن له صنجة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم [١٠١] [الأنعام: ١٠٠-١٠١]؛ فافتراضهم كان بغير علم ولا منهج علمي يناسب مجالهم المعرفي؛ لأنّ ذلك من عالم الغيب الذي لا يملكون أدوات معرفته، وقياسهم بالشاهد على الغائب باطل هنا، بل حتى قياس الأولى كان استعمالهم له فاسد، فنسبوا لأنفسهم الكمال والله تعالى النقص من حيث لا يعلمون، معتقدين التقديس والتنزيه.

فضرورة تناسب المجال المعرفي مع المنهج يؤكد عليه الكثير بقولهم: "ليس هناك علم أو تقدّم علمي إلا عن طريق البحث، وتقدّم البحث العلمي يعتمد على المنهج، يدور معه وجوداً وهدماً، صدقاً وزيفاً."

### ج- التناسب بين المجال المعرفي وطاقات العقل وقدراته:

فمن المعلوم بالضرورة أنّ طاقة العقل لا تحصي كلّ شيء، وأنّ له حدوداً لا يدركها. هذا يكون مع مطلق العقل، مع ثبات تفاوت إدراك العقول من الأدنى إلى الأعلى؛ لذا بيّن الله تعالى أنّ ذاته العلية، والروح،

وقيام الساعة، وعالم الملائكة، ونزول الغيث، وما تغيض الأرحام، وما يتعلق بكسب الناس وأجال الأمم والأفراد زماناً ومكاناً مما لا يطيق العقل البحث فيه؛ لأنه لم يكلف ولم يهياً فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضُ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْضَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: ٣٤]. فعلى كل مسلم أن يزُم العقل بزمام الدين، وألا يبدد قدرات العقل وطاقاته فيما لا يتحقق له من ورائه فائدة، بل عليه أن يبحث فيما حدده له خالقه، وعليه أن يركّز بحثه في حدود طاقاته وقدراته وفق الضوابط الشرعيّة التي نصّ عليها كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ، ليسلم من الزلل ويتنفع ممّا يبحث فيه في أمور دينه ودينه.

### ح- الإحاطة بالقضيّة والحصر:

إصدار الحكم على قضيّة ما يقتضي دقّة التصدّر لها، وهذا مبني على الإحاطة بجوانبها؛ كي لا تنتقض الأحكام بوجود ما هو خارج عن التصدّر الأوّل؛ لذا يُعدّ التفكير الشموليّ ضروريّاً لجمع أجزاء القضيّة وحصرها تحت حكم واحد شامل أجزاءها كلّها. "والمقصود بالتفكير الشامل هو ذلك الأسلوب الذي يتناول الظاهرة من جوانبها جميعها ويتحرّى أجزاءها جميعها وما يتعلّق بها". فاتخاذ موقف أو إصدار حكم على فكرة أو شخص أو جماعة أو مذهب من خلال نظرة جزئية يجعل القرار والموقف والحكم نوعاً من

الظلم والتجني. وهو خلاف لأمر الله تعالى في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
كُتُوبًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا  
هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [المائدة: ٨].

وتشنيع القرآن الكريم على أصحاب هذا المنهج واضح في سورة يونس  
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ  
كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]، فالظاهرة مقرونة بالحكم في القرآن الكريم؛  
لذا كان إدراك أجزائها ضرورياً ليضبط الحكم الصادر عليها، فبعد بيان  
الأحكام كما في سورة النساء أعقب ذلك بحكم موضوعي، حاصله التعريف  
بالغاية والفائدة من تطبيق الأحكام والأوامر الإلهية ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ  
وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦].

ينبغي على الإحاطة بالقضية من جوانبها جميعها، واشتغال الحكم  
لصورها كلها؛ ألا يعمم على غير أجزائها، وما لا يدخل في دائرة تصوورها،  
فالحكم يدور مع العلة وجوداً وعدمًا، والعلّة منوطة بصورة المسألة؛ لذا كان  
الاستثناء في الأحكام أكد حال اختلاط الصور وتقارب المسائل، فالقاعدة  
تحصر ما كان تحتها للتباثل، والحكم يشمل أفرادها جميعها، لكن ما خرج  
عنها يستثنى من الحكم، هذا الضابط العلمي القرآني يقصر الأمر عند وقوعه  
على صاحبه، والأفعال على ما شابهها؛ لذا نجد أن الله تعالى يبيّن لنا حال  
القضاء بين الناس، أو إصدار الأحكام عليهم حال التعامل أن تلحق الجريرة  
بصاحبها ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ  
ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، فليست زلة العالم مسوغاً لزعج مثله معه، ولا انحراف

فرد من طائفة أو فرقة أو ملة دليلاً على انحراف أصحابه، لكن الحكم يتعلّق بعلمه ويثبت على صورة قضيتّه، وأصحابه يحملون وزره ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَّةً ءَأْتَلِي وَهُمْ يَسْتَجِدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [٤٠] [يونس: ٤٠]، فلم يعمّم على الجميع لأنّ من أهل الكتاب من يؤمن بالقرآن الكريم، وحين ذكر المنافقين كان بصيغة التبعيض.

- تلقّي المعرفة من مصادرها الصحيحة، مع الانفتاح على خبرات الآخرين:

تلقّي المعرفة المتكاملة يجب أن يكون من مصادرها، فكلّ معرفة وحيّة -على اختلاف فروعها- مصادرها التي تؤخذ منها، ولكلّ معرفة بشريّة -على اختلاف فروعها- مصادرها. فنجد القرآن الكريم يرشد إلى المصادر حال الاستفسار ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]. فإن كانت المعرفة مادّية كان العود إلى أهلها فيها أحقّ من غيرهم، والتفكير في مجالها بأدواتها ومناهجها التي تفي بالغرض للحصول على نتائج صحيحة. فأهل الذكر هم أهل التخصص في أيّ جانب من جوانب المعرفة، ما دامت منافع معرفتهم مشروعة، فكان الوقوف على حضاراتهم وعلومهم ومعارفهم المتراكمة من طرائق الأخذ عنهم؛ لتوسيع المدارك والإفادة من الإبداعات ما لم تعارض نصّاً أو تنافي شرعاً للمسلمين.

فترى في القرآن النبيَّ الرسولَ وكليمَ الله موسى عليه السلام يتعلَّم ممَّن هو أقل منه شهرةً ومنزلةً؛ والخضر عليه السلام ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ ﴿٦٦﴾ [الكهف: ٦٦]، وابن آدم العاقل يتعلَّم من الغراب غير العاقل ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١]، بل إنَّ المولى سبحانه أقرَّ كلام الملكة بلقيس قبل إسلامها، فحكى عنها: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]، قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ [النمل: ٣٤].

فالمنهجية العلمية الواعية تلتقط الصواب من كلِّ واحد، ما دام خيراً لا يصادم ما هي عليه، بغض النظر عن صفات قائله وخصائص مصدره، لكن يجب التأكيد أنَّ الأخذ من الآخر له ضوابطه، فمخاطر الأخذ عن الآخر لا تقودنا إلى "عدم القدرة على التمييز بين الغزو الثقافي والتبادل المعرفي... وإقامة هذا الحاجز من تحوُّف الغزو الثقافي حرم العقل المسلم الكثير من المعارف وارتداد الآفاق التي تمكَّنه من اختصار فجوة التخلف، والمساهمة في التغيير الحضاري". فالقرآن الكريم يقرب معارف السابقين، ويدعو إلى إقامة وحدة لمعارف الوحي، مع اعتماده أسلوبَي التصديق والهيمنة، وذلك بأن يوافق كلَّ معرفة فيها لم يطرأ عليها تحريف أو انتحال "من غير أن يعني ذلك التصديق أو تلك الهيمنة التوقيع على كلِّ معرفة فيها، بقطع النظر عن سلامتها من الخطأ، بل يُعول فيها منهجه التقديري التمحيصي كي يتميَّز السليم فيها من المنحرف، في صورة عملية استرجاعية شاملة لذلك الميراث تتضمن نقده وتحليله وتطهيره ممَّا ألحق به من إضافات واجتهادات تتنافى مع مضمونه."

فالقُرآن نزل مكملًا وناسخًا لما قبله ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال: ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانَا عَرَبِيًّا يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٢]، ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ﴾ [الصف: ٦]. وفي هذا إقرار بمبدأ التراكم المعرفي، وأن يبني اللاحق معارفه على ما ترك السابق. كما أن فيه إثبات الهيمنة والتصديق على جميع ما سبقه من معارف مصدرها الأصلي هو الوحي لأنه للناس كافة، فكانت تشريعاته وعقائده حكمًا على غيرها، ومعياريًا يصدق به غيرها؛ لأنه أصول ثابتة راسخة في درجات عليا من اليقين.

نستفيد من هذا المنهج في تعاملنا مع ميراث الأمم الغابرة، وميراثنا العلمي، فلا ريب في أن فيها الصواب والخطأ، فهي اجتهادات رامت بلوغ الحقيقة فأنتجت ميراثاً ضخماً ثقل حمله على من خلفهم. فالقرآن وحي رباني وما ترك علماءنا اجتهاد إنساني على هدى الوحي، فما كان على وفاق معه قبلناه وما جانبه ردناه.



## الفصل الثاني:

### العلم في القرآن الكريم

يُعدّ العلم من أكثر الألفاظ وروداً في القرآن الكريم، بالتعيين أو بما يرادفه أو ما يرشد إليه، ولم يأمر الله تعالى نبيه بأن يدعو بالزيادة إلا في العلم. ومسألة الوقوف على دلالات العلم بغية تحديد المفهوم يتطلّب الخوض في مباحث كثيرة لتجلية الدلالات الاصطلاحية، ويتصدّر المبحث المعجمي أولى تلك المباحث، مع بيان الأقسام والفروق التي تميزه عن غيره، وتكوين الحقل الدلالي للفظ الناتج من علاقاته مع غيره ضمن حقله الدلالي المعجمي، فاللفظ وسيلة لتحميل المعنى، والمفهوم يُكوّن خصائصه بالسياق.

#### أولاً: تعريف العلم وأقسامه:

##### ١ - التعريف اللغوي:

العلم نقيض الجهل، وهو الإدراك أو المعرفة عامّة، أو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة. قال أهل اللغة: سمّي العلم علماً من العلامة؛ وهي الإشارة، ومنه معالم الثوب والأرض، والمعلّم: الأثر يستدلُّ به على الطريق. والعلّم من المصادر التي تجمع. يقال: رجل عالم وعليم، وعلم بالشيء والأمر: شعر به، وعرفه، وأتقنه، وأحاط به، وأيقنه، وميّزه. فتقول: "علّمت زيداً" إذا أردتَ بها علّم الشخص فقط، وكُنْتَ أولاً لا تعرّفه. والعليم بمعنى العالم. والعلم يتعدّى بنفسه وبالباء، ويزاد في مفعوله قياساً ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]. ولا يتعدّى بـ (من) إلا

إذا أريد به التمييز ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. ويستعمل (عَلِمْتُ) ويراد به العلم القطعيّ: فلا يجوز وقوع (أن) الناصبة بعده. ويستعمل ويراد به النصّ القويّ فيجوز أن يعمل في "أن"، واستعمال العلم بمعنى المعلوم شائع، وقد يكتنّى بالعلم عن العمل.

## ٢ - التعريف الاصطلاحيّ:

يعرّف العلم بأنه إدراك الشيء على حقيقته، وذلك ضربان: أحدهما إدراك ذات الشيء، والثاني: هو الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجودٌ له، أو نفي شيء هو منفيٌّ عنه. فالأوّل يتعدّى إلى مفعول واحد نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والثاني المتعدّي إلى مفعولين نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّ عِلْمُهُمْنَّ مُمْتِنٍ﴾ [المتحنة: ١٠]. وعرفه الجرجانيّ بأنه: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع. وسمّى الله تعالى نفسه بالعالم والعليم والعلّام، ووصف نفسه بأنه يعلم وعلم، وأنّ له علم وهو ذو العلم. والله تعالى علام الغيوب، لا يخفى عليه خافية، فهو يعلم ما يكون وما لا يكون وما لو كان كيف يكون. كما يعلم إيمان المؤمنين وكفر الكافرين وذنوب العاصين، وهذا علم لا تجب به حجة، ولا تقع عليه مشوبة ولا عقوبة، وهذا أكثر ما في القرآن. والله تعالى علمه سبب لوجود العالم، والعالم سبب لعلم الإنسان؛ لأنّ وجود الأشياء سبب للعلم بها أيما كانت صورة هذا الوجود ذهنيّ أم خارجيّ. وعلمه تعالى علم للباطن والظاهر، وهذا ما ورد في آيات عدّة. كما اختصّ الباطن باسم الخبير واللطيف، والظاهر بالسميع والبصير، فكان من تأكيد الإحاطة والمحااجة بعلمه تعالى أنه يعلم ما خفي وصادق وما جلي وبان

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. وعلم الله تعالى قديم وليس بضروري ولا مكتسب، وعلمه تعالى منزّه عن الوقت والزمان، فجميع الزمان من الأزل إلى الأبد بالنسبة إلى ذاته العلية متصل، لا يخفى عنه منه شيء كلياً أو جزئياً؛ لأن نسبة المقتضى لعلمه إلى الكلّ واحد. فمهما طرأ طارئ على الزمان لا يحدث له علم جديد به، بل هو مكشوف له أزلاً.

غالب ما ورد في تعريفات العلم نجده اجتمع على أنه الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، أو هو ما يُمثل اليقين والحكم الجازم غير القابل للتشكيك. وكلّها تفرّق بين العلم والتخيّل من جهة إدراك الشيء على ما هو عليه تصوّراً في الذهن، وواقعاً في الحسّ، وبمقدار التطابق بينهما يكون العلم دقيقاً. والمعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك، ولهذا المعنى متعلّق وهو المعلوم، وله تابع وهو الملكة، فأطلق لفظ العلم على كلّ منها، إمّا حقيقة عرفيّة أو اصطلاحية أو مجازاً مشهوراً.

### ٣- أقسام العلم:

يقسم علماء الأصول العلم إلى قسمين: علم قديم: وهو ما يختصّ بالله عزّ وجل، وعلم حادث: وهو ما يختصّ بالخلق. وهو نوعان، علم ضروريّ، وهو ما لا يقع عن نظر واستدلال؛ كالعلم الواقع بإحدى الحواس الخمسة الظاهرة، والثاني هو: علم مكتسب: وهو الموقوف على النظر والاستدلال؛ أي يحتاج إلى قدح الذهن والتعلّم، هذا المعنى من قوله ﷺ: "إنما العلم بالتعلّم." وهذا العلم يتفاوت فيه الناس على حدّ قوله تعالى: ﴿سَأَلَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]؛ كلّ له قدر باختلاف ما قُدّر، وما قُدّر عليه. فالعلم الضروري هو

الحاصل للناس كلهم في أحوالهم العادية، وهو ما أنزل على صورته الشرائع السماوية من الله عز وجل؛ إذ كانت مرسلة على خطاب يعيه الذكي والغبي، وينتفع به العالم والبليد، فكانت أصول الدين حجة على كل ذي عقل بالغ مهما كانت مرتبة فهمه؛ لأن الضروري من البدهي، وهو ما لا يحتاج فيه إلى تقديم مقدّمة، أمّا النظريّ فمنه تفاصيل العبادات من أركان وشروط، وفهم مسائل النحو، وتحليل المركبات، وغيرها من مسائل العلوم الدقيقة.

والعلم من وجه آخر ضربان، هما: النظريّ والعمليّ، فالنظريّ: ما إذا عُلِمَ فقد كَمَل، نحو العلم بموجودات العالم، أمّا العمليّ فهو: ما لا يتم إلا بأن يَعْمَلَ، كالعلم بالعبادات.

## ثانياً: مراتب العلم وضوابطه:

### ١ - مراتب العلم:

العالم الخارجيّ هو علّة العلم، والحواس هي الوسيلة الوحيدة للنفس المدركة للاتصال بالوجود المشهود، فعليه؛ فإنّ أوّل مراتب وصول العلم هو الإحساس؛ وهو انفعال الحواس مع المحسوسات بالتلقّي للمعطيات الحسيّة الناتجة عن المؤثرات الحسيّة. تنتقل تلك المعطيات نحو النفس، وهنا تتدرّج صعوداً من العمليّات الإدراكيّة الأوّليّة البسيطة إلى ما هو أعقد، ثمّ الإدراك: وهو تمثّل حقيقة الشيء عند المدرك، ثمّ الحفظ: وهو استحكام المعقول في العقل، ثمّ التذكّر: وهو محاولة النفس استرجاع ما زال من المعلومات، ثمّ الذكر: وهو رجوع الصور المطلوبة إلى الذهن، ثمّ الفهم: وهو التعلّق غالباً

بلفظ من مخاطبك، ثم الفقه: وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه، ثم الدراية: وهي المعرفة الحاصلة بعد تردّد مقدّمات، ثم اليقين: وهو أن تتعلّم الشيء ولا تتخيّل خلافه، ثم الذهن: وهو قوّة استعدادها لكسب العلوم غير الحاصلة، ثم الفكر: وهو الانتقال من المطالب إلى المبادئ، ورجوعها من المبادئ إلى المطالب، ثم الحدس: وهو الذي يتميّز به عمل الفكر، ثم الذكاء: وهو قوّة الحدس، ثم الفطنة: وهي التنبه للشيء المراد معرفته، ثم الكيس: وهو استنباط الأنفع، ثم الرأي: وهو استحضار المقدّمات وإجالة الخاطر فيها، ثم التبيّن: وهو علم يحصل بعد الالتباس، ثم الاستبصار: وهو العلم بعد التأمل، ثم الإحاطة: وهي العلم بالشيء من وجوه جميعها، ثم الظنّ: وهو أخذ طرفيّ الشكّ بصفة الرجحان، ثم العقل: وهو جوهر تدرك به الغائبات بالوسائل والمحسوسات بالمشاهدة.

ولابن القيم تقسيم آخر لمراتب العلم يبدأ من الأعلى على أوجه الهداية الخاصّة والعامة: الأولى: مرتبة تكليم الله عزّ وجلّ لعبده يقظة بلا وساطة، بل منه إليه، وهذه أعلى مراتبها، كما كلّم موسى بن عمران صلوات الله على نبينا وعليه، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤] والثانية: مرتبة الوحي المختصّ بالأنبياء، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، والثالثة: إرسال الرسول الملكيّ إلى الرسول البشريّ، فيوحي إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه. فهذه المراتب خاصّة بالأنبياء، لا تكون لغيرهم، والرابعة: مرتبة التحديث، هذه دون مرتبة الوحي الخاصّ، وتكون أيضاً دون مرتبة الصديقين، كما كانت

لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: "إنه كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في هذه الأمة؛ فعمر بن الخطاب". والخامسة: مرتبة الإيفهام، قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ وَكُلًّا ءَاثِنًا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ١٧٩]، والسادسة: مرتبة البيان العام، وهو تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهد وأعلامه، وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحداً ولا يضلّه، إلا بعد وصوله إليها، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ ءَالَهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] والسابعة: البيان الخاص، هو البيان المستلزم للهداية الخاصة، وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والاجتباء، وقطع أسباب الخذلان وموادها عن القلب، فلا تتخلف عنه الهداية البتة، قال تعالى: ﴿إِن تَحْرِضْ عَلَىٰ هُدْيِهِمْ فَإِنَّ ءَالَ اللَّهِ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ءَالَ اللَّهِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، فالبيان الأول شرط، وهذا موجب. والثامنة: مرتبة الإسماع، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ءَالَهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ ءَالَ اللَّهِ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [٢٢] إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ [فاطر: ٢٢]، والتاسعة: مرتبة الإلهام، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧، ٨]، أما جعله فوق مقام الفراسة: فقد احتج عليه بأن الفراسة ربما وقعت نادرة كما تقدم، والنادر لا حكم له، وربما صعب عليه فلم تطاوعه، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد، يعني في مقام القرب والحضور. والعاشر: الرؤيا الصادقة وهي ستة وأربعين جزءاً من أجزاء النبوة. وفي سبب التخصيص قيل إن أول مبتدأ

الوحي كان الرؤيا الصادقة، وذلك نصف سنة، ثم انتقل إلى وحي اليقظة مدة ثلاث وعشرين سنة، فنسبة ذلك إلى الوحي في المنام جزء من ستة وأربعين جزءاً، وفي رواية هي جزء من سبعين.

## ٢- ضوابط العلم:

الانضباط الخلقية في العلم لا يكفي وحده، كما أن الانضباط العلمية في مسألة التفكير لا يكفي، فلا يقبل عرض قضية مكتملة وهي تتعارض مع الفضيلة والأخلاق. من أهم الضوابط ما يأتي:

### أ- الموضوعية:

وذلك بأن يكون التنظير العلمي والقوانين مبنية على دراسات عميقة مستمدة من أدلة قطعية، فيتخلّى عن عواطفه وانفعالاته خاصة في العلوم الإنسانية التي تخضع للآراء الاجتهادية القابلة للأخذ والعطاء، ويتحرى العدل في الأحكام، وهي على هذا "معياري أساسي من معايير البحث على الصدق، والعلم، والأمانة، والبعد عن الأهواء الشخصية.

### ب- الأمانة العلمية:

وهذه القاعدة مبنية على حفظ حقوق الناس، سواء المادية أو المعرفية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٣]، فالأمانة العلمية من أكد الأمور في النقل، وذلك بالاعتراف بفضل من أخذ عنه، هذه الأمانة العلمية تُضم إلى خلق الصدق الذي يعكس ما في أعماق الشخصية المحترمة لنفسها والمحترمة لغيرها، وآيات الصدق

متعددة، منها ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّوَا اللَّهُ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ [التوبة: ١١٩]، فكان الصدق من خصال التقوى والإيمان ﴿وَأَلَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ [الزمر: ٣٣].

### ت - أدب الخلاف:

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَهُم بِالنِّبْيِ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، والجدال بالتي هي أحسن يكون بترك الفظاظ في الخطاب التي لو استعملها خير الخلق مع خير أصحابه لانفضوا من حوله ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فالمنظرات لقصد الخير وإبلاغ الحق، فلا يصح فيها استفزاز الخصم والطعن في النوايا وتسفيه الأحلام، بل من أخلاقها الإشادة بما للخصم من الفضل والعلم، والتلطف واللين في القول، وقد ورد في القرآن النهي عن إثارة الآخرين ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٢]، ولهذا كان منهج الأنبياء يتميز بالرفق والبيان والتلطف في الجدال والإيضاح للحق ﴿أَذْهَبْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٤٣﴾ فَقَوْلَاهُ، قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿٤٤﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

### ث - الدليل قبل التنظير والتععيد:

فالتثبت وصدق النقل لا يكفي ما لم يكن الأساس المستند إليه صحيحاً؛ لذا كان المنهج القرآني قائماً على المطالبة بالدليل - أولاً - على صحة أي ادعاء، وسماه أهل الحق تتبّع الدليل ثم الاعتقاد، وسيم أهل الباطل الاعتقاد المبني على ما تشتهي الأهواء أو ميراث الآباء، ثم البحث عن الدليل لصبح تلك السوالم بالرداء الشرعي العلمي، وذلك إنها هو التماس لمخرج

من مواجهة الصواب والحقيقة، لا قصداً نحو الحق والهداية. والدليل قد يكون نقلياً، وقد يكون عقلياً، أو حسياً، ولكل مسألة ما يناسبها من الأدلة والمسالك، وما يصلح في علم لا يصلح في غيره لزوماً. ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وللدليل مسميات عدة في القرآن، منها العلم وأثارة من علم كما سلف، ومنها الكتاب، ومنها البرهان، ومنها السلطان، ومنها الحجة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٢]. والآية: ﴿سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ ءَايَمٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: ٢١١]. والبيّنة: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [المائدة: ١١٠]. والبصائر: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

### ج- العناية ببلغة العلم:

يراد بهذا فهم مصطلحات العلم المتخصّص فيه والعناية بالمصطلحات المهمّة؛ لأثرها النفسي على العقول والقلوب. فالمصطلحات نشأت لحاجة الناس إليها، ثم تطوّرت حتى صارت عاملاً مفيداً وخطيراً في التأثير في فهم الناس، فهي مفاتيح للعلوم، ولها تأثير سلباً وإيجاباً في العلوم والسلوك، وهي وسيلة لتركيب المعاني الظاهرة والباطنة في مصطلح باشتاله على أفكار عدة، فيوجه العقل إلى معنى يراد منه من قبل، فالمصطلح يجعل العقل لا يتوجّه إلى الفكر إلا على ما جُعل واتفق وما تواضع أهله عليه. فاللفظ حين يقال تكتفه ظروف، وملابسات، وبيئات، وأزمان، وأفكار، وتخصّصات، وثقافات، كلّها تحدّد المراد منه في غالب الأمر، فإن أخذ مجرداً عن ذلك أوقع

في الخلل والتخبط.

### ح- تناسب القدرات المعرفية مع مجال البحث:

أدوات العلم لدى الإنسان لها قدرات محدودة ومجالاته منتهية؛ لذا كان للسمع فاصلٌ لا تدرك فيه الأصوات، وللعين مجال لا تبصر فيه الصور، وللعقل حدود لا يعيها، فمن ضوابط العلم أن لا يبحث الإنسان فيما لا طاقة له به؛ لأن ذلك من إضاعة الوقت وإهدار الجهد. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفِيهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضُ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْضَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

### ثالثاً: النظرة الشاملة للعلم في القرآن الكريم

المتفحص لكتاب الله تعالى والمتدبر لآياته يجد مواطن كثيرة تبسط النظرة الشاملة للعلم؛ حيث يعم مطالب الدنيا والآخرة معاً. ففيه كل ما يتعلّق بالقضايا الإنسانية، وعلى رأسها الوجود نشأةً وتطوراً ونهاية، وقضية التوحيد، وما يتعلّق بالكون من سماء ونجوم وكواكب، ودعا إلى التفكير فيها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وشمولية العلم تتضح جلياً في سورة العلق، والمتأمل للآية الأولى ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فالآية صدرت بفعل الأمر (اقرأ)، للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم، بارّهم وفاجرهم، والمفعول به هنا غير مذكور! ممّا

يدلّ على إرادة عموم القراءة، قال الشوكانيّ في تفسيره: والأمر بالقراءة يقتضي مقروءاً.

فالقراءة هنا ربانيّة في المبدأ والوسيلة والغاية، وهذا ينفي الانحرافات العنصريّة، والتقليد الأعمى، والتعصب للعرق أو الجنس أو التوجّه أو الفكر. فالقراءة هنا تكتسب بُعد العالميّة، شاملة لكلّ حاجيات الناس كافة في حالهم ومعادهم. وتعليل حصر منهج القراءة بالربانيّة كان في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾، فهو ربكم خالقكم، وهو العالم بما خلق وما يناسبه، فكان ذا شرعيّة في تحديد المنهج. والمتدبّر لكتاب الله تعالى يجد العلم فيه يدور - في الغالب - على محاور ثلاثة لا يكاد يتجاوزها إلى غيرها، أولها: ما يتعلّق بتوحيد الله تعالى في ربوبيّته وألوهيّته وأسمائه وصفاته، وما يتعلّق بها من قضايا العبادة، وثانيها: ما يتعلّق بقضايا الكون، وما أودع الله فيه من الحكم والأسرار، وثالثها: فما يتعلّق بأحوال الأمم من حيث منظومة علاقاتها بالخالق والمخلوق. وكلّ بعد من هذه الأبعاد تتعلّق به علوم متخصّصة، فالبعد الأول: تتعلّق به علوم الشريعة على اختلاف تخصّصاتها، والبعد الثاني: تتعلّق به العلوم الطبيعيّة على اختلاف تخصّصاتها، والبعد الثالث: تتعلّق به العلوم الإنسانيّة على اختلاف تخصّصاتها كذلك. هذه الصورة هي التي تعطي شموليّة للعلم في القرآن الكريم، فلا مادّيّة ملحدة، ولا لاهوتيّة رهبانيّة مغالية في المثاليّة، فالتوازن من خصال التوسّط والوسطيّة في القرآن الكريم. والدنيا مسخرة لصالح الإنسان ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [المك: ١٥].

يقسم العلماء العلم إلى ثلاثة أقسام، هي: علوم الشريعة، وعلوم الكون، والعلوم الإنسانيّة.

## ١ - علوم الشريعة:

تشمل شعائر الدين وأصوله من عقيدة وعبادات، فهذه الغاية منها فهم مهمّة الإنسان في الكون وعلاقته مع ربه وإدراك مصيره، فالله تعالى خلقه ليعبد ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وتحقيق هذه الغاية يقتضي فهم المهمة وإدراك الأوامر والنواهي، فلا بُدَّ أن تطبّق الشعائر على أسس علميّة واعية. وعلوم الشريعة كثيرة ومتنوّعة، منها: علم العقيدة وهو الفقه الأكبر، ثم الفقه، وهو معرفة الأحكام الشرعيّة المنزلة المتعلقة بالعبادات والشعائر والمعاملات الماليّة والشخصيّة والحدود والعقوبات، وغيرها من علوم الشرع.

## ٢ - علوم الطبيعة:

أو علوم الكون، وهي المتعلّقة بتسيير أمور الناس على ظهر هذه الأرض، وهي قاسم مشترك بين الأمم، والمعرفة فيها تراكميّة، يبنى فيها الآخر على ما توصل إليه الأول. سمّاها ابن خلدون بالعلوم العقليّة؛ وهي جزء من العلوم العقليّة، وكلّ إنجاز للعلم يكون آية عنه وحجّة له تؤكّد فضل الله عليه، فالبحث في علوم الدنيا هو أساس العمارة وقيام الحضارة والسير في الأرض، فكلّ أمر في القرآن بالنظر في النبات أو الأنفس أو الساء إنما ينسحب ضمناً على هذه العلوم، بل التمكين في الأرض لا يكون إلا بقوة

في العدد والعدّة، وهذا لا يكون إلا عن قوّة اقتصاديّة ماليّة وصناعيّة، وقوّة حضاريّة وعلميّة، فالاستجابة لله في الأخذ بهذه العلوم لمن فتح له الباب فيها هو تعبدّي. ومسؤوليّة المسلمين في نشر الدعوة والقيام بالحقّ وقيام دين الله لن يكون بمثاليّة خياليّة، بل ذلك كلّه يستشعر منه الأمر بالقيام الحضاريّ في جوانبه جميعها، فانهطاط المسلمين دنيويّاً هو فتنة للكفار، ودليل على عدم كرامتهم عند ربهم بزعم المخالف لهم؛ لذا كان دعاؤهم ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المتحنة: ٥] ويستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَأَبْغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

### ٣- العلوم الإنسانيّة:

وهي عدة فروع، منها: "علم الاجتماع وعلم النفس وعلم السياسة والتاريخ والاقتصاد، وغيرها، وهذه العلوم لم تكن مستقلّة ذات تصانيف مفردة في صدر الإسلام؛ فالقرآن الكريم "قد أعطى إجابات قاطعة عن أصل الإنسان، وعن الغاية من وجوده، وعن تكوينه وخصائصه وحرّيته ومسؤوليّته، وعن عمله ومصيره، وعن علاقته حسب وضعه في البنية الاجتماعيّة، وعن تأثيره وتأثره بالأشياء والأحياء، وعن سلطانه على الأشياء والأحياء، وعن حدود هذا السلطان، وكلّ هذه الموضوعات التي أصبحت اليوم في الغرب مجموعة من العلوم المتخصّصة في النفس والاجتماع.

فالعلوم الإنسانيّة قائمة على دراسة موضوع هو "إنسان ما" في "بيئة ما"؛ لذا كان ما يصلح في مجتمع لا يُرجى لغيره دائماً، وعليه فنحن في غاية الغنى

عن كثير من الأبحاث الإنسانية التي كان موضوعها الإنسان الغربيّ بضلاله وانحرافه، وليس من العدل أن تقدّم تلك الأبحاث لأمتنا على أنها نماذج للعلوم الإنسانية، إلا إذا كنّا نعرضها كنموذج للعبث الذي يسمّى علماً، وللضياح الذي يسمّى حضارة، وللفساد الذي يسمّى تقدّماً".

## الفصل الثالث:

### المقارنة بين المعرفة والعلم

يتطلب الوقوف على دلالات العلم والمعرفة بغية تحديد مفهومهما، الخوض في مباحث العلماء الفكرية متعددة الألوان والاتجاهات اللغوية والعقدية؛ لأنهم يتصرفون بالألفاظ ويطوعون معانيها لأفكارهم، وينقلون دلالتها إلى عرفهم؛ لذا كان الرجوع إلى الأصل اللغوي مهم لفهم الدلالة وتحديد الحقل الدلالي لضبط المصطلحين. وللعلم درجات من حيث الشك والظن واليقين، وفيه حركة للفكر في المعقولات، كما أنّ فيه انقذاح فكر وخاطر، وسرعة بديهية وذكاء، وقد يكون العلم علماً مجرداً سطحياً، وقد يكون علماً مستغرقاً عميقاً أو فقهاً. لذلك كلّ نجد أنّ للعلم أو المعرفة مرادفات كثيرة، وكان لكل مرادف علاقة بالعلم الشامل من جهة ما، واختصاص من جهة أخرى.

### أولاً: الفروق اللغوية والاصطلاحية

تحديد الفروق بين العلم والمعرفة يكون بالبحث في الدلالات المعجمية والاستعمالية، وتحليل مادة كلّ منها، ومتابعة الأصول باستقراء المادة في المعاجم اللغوية والاصطلاحية.

#### ١ - الفروق اللغوية:

نتيجة للتداخل بين مصطلحي العلم والمعرفة فلا مندوحة من تتبع المصطلحين لضبط الفروق بينهما، ولأنّ لكل مصطلح علاقة بأصله اللغوي

كان لزاماً علينا الرجوع إلى المعاجم.

فالعلم سُمِّيَ علماً من العلامة؛ وهي الدلالة والإشارة، أما المعرفة فهي من العرف ضدَّ النكر، والعرفان خلاف الجهل. وتَعَرَّفْتُ ما عند فلان، مصدره التَعَرَّفُ: تَطَلَّبَ الشيء. والمعرفة حاصلة بعد عدم، وذلك العدم هو إمَّا لجهل أصليِّ بالشيء أو لنسيان بعد معرفة، فكان عدماً بين معرفتين، فكأنَّ الشيء كان مختلفياً عن الذهن، ثمَّ تحلَّى أمامه بارتفاعه وعلوّه عن غيره من المدركات في تلك اللحظة، والمعرفة فعلها يقع على مفعول واحد، فتقول: عرفت الدار، قال تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]، ويقتضي فعل العلم مفعولين: ﴿فَإِنَّ عَلَّمْتُمُوهُنَّ مُمُؤِنَاتٍ﴾ [المتحنة: ١٠].

هناك قرب بين معنى العلم ومعنى المعرفة، ذلك أنّ كلاً منها يُعدُّ دلالة على شيء، وإن كانت المعرفة تدلُّ على ما ارتفع، وتأتي بمعنى المجازاة، وفي المعرفة علم بسبب المجازاة، وفيها علم وعمل. ومن ثمَّ كانت معرفة الله تعالى: العلم اليقينيَّ به، وعمل ما يتناسب مع قدره سبحانه، والمعرفة تشمل في معانيها الاعتراف والإقرار، وهما علم وأدلة.

## ٢- الفروق الاصطلاحية:

المعرفة عند بعضهم أخصّ من العلم؛ لأنها علمٌ بعَيْنِ الشيء مُفَصَّلاً عما سواه، وكل معرفة علم، وليس كل علم معرفة، لأن لفظ المعرفة يُفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ العلم لا يفيد ذلك. والمعرفة تقال فيما يُتوصَّل إليه بتفكير وتدبر، وتستعمل فيما تدرك آثاره، ولا يدرك ذاته، تقول: عرفت الله،

والعلم يستعمل فيما يدرك ذاته. وحال الإبهام تقول عرفت زيداً؛ ولا تقول علمت زيداً.

وقيل العلم يكون بالاكْتِسَاب فخصَّ به الإنسان، والمعرفة بالجبلة؛ وقيل: العلم أخصَّ من المعرفة لأنها قبله؛ إذ تكون مع كلِّ علم معرفة، وليس مع كلِّ معرفة علم. والمعرفة هي ثمرة التقابل والاتصال بين الذات المدركة والموضوع المدرك، وتتميّز من باقي معطيات الشعور؛ من حيث أنها تقوم في آن واحد على التقابل والاتحاد الوثيق بين هذين الطرفين. فالمعرفة تقال على استثبات المحصول المُدرَك، خصوصاً إذا تكرر إدراكه، فيقال لذلك الإدراك الثاني بهذا الشرط (معرفة). والمعرفة عند جمهور الناس أصلها قد يقع ضرورياً فطرياً، وقد يحتاج إلى النظر والاستدلال. وقيل: إنّ المعرفة نتيجة العقل: "العقل غريزة، والمعرفة عنه تكون."

ويرى البعض أنّ المعرفة لا تكون إلا مكتسبة، والعلم يقال لإدراك الكلّي أو المركّب، والمعرفة تقال لإدراك الجزئيّ أو البسيط. والمعرفة تنصرف إلى ذات المسمّى، أمّا العلم فينصرف إلى أحواله من فضل ونقص؛ لذا جاء الأمر في القرآن بالعلم من غير المعرفة، وميّز بينهما. يقابله في الضدّ الجهل والهوى، أمّا المعرفة فهي ضدّ الإنكار والجحود.

ورد كلا اللفظين في القرآن الكريم، فلفظ المعرفة كقوله تعالى: ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٦]، وفي ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، أمّا لفظ "العلم" فهو أوسع إطلاقاً، كقوله: ﴿فَاعَلَمْتَهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿ [عَمَد: ١٩]، وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿ [طه: ١١٤]، وغيرها كثير.

والله سبحانه وصف نفسه بأنه "عالم"، و"عليم وعلام ويعلم"، وأخبر أن له علماً، فالفرق بين إضافة العلم إلى الله تعالى وعدم إضافة المعرفة يرجع إلى المعرفة نفسها ومعناها.

### ثانياً: المصطلحات المرادفة للعلم والمعرفة في القرآن الكريم

أخذ العلم مفهوماً جامعاً لمعانٍ كثيرة؛ لأنّ العلم أو المعرفة علاقة بين عالم ومعلوم، وبين ذات عارفة، فهو من جهة ذاتي، ومن جهة أخرى موضوعي؛ أي له موضوع متحقّق في الخارج، وهو درجات تبدأ من الحسّ إلى التجريد العقليّ، ثمّ الحفظ والتذكّر، ثمّ التفكير والتدبّر. وله درجات من حيث الشكّ والظنّ واليقين، وفيه حركة للفكر في المعقولات، كما أنّ فيه انقداح فكر وخاطر، وسرعة بديهة وذكاء، وقد يكون العلم علماً مجرداً سطحياً، وقد يكون علماً مستغرقاً عميقاً أو فقهاً.

وهنا نقف على أهم هذه المرادفات، ومنها: الأذن: العلم، الاسم من إذن يأذن، مصدره بمعنى الإعلام، وقد ورد في القرآن بأكثر من صيغة دالاً على معنى الإعلام والإخبار. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿ [إبراهيم: ٧]؛ ومنها البصير: العليم بالشيء الخبير به: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ ﴿ [طه: ٩٦]؛ أي علمت ما لم يعلموا. والحس: مأخوذ من إصابة الحاسّة، من الثلاثي حسّ، والإحساس

الوجود والمشاهدة، ﴿يَبْتَئُونَ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّبُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧]؛ أي: فتعرفوا منها وتطلبوا خبرهما، والحكمة: هي العلم بالأمور العمليّة فقط، والعلم أعمّ منها. والخبر: وهو العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر. والخبر بالضمّ، هو العلم بالشيء مع بيانه ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨]؛ والخبرة: المعرفة ببواطن الأمور. والدرك: والإدراك هو اللقاء والوصول، والذكر: وهو هيئة للنفس، بما يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، "﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾" [يس: ٦٩]. والرأي: النظر بالعين والقلب، والسؤال: استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى معرفة، والشعور: علم الشيء عن علم حسّ، ومنها: وما يشعركم: ما يديركم. والظنّ: علم يحصل من مجرد أمانة، والظنّ والشكّ والتجوّز نظائر، إلا أنّ الظنّ فيه قوّة على أحد الأمرين دون الآخر. والعقل: ضدّ الجهل، وهو مجموعة علوم لأجلها يمتنع الحيّ عن كثير من المقبّحات، ويفعل كثيراً من الواجبات. ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. والفقّه: هو العلم بالشيء والفهم له والفتنة، ﴿وَطُيَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوهُ﴾ [التوبة: ٨٧] والفهم: هو سرعة الفتنة وتوقدها، وسرعة انتقال النفس من الأمور الخارجيّة إلى غيرها؛ والنظر: هو الإقبال على الشيء بالبصر، والوعي: معناه الجمع والحفظ، وجاء بمعنى التفكير والتدبّر ولما يحفظ، ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَبَعِيًّا أَدْنَىٰ وَعِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]. واليقين: يعبر عن التحقق وإزاحة الشكّ والإدراك الواثق الذي لا يلتبس بوهم أو ظنّ أو تحمين أو ارتياب. واليقين هو العلم بالشيء بعد أن كان شاكاً

فيه، وذلك بعد أن تكثر الدلائل وتتوافق وتتطابق فتصير سبباً لحصول اليقين على سبيل الثقة؛ لذا كان كلّ يقين علماً، وليس كلّ علم يقيناً. فهو فوق المعرفة والدراسة، ولا يقال معرفة يقين؛ لأنّ اليقين من صفة العلم.

## **الباب الثالث**

**أدوات اكتساب المعرفة وطرائقها**

**ومصادرها في القرآن الكريم**



## الفصل الأول:

### أدوات المعرفة في القرآن الكريم

طرائق المعرفة: هي الوظائف الإدراكية والقوى النفسية المعرفية من عمليات الإدراك، والأذن هي الأداة والعضو الجسمي، وظيفتها السمع وهو ما وقر فيها؛ أي هو قوة مركبة في عصب الأذن من شأنها أن تدرك الصوت، وهذا ما ورد عند طائفة من العلماء والنظار كالراغب وابن القيم والكفوي وغيرهم.

لم يرد في القرآن الكريم عن المعرفة بالحواس - كأدوات غالباً- إلا مشاعر الأذن والعين، وحاستي السمع والبصر، أما اليد واللمس فدلالاتها المعرفية كانت على أنها مقومة للإدراك البصري بالكتابة أو المعاينة.

### أولاً: وظيفة الحواس وقدرتها المعرفية

يقسم أهل الأصول العلم إلى اضطراري واكتسابي؛ فالحواس هي أبواب المعرفة الأولى، والحس أول مراتب الإدراك؛ وأجمع أكثر أهل التحقيق على أن النفس هي المدركة، والحواس نواقل للمعلومات؛ أما القول بنسبية الحواس وأنها مصدر خطأ، فالبعض يغلو فيه، وبعضهم الآخر لم نفهم تعبيدهم لهذه النسبية بجعلها دليل الخطأ وحجة في عدم بلوغ اليقين بها.

يرى كثير من الباحثين في الفلسفة والفكر بفروعها أن الحواس تخطئ ولا تصل إلى اليقين، ويتبعون في ذلك آراء بعض الفلاسفة القدامى وفلاسفة

المسلمين ومفكرهم وعلماهم، ومنهم كثير كالغزالي، وابن حزم، وغيرهما. واستدل بعضهم بخطأ الحواس بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلْتَهُمْ كَسْرًا بِقِيَعَةٍ يَخَسِبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَوْثًا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]. والأدلة في هذا تتكرر. فالحواس نسبية، والمعرفة (الحسية اليقينية) هي التي تقدم شهادة الحس مؤكدة قاطعة عندما تتواتر شهادات الحس هذه، وتتفق مع الحواس الأخرى ولا تتعارض مع أصول العقل وقوانينه، ولكن الحواس الخمس لا تستطيع الإحاطة بكل شيء، ولو قدر لأي من الناس غير هذه الحاسة لربما اكتشف أشياء كثيرة مغيبة عنا. وقد اكتشف العلماء أن الفضاء مملوء بالصور التي لا نستطيع مشاهدتها بالنظر المجرد؛ لعدم وجود قدر من الانسجام والتوافق بين وضعها ووضع أبصارنا، وهذه في السمع كذلك؛ فهناك مستوى يعلو عن مستوى سمعنا، وآخر دونه. قال تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِمَا بُصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا بُصِيرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحاقة: ٣٨]

أما قول بعضهم إن الحواس لا تميز، بل قولهم عن إمكان المعرفة وصدق الحواس بأنها احتمالية غير يقينية، وقد يكون ما نتيقنه خيالاً أو وهماً أو حتى حلم يقظة! والبصر والسمع لم يُنف عنه اليقين في القرآن الكريم إلا في حالة وجود عوائق ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر: ١٥]، فهنا كان ذهاب العقل لتعطيل قدرة البصر إما لسكر العقل وتحدّره أو بتأثير السحر على الأعين، قال تعالى: ﴿وَنَظَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهْمَ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف: ١٠]، والسمع هنا سمع استجابة، فكلّ ذم للحواس في القرآن أو قطع لها عن العلوم إنما هو لمرتبة أعلى من مرتبة

الإدراك الحسيّ العامّ، فكُلّها حول الهداية التوفيقية التي تكون جزاء من الله تعالى على ترك الهداية الإرشادية بإرادة من الإنسان نفسه، والعقاب بقطعها جزاء على الإعراض عن الاهتداء بعد السمع والبصر والفهم للحجّة، فتحجب الهداية التوفيقية وتبقى الإرشادية.

فالله تعالى منح عباده الحواس ليتنفعوا بها على قدر ما منحهم من قدرة ومجال يدركون فيه، وهو مشترك بين المكلفين جميعهم، ثمّ يقوى من فرد إلى آخر ومن حاسة إلى أخرى؛ غير أنّ الطاقة البشرية لا تقتصر على الحسّ دون غيره طريقاً للمعرفة؛ لأنّ ذلك يدخل في مزالق عدّة، فالله تعالى أثبت الحجية على عباده بأن منحهم ثلاث طرائق وأدوات للمعرفة ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. فالقرآن لم يهمل الحواس الإنسانية ولم يشكك فيها مثلاً فعلت بعض الفلاسفات العقلية، ولم يرفعها فوق الوسائل الأخرى مثلاً فعل التجريبيّون الحسيّون. فالاعتدال في القرآن نحو الحواس لم يدع مجالاً لمشكلة حقيقية؛ ذلك أنّ معطيات الحسّ في القرآن هي المادّة الأولى التي تعمل عليها وسائل الإدراك الأخرى.

## ثانياً: السمع والبصر في القرآن الكريم

### ١ - الأذن والسمع في القرآن الكريم:

الأذن - بالضم - هي عضو السمع في الإنسان والحيوان، واللفظ مؤنث، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ءَأُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ءَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

﴿١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩]، أمّا حساسة السمع فهي أكثر ذكراً في القرآن الكريم؛ حيث ذكرت مائة وتسعاً وثلاثين مرّة. والسمع هو الإحساس الذي به إدراك الأصوات، فهو قوّة الأذن، قد يؤدي إلى الفهم، وربما لا يوصل إليه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٦]. وحاسة السمع لها أهميّة كبيرة؛ لأنها تتلقّى المعلومات بجزئياتها المتغيّرة؛ لذا عبّر عن الأذن بالإفهام، وعن فعل السماع بالسمع والطاعة.

وللسمع أنواع، هي: سمع الإدراك، وسمع الفهم والعقل، وسمع الإجابة، وسمع القبول والانقياد، و(السمع) لا يتعدّى إلا إلى مفعول واحد، والفعل الواقع بعد المفعول في موضع الحال. والسامع أعمّ لغة من المخاطب؛ إذ الحاضر هو المخاطب الذي يوجّه إليه الكلام، والسامع يعمّ له ولسائر الحاضرين في المجلس. والسمع يعبرّ عنه بأنه قوّة الأذن والأذن أيضاً، وما قر فيها من شيء. قال تعالى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشًوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]، ويعبرّ عن الفهم والطاعة بالسمع، وكلّ نفي للسمع في القرآن هو نفي للاستجابة لما سمع بالطاعة والانقياد له، وكلّ إثبات هو بمعنى الفهم من ذلك ﴿وَإِذْ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا﴾ [الأنفال: ٣١].

فخصائص السمع الممدوح في القرآن الكريم هي الفهم لما يُلقى، والاستجابة للأوامر، والانتهاز عن الموانع، فإذا تخلّف الفهم أو الطاعة والاستجابة كان النفي للسمع وهذا في حقّ المؤمنين والكافرين. فالإعراض عن الحقّ هو إعراض عمّا سُمع، فيكون في حكم الأصم؛ لذا قال عنه تعالى:

﴿ وَإِذَا نُنُلِّ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنْ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ [لقمان: ٧]، فهو سمع لكن لم يستجب، فكان في حكم من لم يسمع؛ لأن الغاية من الخطاب لم تتحقق، فاستوى وجوده بعدمه، حال مقابلته بالرفض والعصيان ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا ﴾ [الأعراف: ١٩٨] فتعطلّ السمع إنما يكون لتعطلّ محل الإدراك، وهو القلب؛ لذا جُمعاً في الختم في عدد من الآيات، وأُفرد البصر بالغشاوة والغطاء، بل صرّح بذلك في آيات ﴿ وَنَطَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠٠]؛ أي لا يسمعون ما ينفعهم للهداية، بل ما يقيم عليهم الحجة فقط، فهم يفهمون ويدركون بالسمع ما قيل؛ لكن قلوبهم لا تقتنع وصدورهم لا تشرح للحق، فاستوى السمع والصمم؛ لأن الاستجابة منتفية، وإن كان الإدراك للأصوات وفهم الكلام قائم فالعمل بموجبه متخلف عنه، وهذا قطع للغاية من الخطاب بالأمر أو النهي، فالمراد بالسماع هنا: سماع القلب والاستجابة، وإلا فمجرد سماع الأذن يشترك فيه البرّ والفاجر.

ويقسم السماع إلى سماع الإدراك: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا مَّجْبًا ﴾ [يهدى إلى الرشد فَمَأْمَاتِهِ] ﴿ [الجن: ١]؛ وسماع الفهم: المنفي عن أهل الأعراض والغفلة: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ ﴾ [الروم: ٥٢]؛ وسماع القبول والإجابة: كما في الآية ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور: ٥١]؛ وسماع خاصة الخاصة من المقرّبين هو سماع القرآن يتلى بالاعتبارات الثلاثة، إدراكاً وفهماً وتدبراً وإجابة، وكلّ سماع في القرآن مدح الله أصحابه وأثنى عليهم وأمر به أوليائه فهو هذا السماع، سماع كلام ربّ العالمين، وسماع المواعظ، وكلام الأنبياء والمرسلين.

## ٢ - العين والإبصار في القرآن الكريم:

العين هي الباصرة، وتطلق على الحدقة؛ وقد تطلق العين على مجموع الغلاف وما فيه، كما يراد بها حقيقة الشيء المدركة بالعيان، أو ما يقوم مقام العيان.

ما يهّمنا هو العمليّات المعرفيّة؛ أي العين الجارحة كما في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد: ٨] فهمة العين في القرآن هي الرؤية، ﴿يَرَوْنَهُمْ مِّنْ دُونِهَا وَيَعْتَنِي﴾ [آل عمران: ١٣]، والإبصار، ﴿وَلَهُمْ عَيْنٌ لَّا يَبْصُرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، والمشاهدة، ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦١]، وقد وصفت العين بأمر منها: الطمس ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦]، والقرى ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ تَفَرَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ﴾ [الأحزاب: ٥١]، والمد، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [طه: ١٣١] والازدراء، ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ [هود: ٣١]، وفيض الدمع ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ [التوبة: ٩٢]، والتغطية، ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ [الكهف: ١٠١]، والدوران، ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]، واللذة. ﴿وَتَلَذُّونَ اللَّذَائِعَ﴾ [الزخرف: ٧١].

واستعمال النظر في القرآن كان بالإرشاد إلى التأمل، فهو تقليب للبصر مع استغراق وقت؛ إذ يقاربه في المعنى الانتظار، فلا يكون النظر بسرعة بل بتمهل؛ لأنّ الغاية من تقليب البصر وتحديق العين الوصول إلى إدراك المنظور إليه لتحصل منه الرؤية. وقد يراد به التأمل والفحص والمعرفة

الحاصلة بعد الفحص؛ وهي الروية. واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة. فيقال: نظرت إلى كذا إذا مدت طرفك إليه، رأيته أم لم أره، ونظرت فيه: إذا رأيته وتدبرته، ونظرت له: رحمته، وإليه: رأيته، وعليه: غضب عليه، ونظره انتظره. وللنظر أحوال كثيرة، وكيفيات متنوعة يصعب حصرها وتفصيلها.

### ٣- المفاضلة بين السمع والبصر في القرآن الكريم:

#### أ- التفاضل بين السمع والبصر عند العلماء:

اختلف العلماء في بيان السمع والبصر، أيهما أفضل؟ فبيننا يفصل بعضهم السمع، ويحتجون بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَعِينُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْتَدِي أَلْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس: ٤٢، ٤٣]؛ قال: فلما قرن بذهاب السمع ذهاب العقل، ولم يقرن بذهاب النظر إلا ذهاب البصر، كان ذلك دليلاً على أن السمع أفضل. يرى آخرون أن البصر أفضل، واحتجوا بأن أفضل النعم هو النظر إلى الله تعالى، وهذا يكون بالبصر. وأن مدرك البصر أتم وأكمل، كما أن محله أحسن وأكمل وأعظم من محل السمع؛ وذلك لشرفه وفضله.

#### ب- الجمع بين السمع والبصر في القرآن الكريم:

ورد السمع والبصر في القرآن منفردين وجمعاً في ستة وثلاثين موضعاً، منها ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨]، فالحديث عن الحواس كأدوات

للمعرفة كان غالباً عن السمع والبصر مجموعين، لأسباب عدّة، منها: أنها أداتان من أهمّ أدوات الإدراك التي يترتّب عنها معرفة الله تعالى، وأنها الطريقتان الرئيسيتان بين المعرفة والعقل، وأن فقدان الحاستين يُفقد العلم كلّ كلاماً ولغة وقراءة، وأن السمع يدرك خلال الضوء والظلمة، ومع وجود الحواجز الفاصلة بين السامع وغيره؛ إلا أن تكون كاتمة، على عكس البصر لا يبصر إلا بوجود ضوء ينعكس في العين. كما أنّ النائم أوّل ما يستيقظ منه المنبّه السمعّي يليه البصريّ. فكان أوّل الحواس اشتغالاً بعد النوم، وآخرها قبل النوم.

### ت- أسباب تقديم السمع على البصر في القرآن الكريم:

ما يلاحظ في القرآن الكريم أنّ السمع كان دائماً مقدّماً على البصر في الذكر كلما اقترنا، وهذا الترتيب كان في كتاب الإعجاز اللغويّ والبلغيّ؛ وهو القرآن، فلا يكون إلا عن سرّ، وهو قاعدة أفضليّة المتقدّم على اللاحق، خاصّة وأنّ هذا التقديم شمل كلّ المواضع التي اجتمع فيها السمع مع البصر. وهذه الملاحظة هي إحدى أدلّة القائلين بأفضليّة السمع على البصر من الناحية المعرفيّة، وهذا يستند إلى دلائل أخرى في القرآن الكريم والواقع، هي: اقترن السمع بالعقل في غير ما آية، من غير اقتران البصر بالعقل، مثل ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، و اقترن لفظ السميع بالعليم، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠] وأن حاسة السمع دائمة العمل من غير توقف، بخلاف البصر فتتوقّف بإغماض العين.

أمّا من زاوية معرفيّة خالصة فأفضليّة السمع تكون لأمر منها: أن السمع أهمّ في إقامة الحجّة على الخلق؛ وأن السمع ينقل المعارف الماضية

والأخبار الآتية، أمّا البصر فينقل الحاضر المعاین، وأن جهات استقبال السمع متعدّدة، بخلاف البصر الذي لا يكون إلا بالمقابلة. وأن حاسة السمع تشتغل ليلاً نهاراً، في الظلام والنور، أول حاسة تستجيب من النائم حاسة السمع، وإن كان مغمض العينين، وأن فاقد السمع يفقد النطق؛ لعدم القدرة على التلقين وإدراك المخارج والصفات، يفقد خاصية المخاطبة.

### ث- أسباب تقديم البصر على السمع في القرآن الكريم:

ورد البصر متقدماً على السمع في مواضع كان الغالب فيها الذم والتعطيل والعقاب. ففي حالات المدح بقدم السمع، أمّا في ما عاكسها فيقدم البصر، وهذا لا ينفي أفضلية السمع بل يثبتها. ومن المواضع التي قدّم فيها البصر على السمع قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ومما هو معلوم أن البصر أهم للحيوانات من السمع؛ وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَرِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ [هود: ٢٤]؛ فقدمت حاسة البصر المعطّلة على حاسة السمع المعطّلة. وجاء تقديم البصر في موقف تعذيبهم ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبَكَآ وَصُمًا﴾ [الإسراء: ٩٧] وفي حالة ندم الكفار ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]؛ فالمعاينة بالبصر أقوى من الخبر المنقول، والمشاهدة أكد.

### ثالثاً: القلب في القرآن الكريم

بعد أن تكلمنا عن الحواس نبين الجانب المكمل في التحصيل المعرفي كما ورد في القرآن الكريم وهو القلب، الذي ورد بمعانٍ وألفاظ كالقؤاد واللب،

فكان في الآيات جميعها التي بيّنت طرائق العلم وتحصيل المعرفة بإثباتها أو نفيها ذكر وسائل المعرفة وهي القلب أو الفؤاد، ثمّ السمع والبصر، مثل ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] فالقلب أداة وظيفتها التعقل، والأذن وظيفتها السمع، والعين وظيفتها الإبصار. وجمع بين القلب أو الفؤاد وحاستيّ السمع والبصر في قرابة عشرين آية، كلّها تنبئ أنّ القلب أداة داخلية في الجسم دورها متكامل مع الحواس الخارجية، خاصّة السمع والبصر.

## ١ - مفهوم القلب في القرآن الكريم:

قال أهل اللغة في معناه: هو الفؤاد، والعقل المحض، وخالص كلّ شيء، والتقلّب الحيلة. والقُلْب: الذي يقلّب الأمور عن علم بها. وسمّيت المضغّة الصنوبرية قلباً؛ لكونها أشرف الأعضاء لما فيها من العقل، وسرعة الخواطر والتلون في الأحوال، ولأنها مقلوبة الخلقة، كما يشهد به علم التشريح. ويسمّى عند بعض الفلاسفة: "بالنفس الناطقة، والروح الباطنة، والنفس الحيوانية المركّبة، وهي النفس المدركة العالمة من الإنسان والمطالبة والمعاقبة. قال الجرجاني: "القلب مصطلح على اللطيفة الربانية بالقلب الجسمانيّ الصنوبريّ الشكل المودع من الصدر، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان". أمّا القلب الصنوبريّ فقليل إنه سبع طبقات، هي: الصدر: محلّ الإسلام والوسواس والحفظ والذاكرة. والقلب: وهو محلّ الإيثار والتعقل والسمع والبصيرة. والشغاف: وهو محلّ محبة الخلق. والفؤاد: وهو محلّ رؤية الحقّ. والسويداء: محلّ العلوم الدينية. ومهجة القلب: محلّ تجلّي الصفات.

وحبة القلب: محلّ محبة الحقّ.

ويرد القلب في القرآن على معانٍ ثلاثة: العقل وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]؛ والثاني: الرأي والتدبير ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]، والثالث: حقيقة القلب الذي هو في الصدر ﴿وَلَكِنَّ نَعْمَى الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. وقد يطلق على القلب عقلاً، مثلما أطلق على الأذن السمع، فسُميت الجارحة "الأداة" بوظيفتها، وقد تذكر الجارحة والمراد وظيفتها، لأنّه لم يورد الأدوات من الناحية التشريحيّة بل من الناحية الوظيفيّة فقط. غير أنّ العقل هو أحد القوى الإدراكية لا كلّها، فهناك الفكر والذاكرة والحافظة والفهم.

## ٢- المصطلحات المرادفة للقلب في القرآن الكريم:

إذا تتبعنا الآيات بالقرآن باحثاً عن المفاهيم المعرفيّة وجدت قسمين: أدوات لها وظائف، كالحواس تذكر الأداة الجارحة، ثم تحديد وظيفتها. وقد تذكر الوظيفة من غير أدواتها، لأنّ الغاية والمراد الجانب العلميّ والعمليّ؛ لا الجانب الماديّ الجسميّ. كما قد تذكر الوظيفة بذكر الأداة فقط، من غير التصريح بعملها، كناية عن الوظيفة؛ وهذا يجلبه السياق، وذلك لتضمّنها لها، وبيان الغاية من الأداة. فالمراد "العقل" من القلب بالسياق، وهو الذكريّ وفهم الوحي، وهذا لا يكون إلا بالقوّة العلميّة بالقلب؛ أي قوّة العقل وهي التعقلّ.

ونحاول فيما يأتي جمع الأدوات التي نسب لها بعض وظائف القلب الإدراكية، مما يفهم من ذلك أنّها مرادفة له؛ لا شيء خارج عنه. وذاك لأنّ

القرآن حصر أدوات تحصيل المعرفة في ثلاث لا رابع لها، وهي القلب والأذن والعين.

### أ- الفؤاد:

الفؤاد عند أهل اللغة هو الحُمَى وشدة الحرارة. والفؤاد القلب، سمي بذلك لحرارته وتوقُّده. وقيل هو غشاء القلب، وقيل: باطن القلب، والقلب حَبَّتُه وسويداه. والفؤاد الرقيق تسرع إمالته، والفؤاد الغليظ كالقلب القاسي لا ينفعل لشيء. وإطلاقه كان على المعنوي؛ لا على الجارحة، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن عاشور: الأفتدة: جمع الفؤاد؛ وأصله القلب، ويطلق كثيراً على العقل وهو المراد هنا. غير أن "الفؤاد" ورد بوصفه مفهوم طاقة، أو ملكة، وبالأحرى وظيفة معرفية إدراكية، إذ نجده يقرن مع وظيفة السمع والبصر؛ أي مع قوى الإدراك لا مع وسائلها. فقوى تحصيل المعرفة هي السمع والبصر والفؤاد، غير أنه لم ترد آية واحدة في سياق الامتنان؛ جمعت فيها الحواس مع القلب، بل كان الجمع معه في مقام الدّم دائماً؛ إمّا بالإنكار أو التحقير أو إقفال طرق العلم بالطبع أو الختم أو الغشابة.

وباستقراء آيات الفؤاد في القرآن ومقارنتها مع آيات القلب نلاحظ ما يأتي: اختصاصه بالرؤية ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ﴿١١﴾ [النجم: ١١]، واختصاصه الفؤاد بالكذب، بينما وصف القلب بالزيف والإنكار والظنّ والعمى والنفاق. ووصف الفؤاد بالفراغ والهواء: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَدَرًا ۖ إِنَّ

كَادَتْ لِنُبْدَى بِهِ ﴿ [القصص: ١٠]؛ وفي معنى الفراغ أقوال؛ غير أن كلها تدلّ على أن سبب الفراغ الخوف. قال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ [إبراهيم: ٤٣]. نجد أن الفؤاد قد وصف بالهوى والصغور، ووصف بالثبّت: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِذِي فُؤَادِكَ ﴿ [هود: ١٢٠]؛ ووصف الفؤاد والقلب معاً بالثقل: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْ لَمْ يَرْوُكْ ﴿ [الأنعام: ١١٠]، فمع أن كليهما وصف بالثقل غير أن الفؤاد كان ثقلياً لقوى الإدراك، أمّا القلب فكان لقوى الإرادة؛ أي إن ثقل الفؤاد معرفي، أمّا القلب فوجداني ومشاعري.

فقوى الإدراك ثلاث: السمع والبصر والفؤاد، وكلها من شأن النفس المدركة بالقلب، وهذا ما لم نجد فيه خلافاً يقوم معه، لذا قال الغزالي: اعلم أن محلّ العلم هو القلب. نفهم من هذا أن القوى المدركة بالفؤاد، وقوة السمع وقوة البصر المدركة بالقلب، فالأذن ناقلة للأصوات، والعين للصور، والفؤاد هو المدرك لها والفاهم والمفكر.

فأول مراتب العلم هو الشعور وهو إدراك من غير إثبات، فكأنه إدراك متزلزل: يكون قبله الإحساس وهو إدراك الشيء مكتنفاً بالعوارض الغريبة واللواحق المادية، مع حضور المادّة ونسبة خاصّة بينها وبين المدرك. والإحساس للحواس الظاهرة، أمّا الإدراك فللقلب أو العقل أو اللطيفة الروحانية النفسية. وقد صرح المحققون بأنّ القوى الجسمانية آلات للإحساس؛ والمدرك هو النفس. ففعل القلب المعرفي الإدراكيّ يبتدئ من حيث ينتهي الحسّ لذا قيل "بداية العقول نهاية المحسوسات".

## ب- اللب:

وهو العقل الخالص من الشوائب، وقيل ما ذكا من العقل، فكل لب عقل ولا عكس. ولهذا علّق الله الأحكام التي لا تدركها إلا العقول الذكيّة؛ بأولي الأبواب. واللب هو القلب الخالص، وخالص القلب، ويكنى به عن العقل، لأنه خالص القلب والخطاب موجّه له. واللييب العاقل، وألب به لبًا، إذا أقام به، والملبوب: الموصوف بالعقل. فأصل اللب من ألبّ، وهو كالألبّ -بالفتح- بمعنى الملازم، وبالضمّ بمعنى الخالص من كل شيء. وهو قلب كل شيء وعقله.

ورد لفظ اللب في القرآن الكريم في صيغة الجمع المضاف لإسم الإشارة؛ دلالة على الاختصاص والاستحقاق؛ مثل ذاك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَدُوْ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: ٦٨]؛ أي صاحب علم، وهذا أرفع من لفظ "عالم"؛ لاختصاصه بالعلم دون غيره. وفي ورود اللب بصيغة الجمع نكتة بلاغية - ذكرت في الفصل الأول - فائدتها انتفاء الثقل في النطق.

باستقراء آيات اللب في القرآن نلاحظ تخصيصه بأمر منها: منح أولى الأبواب صفات خاصّة بهم دون غيرهم، وأخرى شرط في انتسابهم لهذه الخاصيّة، منها الإيمان والهداية، والتقوى والعلم، والتفكر في خلق الله تعالى، والتدبر في وحيه. كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [غافر: ٥٤]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِي الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]. ويمثّل اللب خالص القلب، بل خالص العقل، والتذكّر أعلى من الفقه، والتعقل، والرؤيّة، ومن التفكّر، لذا نجد في

آية القصاص ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُذِّبَ عَلَيْكُمْ أَلْفِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فكان لا بدّ من طرح سؤال: كيف يليق بكمال رحمته إيلاء العبد الضعيف؟ لأجل دفع هذا السؤال؛ ذكر عقب بيان أحكام القصاص؛ حكمة تشريعه؛ وهي ضمان بقاء الحياة للذين يقيمون حدود الله، وهذه ما يعقلها إلا أولو الألباب؛ لإبصارهم العواقب من تجاربهم في الدنيا، وفهمهم لسلوك الناس وعادات مجتمعاتهم، ويعلمون أثر الخوف من العقاب، والردع الناتج من ذلك.

فيكون بذلك أولو الألباب هم خلاصة ذوي العقول، فهم من يستحضرون العلوم بعد التفكير والتبصّر فيها وحفظها؛ فيتجلّى لهم ما لا يطّلع عليه غيرهم. وأولو الألباب هم خاصّة عباد الرحمن الذين أقبلوا على طاعته، وتزوّدوا بالتقوى، وآمنوا وعلموا، ثمّ تفكّروا وتدبّروا، فخصّهم الرحمن بإدراك أسرار التشريع، وحكم الأحكام دون غيرهم؛ ﴿وَلَكُمْ فِي أَلْفِصَاصٍ حَيَوةٌ يَأْتُوا لِيَأْتِيَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]. فهم ذوو الحكمة والرسوخ في العلم، لذا أناط بهم خاصيّة التذكّر؛ لأنّهم اختصّوا دون غيرهم باللب، وإذا قيل أنّ اللب هو العقل؛ فهنا إشكال وهو: إذا كان لا يصحّ الخطاب إلا للعقلاء فما الفائدة في قوله "أولي الألباب"؟ هنا يعلم أنّ اللب هو العقل الخالص من الشوائب، وليس كلّ صاحب عقل صاحب لب. كما أنّ الخطاب في الآية كان المراد منه التنبيه على أولي الألباب بأنّهم تلحقهم لمكانتهم العلميّة تبعه المحاسبة والرقابة، فهم أعلم الناس بمراد الله تعالى؛ فكان لا بدّ لهم أن يكونوا أسبق الناس عملاً بذلك العلم، وإعراضهم أقبح من إعراض غيرهم؛ لعظم الحجّة القائمة عليهم مقارنة بغيرهم.

## ت- الأبصار:

وهي البصيرة، وقد وردت بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿لَا بُدَّ لَكَ لَهْبَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣]؛ قال الراغب: يقال لقوة القلب المدركة بصيرة، ولا يكاد يقال للجراحة بصيرة، وقلما يقال بَصُرَتْ في الحاسة إذا لم تضامه رؤية القلب. ولأنَّ البصيرة كانت بمعنى قوى الإدراك نجد تفسيرها لا يتجاوز ذلك، قال الطبري في معنى "لأولي الأبصار"، ممن له فهم وعقل. والبصيرة وظيفتها التبصّر، وهذه درجة قبل التذكّر؛ فهي نور في القلب يبصر به، فيقوم في قلبه شواهد الحقّ، ويرى حقيقة ما يبلغه ويخبر به عن طريق الرسل، فالبصيرة ما خلّصك من الحيرة إمّا بإيمان أو عيان. والبصيرة خصّت بالعبرة، وخصّ اللب بالتذكّر. وهي نور في القلب لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

## ث- الصدر:

وهو أعلى ومقدّم كل شيء وأوله، حتى إنهم يقولون: صدر النهار والليل، وصدر الشتاء والصيف. والصدر من الإنسان والحيوان ما دون العنق إلى فضاء الجوف، وعند الأطباء: قفص عظميّ غضروفيّ يتضمن الآلات الرئيسيّة للتنفس والدورة. وقد ورد الصدر في القرآن الكريم أربعاً وأربعين مرة، نسبت له فيها أفعال وصفات يكتسبها؛ دلّت على أنّ له دوراً في الجانب المعرفي، وأنّه ذو علاقة مع القلب مركز الإدراك. بل بعض الصفات التي نسبت للصدر هي من صفات القلب، فالصدر حاوٍ للقلب، والقلب

حاوٍ للفؤاد، والفؤاد حاوٍ للُبِّ، "فالصدر بالنسبة إلى القلب بمنزلة بياض العين في العين، ومثل صحن الدار في الدار، ومثل الذي يحوط بمكة.. فهذا الصدر موضع دخول الوسواس والآفات كما يعيب بياض العين آفة البثور وسائر علل الرمذ." وهو موضع الشهوات، والحاجات، والأمانى، وولاية النفس الأمانة بالسوء، والوساوس، وهو موضع الإسلام، وحفظ العلم المسموع؛ من أحكام وأخبار.

ومن صفات الصدر في القرآن ما يأتي: الانشراح: ﴿وَلَكِنْ مَن شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦]، والإسلام: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] والكفر: ﴿وَلَكِنْ مَن شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٦] والضيق: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] والحرج: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢] وأنه حاوٍ للقلب ولكل ما علم وللآيات والأخبار، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿٤٦﴾ [الحج: ٤٦]، فنجد قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تُسْرَتُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ الصُّدُورِ﴾ ﴿٥﴾ [هود: ٥]. فالعلن والجهر معلوم للكُلِّ بالسمع، لكن الله استوى عنده السر والجهر ﴿وَأَسْرَأُ قَوْلَكُمُ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ﴾ [الملك: ١٣] هذا سواء عند الله لأنه ﴿إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ [الملك: ١٣]، فالتحدّي قائم حول ما أُسرَّ لا ما جهر به؛ لأنه متمكّن منه للكُلِّ.

ووصف الصدر كذلك بأنه محلّ الوسواس: ﴿الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ﴿٥﴾ [الناس: ٥] وأنه محلّ الحوائج: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ [غافر: ٨٠]، ووصف كذلك بالكبر والغل: ﴿إِن فِي

صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْبِغِيهِ ﴿ غافر: ٥٦ ﴾ ووصف بالابتلاء: ﴿ وَيَلْتَلِي  
 اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَيُلْمِصُّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿ ١٥٤ ﴾ [آل  
 عمران: ١٥٤] ووصف بمثل ذلك الصدر بالتحصيل ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي  
 الْقُبُورِ ﴿ ٩ ﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿ ١٠ ﴾ [العاديات: ١٠]؛ ووصف بالرهبة: ﴿ لَأَنْتُمْ  
 أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [الحشر: ١٣]؛ وبالشفاء: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن  
 رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴿ يونس: ٥٧ ﴾ وخلاصة ذلك أن الصدر يحوط  
 بالقلب، والذي يدخل فيه قلماً يشعر به في حينه، وهو موضع نور الإسلام،  
 وموضع حفظ العلم المسموع؛ من أحكام وأخبار، وموضع دخول الغل،  
 والشهوات والمنى، والحاجات، وهو يضيق حرجاً أحياناً؛ وينتشر أحياناً  
 أخرى، وهو موضع ولاية النفس الأتمة بالسوء، ودخول الوسواس  
 وآفات الخواطر، وسمي الصدر صدراً لآته صدر القلب وأوله ومقدمته،  
 ولأن منه تصدر الحوائج والوسواس والخواطر نحو القلب، وهو مستقرها  
 والمتدبر لها والمتفكر فيها.

### ٣- أعمال القلب وأحواله في القرآن الكريم:

وظائف القلب على ما بين: الأول: العلوم والتصورات، وهو العمليّات  
 المعرفيّة؛ من فكر وتدبر وتذكر، ومعلومات سابقة، ونتيجة متحصلة منها. والثاني  
 من وظائف القلب فهو باب الإرادات والعزوم، وهذا بالتعلق والميل إلى أمور،  
 والابتعاد والنفور من أمور أخرى. وذا الباب درجات؛ أولها الميل ثم العلاقة ثم  
 الإرادة ويرتقي في درجات التعلق حتى يصل إلى العبودية. وعن الإرادة ينتج  
 العزم، وهو قرار العمل قليلاً باستخدام الجوارح، فإن لم تعمل الجوارح كان

التَّمَنِّي والتَّشَهِّي. فإن استحكمت الإرادة صارت عزمًا، ويتولّد عن العزم الفعل. بهذا تبيّن الفرق بين العقل وهو باب التّصوُّرات والعلوم، وبين العاطفة وهي باب الإرادات والعزوم وما يشملها من تمَنٍّ وشهوات وأهواء.

في القرآن صفات كثيرة ذكرت للقلب؛ من أفعال يقوم بها، وخصائص تجعل منه عالماً قائماً بذاته، واتسعت معانيه وتعددت جوانبه، وكلها صور من العقل، أو العاطفة والأحاسيس والمشاعر الوجدانيّة، وأحياناً تجمع الجانبين العقليّ والعاطفيّ ويزيد عليهما عمقاً وبعداً آخر.

#### - باب الإدراك:

وهذا يشمل التّصوُّرات والمفهومات، والقابليّة للمعرفة والعلم، وتدبير الصناعات الخفيّة الفكريّة والعلوم المستفادة من التجارب، والتمييز والحفظ والتذكر والإنتاج للمعلومات.

#### - باب الإرادة:

وفيه الطباع؛ من شهوات ووجدان ورغبات ومعنويات وميولات، وهي قائمة على الطلب والترك؛ الحبّ والبغض، والقرب والنفرة، وما وضع في الطباع من العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات. والإرادات والعزوم هي ما يحصل بعد الخواطر والتفكّر، ويكون بعدها اليقين والإيمان والاعتقاد والطمأنينة.

وفي القرآن وردت صفات للقلب خاصّة به، منها ما كانت منه، ومنها ما كانت واقعة عليه. فبعض الصفات تكون من أفعاله كالخوف والوجل، وأخرى يتعرض لها كالإقفال والربط والتمحيص له، وقذف الرعب فيه.

هناك صفات إدراكية معرفية: وهي كثيرة جداً، منها: الهداية، والفقہ، والزيغ، والعقل، والعمى، والتدبر، والإنكار، والعلم، والظن، وصفات إرادية معنوية وعملية، منها: الغلظة، والسلامة، والإنابة، والإثم، والاطمئنان، والطمع، والتقوى، والتقلب، والاشمئزاز، والسكينة، والرأفة، والوجف، والصغوى، والقسوة، والكسب، والتعمد، والطهر، والحب، والغلف، والغل، والشرب، والحسرة، والوجل، والتألف، والإباء، والغيط، والنفاق، والريبة، واللهو، والإخبات، والرعب، واللين، والحمية، والخشوع. وهناك صفات مقترنة بالقلب الواقع عليه وهي أفعال الله في القلوب: منها: الطبع، والإنزال، والختم، والحول، والربط، والإلقاء، والسلوك، والإقبال، والتأليف، والتمحيص، والتزيين، والتطهير، والتقطيع، والصرف، والشد، والقذف، والكتابة، والران.

ويمكن تمييز الوظائف بتقسيمها إلى قوتين رئيسيتين: الأولى هي القوة العلمية: وهي قوة الإدراك، والتمييز، وقبول العلم، وتخزينه وحفظه واستذكاره، وترتيبه والاستنباط منه. والثانية للقلب فهي القوة العملية: وهي قوة الإرادة والعزم والحب والإيمان، وهذه تمثل أعمال القلب وما يكسب بها من حسنات أو سيئات، وأحواله الوجدانية من ألم وحسرة ومرض وبغض وغل، ومن صحة وفرح وحب، وهذه الأمور ناتجة عن العلائق والخواطر والطباع التي فطر عليها.

ولا بدّ لحياة الإنسان من أمرين، أحدهما: معرفة ما هو المحبوب المطلوب؛ الذي يتنفع به ويلتذ بإدراكه. والثاني: معين دافع له عنه، فهذه

أربعة أشياء: أمر هو محبوب مطلوب الوجود. وأمر مكروه مطلوب العدم. والوسيلة إلى حصول المطلوب المحبوب. والوسيلة إلى دفع المكروه. فتكون الإرادة خاضعة لما سبقها من شهوات، وطباع جُبِلَ الإنسان عليها، وإدراكات كانت حاصلة بالتصوّر المنقول من الحس، ثم يترقى التصوّر؛ من الحس إلى الشعور إلى الإدراك، حتى يصل إلى العقل وهو القوّة الحاكمة؛ التي تفصل بين الشهوات والطباع والإرادات، فإمّا أن تقرر المنع والحس؛ أو أن توافق الإرادات، فيكون العزم، فيصدر الأمر للأعضاء بالتنفيذ، فإن توفرت القدرة تمكّن الإنسان من تحقيق مراده، فالفعل الإنساني قائم على ركائز ثلاث هي: الإرادة، والإدراك، والقدرة. وبصيغة منطقية: ماذا يفعل؟ وكيف يفعل؟ وهل يمكن الفعل؟

#### ٤ - أهمية القلب معرفياً في القرآن الكريم:

خلق الله القلب وجعله محلاً لمعرفة وإرادته، فهو "عرش المثل الأعلى الذي هو معرفته ومحبه وإرادته"، وللقلب علائق من ملاذ الدنيا، وطباع جُبِلَ عليها، كما له إرادة وعلوم، ومبدأ كل علم وعمل فيه؛ هو الأفكار، فإنّها توجب التصوّرات، وتدعو التصوّرات إلى الإرادات، وتقتضي الإرادات الفعل، ويولّد التكرار العادة، ومعلوم أنّ الإنسان لا يملك وقف الخواطر، ولا طاقة له بإماتتها، فهي تهجم هجوم النَّفس، إلاّ أنّه منح قوّة الإيمان والعقل؛ ليستعين بذلك على قبول أحسنها، والرضى به والسكون إليه، وعلى دفع القبيح وكرهته والنفرة منه.

فشرف القلب من شرف ما فيه، وما أنيط به من مسؤوليات، و"هو  
أعظم الأشياء الموصوفة بالسعة من جانب الحق، ومعدن الروح الحيواني  
المتعلق للنفس الإنساني، ومنبع الشعب المنبثة في أقطار البدن الإنساني، بل  
في سائر الحيوانات التامة الخلقة، ومنه تصل الحياة والفيض إلى الأعضاء على  
السوية بمقتضى العدل، وله إيفاء كل ذي حقّ حقّه.

## الفصل الثاني:

### طرق اكتساب المعرفة في القرآن الكريم

تعاون في عمليّة اكتساب المعرفة وسائل الحس الظاهرة والباطنة، وموازن العقل الفطرية والمكتسبة، ومعارفه التي اكتسبها بنفسه أو تلقّاها من غيره؛ يضاف إلى ذلك ما يوحي به الله تعالى لأنبيائه من معارف تكون يقينيّة. وأول طرق اكتساب المعارف هو الإدراك الحسيّ، فالحواس هي بمثابة منافذ تطلّ منها كل القوى المدركة، فهي الناقل لما تحسه نحو منطقة الإدراك، بعدها يتمّ التسجيل، ثمّ تبدأ العمليات الإدراكيّة. والإدراك هو وصول مثال حقيقة المدرك إلى المدرك. ولوصول العلم إلى النفس المدركة مراتب، فالإحساس للحواس الظاهرة، كما أنّ الإدراك للحس المشترك أو العقل، والحس المشترك هو الحواس الباطنة وهو الخيال والواهمة والحافظة والمتخيّلة.

#### أولاً: الإحساس:

##### ١ - مفهوم الإحساس:

الإحساس: أول مراحل وصول العلم إلى النفس المدركة، وهو إدراك الشيء بإحدى الحواس، وهو إدراك للشيء مكتنفًا بالعوارض، واللواحق الماديّة؛ ونسبة خاصّة بينهما وبين المدرك. ويكون الإحساس للحواس الظاهرة، وللعقل، فهو كمال يحصل به مزيد كشف على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم؛ من جهة التعقّل بالبرهان أو الخبر.

ولدى الإحساس مجالٌ معرفيٌّ خاصٌّ به؛ حيث يكون أول مرحلة تدخل فيها المعرفة إلى النفس، وأول انفعال تتأثر فيه، وهذا يعني أنه أول عنصر وجدانيّ، ومن ثمّة كان الإحساس طريق معرفتنا بالعالم الخارجي، والحواس أبواب المعرفة. تقول شملت الشيء ولم أدرك ريحه، فمجرد الاتصال الحسي لا يعدّ إدراكاً؛ بل لا بُدَّ من انضمام العقل إليه. من ذلك قوله: ﴿وَرَنَّهُمْ يَظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]؛ فالنظر تحديق العين نحو المنظور إليه، وهذا إحساس العين؛ حيث تستقبل العين صورة المرئي. ويرى المشركون النبي ﷺ رأي عين؛ ولكنهم لا يبصرون بصر إدراك واعتبار وتوسم.

فالنظر تقليب للحدقة نحو المرئي التماساً لرؤيته؛ والرؤية من توابع النظر، ثمّ البصر، ثمّ البصيرة وهي حركة القوّة المدركة لطلب العلم. لكنّ عمليّة الإحساس أي الرؤية، لم تتعرض لآفة أو تعطيل، فالخلاف في معنى المنقول عبر حاسة العين؛ ومحل النزاع في العملية الإدراكية، لا في عمليّة الإحساس. وإلا لانتفى الخطاب؛ لأنّه موجه ليستقبل بحاسة العين. وليس ثمّة ما يمكن أن يقال هذا إدراك؛ ما لم يكن ثمّة حكم على المحسوس، ويشترك الحكم والعقل والحسّ في إصداره في ما يتعلّق بالمحسوسات. لذا نجد أنّ الحواس إذا عرضت في مقام ذكر أبواب العلم لا بُدَّ أن تقرن بالفؤاد أو القلب، وتعطيلها تعطيل للعقل؛ فالإحساس مرحلة أولى للمعرفة، لكن من غير إدراك، فهو أداء وظيفيّ غرائزيّ بهيمي لا أكثر، ومن غير محلّ الإدراك؛ يكون مجرد تأثر بمثيرات خارجيّة والتفاعل معها غرائزيّاً.

## ٢- تكون الإحساس:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ [النحل: ٧٨] فيه دلالة واضحة على أن الإنسان خلق لا علم له بشيء من المعقولات، ولا المحسوسات البتّة. فهي إشارة إلى مبادئ العلم الذي أنعم الله بها على الإنسان، فمبدأ التصوّر هو الحسّ، والعمدة فيه السمع والبصر، وإن كان هناك غيرهما من اللمس والذوق والشمّ فأهميّتها معرفياً دونها. فأول ما يخلق في الإنسان حاسة اللمس؛ فيدرك بها أجناساً من الموجودات، فاللمس قاصر عن الألوان والأصوات، ثمّ يخلق البصر فيدرك به الألوان والأشكال وغير ذلك، ثمّ يفتح له السمع فيسمع الأصوات، ثمّ يترقى في مدارك هذه الحاسة على التدرّج، ثمّ يخلق الذوق فيدرك به تفاضل الطعم؛ وكذلك الشمّ وهو أكمله. ثمّ يخلق فيه التمييز وهو طور آخر من أطوار وجوده؛ ثمّ يترقى إلى طور آخر يدرك به الواجب والجائز والمستحيل؛ وأنّ حكم الشيء حكم مثله، ولا يجتمع الضدّ مع ضده، وإذا صدق أحد النقيضين كذب الآخر، ونحو ذلك من العلوم الضرورية، ثمّ يتطور إلى طور يستنتج العلوم النظرية من الضرورية، ثمّ يترقى في مراتب الإدراك.

## ٣- دور الإحساس وقيّمته المعرفية:

لا تعد الحواس وحدها إلى المعرفة، فالإحساس أحد طرق تحصيل المعرفة الإنسانية؛ فدور العقل الاعتبار والقياس والتعميم؛ فلا بُدّ أن يعتمد على المبادئ الحسية، وكذلك الخبر لا بُدّ له في أصله الإخبار عن قيمة حسية،

فالإحساس باب للعقل نحو المعرفة في القرآن الكريم؛ حيث كانت المعجزات الكونية مبصرة والقرآن مسموع. وتقسيم الأمور الخارجية إلى قضايا محسوسة وأخرى معقولة؛ لا تدرك إلا بالعقل غير صحيح البتة. وما أخبرت به الرسل من الأمور الغيبية من وجود الجنة والنار والملائكة والجن هي قضايا محسوسة، وكذلك ما يتنعم به أهل الجنة، ويعذب به أهل النار أمور حسية؛ وليست أموراً عقلية؛ صورتها الرسل على أنها حسية: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ [طه: ٩٧]. فالروح وحتى ذات الله تعالى يمكن رؤيتها بالأبصار ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فنفي الإحاطة يلزم إثبات الرؤية، لكن لما كانت هذه الأمور وما هو في عالمنا غائباً سميت غيباً؛ في مقابل عالم الشهادة المشاهد والمعين. والعقل يكتسب معلوماته من الواقع؛ بوسائل اتصاله بالعالم الخارجي، وهي الحواس التي يتركب منها الإحساس؛ أي القوة الكامنة في الحواس.

فالإحساس يختص بطريق الحواس بما هو خارج الإنسان، ويستوعب كل المسموعات والمرئيات والروائح والأذواق والملموسات. وهناك حسّ باطن يشته الكثير؛ وهو ما يجد الواحد فينا من ألم ولذة وحبّ وبغض، وهذه أثبتت للقلب في القرآن الكريم. وآيات الكون الواردة في القرآن الكريم؛ الاعتبار بها لا يكون إلا بالبصر والسمع، ثم يلي القياس والاعتبار بعد فهم ما يراد والتفكير ثم التذكير. لذا كان مدار العلم على الإحساس والإدراك ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وعالم الشهادة هو المشاهد المحسوس؛ فكان هو مجال الإحساس في هذه الدنيا؛ بما فيها من آيات مخلوقة ومتلوّة. ودور العقل الارتقاء بما ورد عن طريق الإحساس لفهمه والقياس عليه، فينشأ من ذلك علوم نظريّة عقليّة خالصة؛ إذ خلق الإنسان أول ما خرج من رحم أمّه للدنيا في مبدأ الفطرة خالياً من المعارف والمعلومات لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]؛ فالنكرة سياق في النفي تفيد العموم؛ أي أنّ الطفل يخرج من بطن أمّه صفحة بيضاء معرفياً، ثمّ يخلق الله له الإحساس (القوّة)؛ ليستفيد بها المعارف والعلوم مع (الإدراك). فالتصورات والتصديقات إما أن تكون كسبيّة أو بدهيّة، والكسبيّة لا يمكن حصولها إلا بواسطة تركيبات بدهيّة، فلا بُدّ من سبق البدهيّات؛ فكانت النفس خالية من جميع العلوم، إلا أنّه تعالى خلق السمع والبصر؛ فإذا أبصر الطفل شيئاً أو سمعه مرة بعد أخرى، ارتسم في مخيلته ماهيّة ذلك المبصر أو المسموع، وكذلك سائر الحواس، فيصير حصول الحواس سبباً لحصول ماهيّة المحسوسات في النفس والعقل.

والحاصل أنّ العلوم الكسبيّة إنّما يمكن اكتسابها بواسطة البديهة؛ وحدث البديهة يكون عند حدوث تصوّر موضوعاتها ومحمولاتها، وحدث التصوّرات إنّما كان بسبب إعانة هذه الحواس على إحداثها، فظهر أنّ السبب الأول لحدث هذه المعارف في النفوس والعقول؛ هو أنّه تعالى أعطانا هذه الحواس، فأصبحت سبباً لانتقال نفوسنا من عدم العلم بشيء قط؛ إلى مراحل من العلم المتفاوت بين الناس".

#### ٤ - مجال الإحساس :

تمكّنتنا حواسنا من الإحساس بما حولنا من أشياء، وفحصها، وتمييزها عن غيرها، بحيث يتسنى لنا تطبيق معطياتها في استعمالاتنا، على أنحاء شتى لمواجهة مقتضيات هذه الحياة، ولو تغيّرت حواسنا؛ لتغيّرت إحساساتنا، ولتغيّرت مظاهر الأشياء، ونظمها الخارجيّة في نظرنا تغيراً تاماً. فلو كانت حاسة السمع أقوى مئة مرة لسمعنا أصواتاً هائلة ومتعددة وضجيجاً شديد الإزعاج، ولو كانت العين أحدّ لأبصرنا عوالم أكثر حولنا بل لصاقت بنا الحياة لما تحوي من مرئيات. فأهمّ خصائص الإحساس اتصاله بالمادة، وعالمه هو عالم الشهادة كما ورد في القرآن الكريم، وهذا إثبات لواقعيّة العالم الخارجيّ؛ مع تأكيد عدم استقلال الإحساس وحده، وإثما الحكم للقوّة المدركة وهي العقل، والعقل لا يحكم من غير أن ينقل له الإحساس. فمجال الحواس هو الإحساس بما ورد في عالم الشهادة من غير عالم الغيب، وما لا تصل إليه الحواس لا يكون له وجود في عالم الشهادة، ومجاله إمّا أن يكون ذهنياً أو غيبياً. وما لا يمكن الإحساس به مطلقاً هو ما كان ذهنياً لا يوجد إلا بالعقل، وما قصّر وجوده في العقل حصر به، فلا وجود له في غيره، وما كان غيباً فهو محسوس، إلا أنّ مجال الحواس في الدنيا هو الشهادة فقط. فالإحساس خادم للعقل، والخادم لا يكون بديلاً عن سيده بل معيناً له، فهو يمثل جزءاً من العمليّات المعرفيّة، بل بدايتها. وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى ما هو كونيّ من عالم الشهادة كي يعتبر الناس بما خلق الله تعالى ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقال: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩)

إِنَّهُ، لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ [الحاقة: ٣٨، ٣٩]، وقال: ﴿كَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَديدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢]؛ أي يوم الحساب يرى ما لم يكن يؤمن به، ويرى ما لا طاقة له برؤيته يوم الشهادة، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وهنا يكون النظر إمّا بالرؤية، أو بسماع الأخبار والنظر إلى الآثار، وكل ذلك لفهم سنن القيام والسقوط؛ ونشأة الحضارات والأمم والقوى واندثارها.

## ثانياً: الإدراك

هو تمثل حقيقة الشيء عند المدرك؛ يشاهد بها ما يدرك به، فهو كمال حاصل في النفس؛ يحدث بسببه مزيد من كشف ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم من جهة التعقل بالبرهان أو الخبر، وهذا الكمال الزائد على ما حصل في النفس بكل واحدة من الحواس هو المسمّى إدراكاً. ثم هذه الإدراكات ليست بخروج شيء من الآلة المدركة إلى الشيء المدرك؛ ولا بانطباع صورة المدرك فيها، وإنما هي معنى يخلقه الله تعالى في تلك النفس المدركة أي "معنى قائم بالعالم".

وطور الإدراك هو طور بعد الإحساس، يتزايد ويتناقص بقدر تفاوت قدرات الناس، وأول أطوار الإدراك التمييز وهو مراتب؛ وفيه يدرك أموراً زائدة على الإحساس، لم تكن حصلت له من قبل، ثم يترقى إلى طور آخر يستنبط فيه العلوم النظرية؛ من تلك الضرورية التي تقدم علمه بها، ثم يترقى في هذا الطور من أمر إلى أمر فوقه وأغمض منه، نسبة ما قبله إليه كنسبة

الحسّ إلى العقل، ثمّ وراء ذلك كلّ طور آخر؛ نسبة ما قبله إليه كنسبة أطوار الإنسان إلى طور العقل أو دون هذه النسبة، فينفتح فيه عين يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل وأمور" العقل معزولة عنها كعزل الحسّ عن مدركات العقل، وهذا هو طور النبوة."

والإدراك على معنيين؛ الأول: وهو مرتبة من مراتب العلم؛ أي وصول مثال المعلوم إلى النفس المدركة، والمعنى الثاني: هو مطلق الإدراك أي كلّ عمليّات وصول العلم ومراتبه. فالأول هو الإدراك المطلق وقد شرح في بداية المطلب، والثاني هو مطلق الإدراك؛ وهذا يمثل ما نعبّر عنه بالقوّة العالمة أو العارفة في الإنسان. ولوصول العلم في الإنسان مراتب فصلناها سابقاً نكرر ذكرها من الأدنى إلى الأعلى وهي: أولها الإحساس ثمّ على التوالي: الشعور، والإدراك، والحفظ، والتذكّر، والذكر، والفهم، والفقه، والدراية، واليقين، والذهن، والفكر، والحدس، والذكاء، والفطنة، والكيس، والرأي، والتبيّن، والاستبصار، والإحاطة، والظن، ثمّ العقل. ويعبّر عنها في مراجع كثيرة بالعمليّات التفكيرية، أو الإدراك العقليّ أو العقل، ونبّه إلى أنّ بعضهم يجعل العقل هو محلّ الإدراك؛ ومراتب الإدراك هي قوئ العقل، وهذا خلل في الاصطلاح خاصّة في حال دراسة نظريّة المعرفة. فمن المعلوم عند أهل الاختصاص في المعرفة أنّ العقل قوّة إدراكية والمراتب الأخرى قوئ إدراكية مثله؛ فليس هو محلّ لها، فإذا كان هو محلّ لها فأين محلّه؟ خاصّة مع إقرارهم بأنّه صفة قائمة بعين، وليست قائمة بنفسها.

## ١ - محل الإدراك:

صرّح كثير من العلماء والفقهاء والباحثين أنّ الحواس آلات لإدراك الجزئيات، أمّا "المدرّك فهو النفس". وهذا مبنيّ على تقسيم الإنسان من حيث الخلق إلى مادة وروح، فالمادّة قطعاً هي ما يركّب الأعضاء كلّها، أمّا الإدراك فهو خاصّ بالنفس والروح، بدليل أنّ الجثث لا تدرك شيئاً. وعبر عن محلّ الإدراك كثير من العلماء، منهم أبو حامد الغزاليّ "باللطيفة الروحانيّة" التي لا يعلم بحقيقتها أحد غيره تعالى، وهي جزء من عالم الغيب، دورها تلقي العلوم وحفظها والنظر فيها للاستنباط منها، فإذا تتبّعنا آيات القرآن وجدنا أنّ المحلّ الذي وصف بالإدراك ونسبت له عمليّات إدراكيّة هو (القلب)، "ووفق هذا المعنى فإنّ القلب في نظر القرآن أداة من أدوات المعرفة، حيث يعتمد على مخاطبة العقل في معظم رسالاته، فقلب كل شيء خالسه، وهو أعظم شيء موصوف بالسعة وهو معدن الروح الحيوانيّ المتعلّق بالنفس الإنسانيّ، ويسمّيه بعضهم بالنفس الناطقة والروح الباطن، والقلب هو محلّ اللطيفة الروحانيّة المدركة.

فالقلب هو محل العلم والعقل والفكر والإدراك، أما كون ما يحصل في النفس "علم" فلا إشكال، فعندنا هنا محلّ العلم هو القلب، وهو الموضوع المعلوم. وانتقال مثال أو صورة أو حقيقة الموضوع المعلوم إلى محلّ العلم يكون في المادّيات بالإحساس، لكنّ إدراك حقيقته أو صورته بما يتمّ؛ أي ما هي القوّة المدركة في القلب هل هي العقل؟ لم يرد قط في القرآن بصيغة المصدر، بل بصيغة الفعل مما يثبت أنّه عرض؛ أي صفة قائمة بذات وهي

جوهره، وهذه الذات هي القلب. ووصف القلب بأنه يعقل ويتدبّر ويتفكّر وينظر ويصير ويسمع، فهل كلّ هذه قوى إدراكية أم عمليّات لقوى أخرى؟ عندنا مثلاً قوّة عمليّة التذكّر الذاكرة، وعندنا العقل وهو القوّة العاقلة والعمليّة هي التعقل.

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم لا نجد أوصاف القلب الإدراكية إلا بصيغ الفعل، فإن قلنا بما جرت عليه العادة: إنّ العقل هو قوّة الإدراك الكامنة بالقلب؛ أي هو العاقل المفكّر المتدبّر، فهل الذاكرة والحافظة والذكاء من العقل؟ أم هي قوى أخرى خارجة عنه؛ لا منه؟

لكي نفهم المسألة نرجع لتعريف "العلم" الذي أقررنا بأنّ محله "القلب" -وهنا لا نفرّق بين العلم والمعرفة والإدراك؛ إذ المراد مطلق ذلك كله- يطلق على ثلاثة معان بالاشتراك. أولها: يطلق على نفس الإدراك. وثانيها: على الملكة المسماة بالعقل في الحقيقة. وهذا باعتبار أنّه سبب للإدراك، فيكون من إطلاق السبب على المسبب. وثالثها: على نفس المعلومات. أمّا تعريف العقل فكان: القوّة المهيأة، والملكة الحافظة والمستحضرة للمعلومات. فهو بمعنى قوّة خاصّة لها علميّات خاصّة، تتكامل مع غيرها لكن تفارقها. وبمعنى يطلق على جميع النشاطات الإدراكية والفكرية.

## ٢- مفهوم القوّة المدركة:

ورد في القرآن الكريم أنّ القوّة المدركة هي القلب؛ أي اللطيفة الروحانية، ومن عمليّاتها التعقل والتدبّر والتفكّر والنظر، وكلّها موجودة في

القلب الجسمي. لذا نجد العلماء يعرفون العقل بأنّه: القوّة المتهيئة لقبول العلم، ويُطلق على العلم الذي يستفيده الإنسان عن طريق العقل "عقل".

فالقرآن ذكر فعل العقل بصيغة "تعقلون، يعقلون، نعقل"، ولا بدّ للفعل من فاعل وهو محلّ التعقّل، وقد نصّ على أنّه القلب؛ فكان القلب هو المتعقّل والعاقل والمفكّر والناظر والبصير. وهذه كلّها قوى الإدراك والعلم، ولهذا القوى أفعال إدراكية؛ سمّيت بحسب طرائق تحصيل العلم في النفس، فنجد أنّ تعريف الفكر هو: قوّة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكّر جولان تلك القوّة. فالقوّة المدركة واحدة ولها حركات أو أفعال، وبحسب حركاته يتسمّى الفعل؛ وذلك مرتب على العلاقة بين المعلوم؛ وما ينتج عنه؛ وطرائق البحث فيه. فالعلم يحصل بعد تروّ وانتظار وفكر، لأنّ العلم يحصل بعد فرك للمعلومات وبصيرة، لأنّها يقين لدرجة الإبصار والمعاينة؛ أي تبصّر ما غاب عن الحواس، وسمّيت إدراكاً لأنّها تلحق بالمطلوب وتدرّكه؛ أي تصل إليه. ومن خلال الاطلاع على الكثير من المراجع؛ تواردت مصطلحات معرفيّة حاولنا ضبطها لفهم العمليّات المعرفيّة، فقد أطلق على القلب بأنّ فيه لطيفة ونور وقوّة وغريزة وملكة وهيئة واستعداد وطاقة وقدرة.

ولكي تتضح الصورة لا بدّ من تحديد المصطلحات أكثر، وذاك لشدّة التداخل المعجميّ بينها، غير أنّ لكل واحد استعمالاً يتميّز بمراعاة صفات ومعاني زائدة عن غيرها، ولأنّ بعضها قد بيّن قبلاً، فسنحاول جمعها وبيان بعض الفروق: قولهم القلب مع إرادة الجانب الروحانيّ فيه، غالب من عرفه لم يخرج عن كونه هو المدرك. فالقلب اللطيفة الروحانيّة العالمة المدركة، هي

النفس المدركة والروح العالمة وهي الفؤاد واللبّ والحجر والنهى والبصيرة. وهذا كله يمثل محلّ مطلق الإدراك، ومحلّ الإدراك أسماء أخرى وهي الذهن والنفس، فيكون القلب هو الذهن وهو النفس بمعنى واحد، إلا أن النفس سمّيت بذلك لكونها متصرّفة أي فاعلة، والذهن لكونه مستعداً للإدراك. أمّا العقل فعرف على أنه قوة متهيّئة لقبول العلم، وللعلم الاستفادة بتلك القوّة. والفهم: هو هيئة تتحقّق بها معاني الخطاب. فالحاصل أنّ هناك معلوماً يتّصل به بالحواس إن كان خارجياً، وبقوى إدراكية إن كان داخلياً؛ وهي قوى استرجاع ما كان محفوظاً ومخزناً، ثمّ أفعال تستنبط مما هو مخزن، وأخرى تعي وتستوعب، وهي تلي الإحساس مثل الشعور والإدراك والفهم. بعدها يكون التخزين، وبعدها الفحص والبحث للإنتاج، فتنشأ علوم زائدة عما نقل عبر الحواس من أخبار أو إحساس مباشر. وبعدها تطبيق تلك العلوم وضبطها، وهذه خلاصة وصول العلم كما بيّنا في مراتب العلم.

هنالك "محلّ" للعلم والمعرفة: له قابليّة للإدراك واستيعاب العلوم والمعلومات، وهذه القابليّة هي استعداده وتهيّؤه لذلك فسّمى المحلّ (ذهناً). وهذا المحلّ هو الوسيلة والأداة والآلة ومحلّ الفاعل، ولها متعلّق بالجارحة وهي القلب بطبقاته من فؤاد ولبّ وصدر. والمحلّ فيه "قوّة": وهي الملكة والغريزة، وهي المتهيّئة للفعل والعمل والنشاط والحركة، تصدر عنها صفات ذاتية فعندنا (فاعل)، و(مفعول)، والعلاقة بينها حال وقوعها تسمّى (فعل)، وكى يقع (الفعل) من (الفاعل) على (المفعول به) يلزم قوّة. وهي كامنة في (الفاعل) المستعدّ للفعل ولكن لا يوجد فعله بعد. و"القوّة"؛ هي كون الشيء

مستعداً لأن يوجد أو لا يوجد، هذه القوّة هي العقل والفكر الفهم والنظر والفطنة. و"الفعل"؛ كون الشيء خارجاً من الاستعداد إلى الوجود. قال الجرجاني عن العقل: هو قوّة للنفس الناطقة، والقوّة العاقلة غير النفس الناطقة، والفاعل في التحقيق هو النفس. وقيل سمّيت النفس عقلاً لكونها مدركة، وذهناً لكونها مستعدّة للإدراك. فالنفس هي عقل باعتبار "الفعل"، وهي ذهن باعتبار "القوّة"؛ أي القابليّة الصادر منها ذلك الفعل.

في معجم دقائق اللغة: استعداد النفس لاكتساب العلم يسمّى (ذهناً)، وقوّة ذلك الاستعداد تسمّى (فطنة). (والحافضة) هي القوّة التي تحفظ ما تدركه القوّة الوهميّة من المعاني، و(الذاكرة) هي القوّة التي تستحضر المعاني التي وعتها (الحافضة). وفي تفسير ﴿هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٠١] قال أحد المفسّرين: يراد بالقلوب هنا القوى الداخليّة في الإنسان، المخلوقة للفهم وللحفظ وللتذكّر، بتخزين صور الأشياء وقضايا المعرفة كليّاتها وجزئياتها، ولتخيّل صور ومركبات غير مشهودة، للإبداع والابتكار، ولإدراك المعاني والبحث عن حقائق الأشياء.

وفي هذه القوى الداخليّة المعرفيّة والإدراكيّة موازين فكرية؛ مؤهلة بالتكوين الرباني؛ الذي فطر الله عليه للتمييز بين الحقّ والباطل، والخير والشر، ولقياس الأشباه والنظائر، والحكم على الغائب منها بمثل المشهود منها، وللاعتبار والاستدلال، والفهم والموازنة والحكم، حتى لا تسقط الإرادة فريسة الأهواء والشهوات. فهذه "القوّة" هي غريزة لصدور صفات ذاتيّة منها، وهي الملكة لاستحكامها؛ وإن لم تستحكم بعض القوى كانت عبارة عن

"حالة"، وبهذه القوّة طاقة وقدرة على النشاط والحركة والعمل والفعل.

فالعقل قوّة فعلها التعقّل، وبعد حصول التعقّل يقال "عقل"، وهذه "هيئة" للعقل، فلا يوصف بها إلا بعد حدوث المثال بالنفس. فالمدرك هو القلب الذي فيه يحلّ مثال حقائق الأشياء، ويتمثّل المدرك في حقائق الأشياء، والإدراك هو حصول المثال في المحلّ، فوصول مثال المدرك إلى القلب يسمّى إدراكاً، وقد كانت الحقيقة موجودة، والقلب موجوداً، ولم يكن الإدراك حاصلًا، لأنّ الإدراك وصول الحقيقة إلى القلب. ونسمّي هذا الحصول أو الوصول "الهيئة".

نخلص إلى جمع ما سلف عندنا حول الإدراك "الجارحة" "الآلة"؛ وهي القلب بمعناه الماديّ. ثمّ "المحلّ" (اللطيفة الربانيّة المدركة) وهو بالقلب، ثمّ "قابليّة المحلّ" (الذهن) وهي استعداد النفس القادرة المدركة، ثمّ "القوّة" لذلك الاستعداد، ثمّ "الفعل" (التعقّل، التفكّر)، وهو نشاطات العقل، والعمليّات الإدراكيّة، ومراتب وصول العلم، وحالة وصول العلم تسمّى "هيئة" (عقل، مفكّر) وهي تحقق العلم وبالنفس، فالفاعل هو النفس وبالذات (القلب)، والقابليّة للفعل (الذهن)، والقوّة على الفعل (العقل)، والفعل (التعقّل)، والمفعول به (المعقول)، والهيئة (العقل).

### ٣- العمليّات الإدراكيّة في القرآن الكريم:

نبحث هنا في قوئ الإدراك وأفعالها، مع بيان الفروق في ما بينها في القرآن الكريم، ولأنّ ما ورد فيه كان بصيغة الفعل فقط؛ فالبحث سيكون في

الأفعال؛ أي النشاطات الإدراكية، أو أعمال القلب الإدراكية. أولها التعقل: وهو وظيفة وفعل لقوة هي (العقل)، ولفظ "العقل" ليس له وجود في القرآن، وإنما يوجد ما تصرف منه نحو "يعقلون، وتعقلون"، كقوله تعالى ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْأَيْبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ١٧]، وقد ورد من مادته بصيغة الفعل في تسعة وأربعين موضعاً من القرآن الكريم، وأكثر ما ورد "أفلا تعقلون" في ثلاثة عشر موضعاً، بمعنى أليس لكم ذهن تفتنون به لقبائح أفعالكم وأقوالكم.

والعقل مصدر، وإن كان سيبويه يعدّه صفة؛ لأنّ المصدر لا يأتي على وزن مفعول. وسمّي العقل عقلاً لأنّه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك؛ أي يحبسه. ونتيجة لذكر القلب في القرآن بوصفه اسم جنس مفرداً ومجموعاً، بخلاف العقل الذي ورد مفرداً مشتقاً من اسم جنس، استخلص بعض الباحثين أنّه لا يوجد شيء مجسّم في جسم الإنسان لذات اسمها (العقل)، أمّا القلب فإنّ هناك شيئاً لذات اسمها (القلب)؛ وهو تلك المضغة القائمة في الصدر، الأمر الذي يدعونا للفصل بين كل من جملة تلك المعاني (العقل) و(القلب)، لنصل إلى أنّ القلب من الألفاظ المشتركة؛ ومن جملة معانيها (العقل). والخطاب موجه إليه لتقوم به الحجّة، فلا يعرف بحال من الأحوال إلا بأفعاله، والله يبيّن لعباده ما يعقلوه بقلوبهم. ويقال العقل للهيئة، والقوة الكامنة في النفس بالقلب، و لنور القلب وبصيرته، يبدأ طريقه من حيث ينتهي طريق الإحساس، وهو المعني بقولهم غريزة يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات، وبه يكون التمييز والإدراك والتأمل والفكر.

والتعقل فهو تفعل من العقل، وقد ورد بصيغ هي: تعقلون، ويعقلون، وعقلوه، ونعقل، على النحو الآتي: عقلوه: ﴿أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]. وتعقلون ويعقلون: في ستة وأربعين موضعاً؛ ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿مِمَّنْ بَدَّعْتُمْ عَنْهُمْ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]. ونعقل: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]. ويعقلها: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وباستقراء مواضع "التعقل" نلاحظ ما يأتي: وروده بصيغة (أفلا يعقلون)؛ (أفلا تعقلون) ثلاث عشرة مرة، وهي أسلوب استفهام استنكاري، حيث ترد كلما خالف الناس واقعهم وناقضوا أنفسهم، والاستفهام للتوبيخ، بمعنى أليس لكم ذهن عاقل؛ فتفتنون به لأفعالكم، وتفهمون به الخطاب، وتعملون بما أمرتم، وتنتهون عما منعتم؛ أي: أليس لكم ذهن فتفتنون لقبح أفعالكم وأقوالكم، مثاله ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦]، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وروده بصيغة (لعلكم تعقلون) ثماني مرات، وهي تفيد الفعل؛ أي بمعنى لتعقلوا ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٢]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]. ووردت هذه الصيغة دائماً بعد لفظ (بيان)، أو تبين من الله تعالى لأحكامه

وحدوده. مثال لذلك في آية البقرة سبقها ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ثم أحكام الحيض والطلاق؛ بعدها ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْأُمَّاتِ﴾ (٢٤١) كذلك يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ [البقرة: ٢٤١ - ٢٤٢]؛ أي يبيِّن حدوده وأحكامه؛ كما يُعرف المقصود؛ ويعمل المطلوب.

والمراد بالتعقل في جميع المواضع معنيان هما: عقل الخطاب؛ أي استيعابه بعد بيانه، والانعقال به؛ أي حبس النفس على أوامر الخطاب ونواهيه. فكان التمييز والمنع، والتمييز بالبيان الذي جعله الله تعالى في آياته، والامتناع هو المطلوب، والإنسان مخير فيه، فإن لم ينقل فلا عقل له؛ أي أنه لا يميِّز النافع من الضار، والخير من الشر.

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ، مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) [البقرة: ٧٥]؛ هنا كان الخطاب ثم سماعه ثم عقله ثم تحريفه عن علم، فأثبت لهم التعقل قبل العمل بالخطاب؛ بل وبعد تحريفه، لكن علَّقه بالخطاب و فقط؛ فلم يثبت لهم مطلق التعقل، (عقلوه)؛ أي فهموه، ووعوا المقصود، وأدركوا المطلوب منهم، ثم عصوا عن قصد وتعمد، فلم يوصفوا بأنهم عقلاء مدحاً، بل وصفوا بأن لهم القدرة على عقل الخطاب، مع عدم الانعقال به؛ أي عدم الالتزام، لذا انتفى عنهم وصف "العقلاء" لاقتضاء العلم للعمل دائماً في الكريم.

ونفي العقل عن الكفار والعصاة ليس نفيًا للقوة العقلية؛ لأنَّها مناط التكليف، بل نفي للعمل بمقتضى ما تعقله من علم وصلاح، ونفي لكمال

العقل. بل إن كل موضع نفي فيه العقل؛ فالمراد العقل بمعنى العلم المستفاد بالقوة المدركة ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]؛ وكل موضع رفع فيه التكليف فالمراد القوة المدركة وهي العقل. فالعقل على ثلاثة معان: أولها القوة المتهيئة لقبول العلم؛ وهي ما يفارق بها غيره من الحيوان. وثانيها: العلم المستفاد من تلك القوة، أو ما وضع في الفطرة والطباع من العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات. وثالثها القوة الغريزية، المانعة والحابسة للنفس عن اتباع كل شهواتها ورغباتها، فهي المتحكّمة بالمنع أو الإذن.

وكل موضع ذمّ فيه العقل لوقوعه في خطيئة؛ فإنها الذمّ للقوة الغريزية المانعة؛ فالعقل علم وعمل، والعلم القوة المتهيئة للعلم، والمستفاد من تلك القوة، وما فطر عليه العقل، أمّا العمل فهو القوة الغريزية التي تمنعه عن الشر والقبائح والباطل، وتسمح بالخير والحقّ والصلاح. فأثبت الله تعالى لكلّ الناس العقل، ونفاه عن الكفار، ونفاه عن العصاة، وعن الجهال؛ وهذا يقع على أحد معاني العقل كل واحد بحسب السياق. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]؛ فأثبت العقل للعلماء دون غيرهم، فالتعقل هنا بمعنى الفهم والتدبّر للأمثال، مع تطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب.

في آيات الصيام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٢]، بعدها كان تفصيل مسائل الصيام، ثمّ ختم ذلك كله بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ [البقرة: ١٨٧]، فالغاية من فرض الصيام حصول التقوى، وبيان أحكامه لتحقيق الغرض بتامه وكماله، فالبيان للحق من دواعي فهمه وزيادة في حجّيته وإعانة عليه. وكذلك فإنه يقيم الحجّة عليهم؛ بأن يتّقوا العقاب حال المخالفة، فكان بيان الحق وتفصيله للعمل على اتّقاء الأخطاء والمعاصي والشرّ الناجم عنها.

بعد الآية كان السياق كالآتي ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] ثمّ مسائل الجهاد والحجّ بعد ذلك ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ثمّ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، بعدها ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ثمّ ختمت بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَنْفَكُونَ ﴿٢١٨﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٩]؛ أي بيان الدلالات على أحقيّة الحقّ، ومحضلات العلم النافع، والفرقان بين الخير والشرّ، والصدق والكذب، والحقّ والباطل، وكل ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَنْفَكُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]؛ أي تستعملون فكركم في فرك هذه الأمور، والبحث فيها بحركة وجولان للقوّة الإدراكيّة؛ من المطالب إلى المبادئ، ورجوعها من المبادئ إلى المطالب، والغاية من ذلك إدراك الأسرار، وتحصيل علم زائد عن العلم الحاصل من فهم الخطاب أولاً. بعدها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ختمت الإجابة ﴿وَيَسِينُ عَابِتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]؛ أي يستحضرون ما أمروا به، فيعملوا اتّقاء للعقاب، ثمّ يتفكروا اتّقاءً لأحكام الله، ثمّ يبيّن لهم كي يتذكّروا ما علموه أولاً. وبعدها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، بعد الإجابة كان

تفصيل أحكام الطلاق ثم ختمت ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، فجعل الله بيان حدوده خاصاً بأهل العلم بأحكامه، لأنه يجب من يتعلم حدوده، ومن يعلمها هو من يفهم وجه الحكمة منها، وهذا حاصله زيادة علم، وهداية من الله تعالى بعد التذكّر. بعدها أحكام المطلقة والأرملة، ثم ختمت ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٢]؛ أي عقل حدوده بفهمها، ومعرفة المقصود، والعمل بمقتضاها.

فالترتيب في مستويات من كان غرض التبيين للآيات موجهاً لهم كان كالآتي: المتقون، المتفكرون، المتذكرون، العالمون ثم العاقلون، مثلها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾ [٣] ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُؤْقِنُونَ﴾ [٤] ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيْفِ الرِّيحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٣ - ٥]، بعدها ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]؛ وهذا هو مبدأ الحجاج؛ أي الكون مسخر ليتفكّر به فيؤمن بذلك الإنسان. قال السعديّ: قسّم تعالى الناس بالنسبة إلى انتفاعهم بآياته إلى قسمين: قسم يستدلّون بها ويتفكّرون بها وينتفعون، وهم "المؤمنون" بالله إيماناً وصل إلى درجة "اليقين"، فزكّى منهم العقول، وازدادت معارفهم، وقسم يستكبرون، ويسمعون آيات الله ثم يُعرضون.

فالتعلّل في القرآن الكريم هو أعلى درجات وصول العلم، لأنّ بعده العمل؛ وهو مقترن به، فالنفس أو القلب تصل إليها الخواطر والأحاسيس والشعور، ثم يكون الفكر بتقليب المعلومات والنظر فيها وتأمّلها، بعدها

يكون فهمها وفقه المراد، ثم عقلها بأن تحبس في النفس المدركة وتنتقل إلى الإرادة لتعقلها عن العصيان وتلزمها بالطاعة، قال ابن تيمية: "العلم والعمل الاختياري أصله الإرادة، وأصل الإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصوّر المراد، فلا بُدَّ أن يكون القلب متصوّراً"، والعقل في القرآن الكريم لا يرد ممدوحاً؛ إلا في مقام العمل بعد العلم، وإلا مجرد العلم من غير القيام بمقتضاه يعد نقصاً في العقل. والغاية من العلم ليس الترف المعرفي بل التطبيق العملي. فكان كلاً أمر وبين الله آياته وصف عباده حسب درجة الاستفادة من البيان؛ وكان أعلاها عقل ما بيّنه، وذلك باستيعابه وتمييزه، ثم عقل النفس حسب مقتضى البيان؛ فتمنع عن مخالفة الأوامر؛ وتمنع عن ارتكاب النواهي.

كلما ذكر الله تعالى التعقل بصيغة ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ كان العقل إما: لحدود الله تعالى وأحكامه؛ بوعيتها والعمل بمقتضاها، أو لئِنَّه وما سَخَّرَ لعباده من أمور مختلفة ومتنوعة. فكان لا بُدَّ من مقابلة الخير النازل من الله تعالى؛ بمنع النفس عن العصيان، وإلزامها بالطاعة لمن يرزقها ويحسن إليها. فكل سياقاته ورد فيها ذكر مسخّرات الأرض والسماء، من طعام، وحيوان، ووسائل نقل ومزروعات، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]. أما إذا ذكر التفكّر فيوجه نحو الحركة والاختلاف والتنوع، بينما يذكر العقل في مقام الامتنان على العاقل؛ ليُلزَم طاعة من سَخَّرَ له ما في الأرض لخدمته. وبين التعقل وغيره فروق؛ تلاحظ في سياق الآيات التي تتابع، فغالبا يبدأ بالإيمان،

ثم السماع، ثم التقوى ثم التفكير ثم التذكر ثم العلم ثم التعقل.

وظيفة التعقل - كما يبين القرآن - هو القياس والتعميم، لذا كان ضرب الأمثال للعقلاء، كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَرُبِّكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٣]؛ والتعقل دوره لاحق بعد الاتصال بالواقع الذي يتم عبر الحواس، فإذا تعطل الإحساس تعطل التعقل قال تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ﴾ [البقرة: ١٨]؛ تعطل لكل طرق الإحساس فكانت النتيجة ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧١]. أما التفكير فهو: تفعل من الفكر؛ وهو كل ما وقع في خلد الإنسان وقلبه، فالاسم الفكر والفكرة، والمصدر الفكر - بالفتح -، والفعل التفكير؛ وهو تفعل الفكر مع تأمل. وقيل هو تردد القلب في الشيء حتى يستقر؛ أي قوة مهياة للعلم، تؤدي إلى الوقوف على المعاني المقتضية للسكون؛ فهي جولان القوة المدركة بحسب النظر، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال فكر إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب؛ فهو تصرف للقلب بالنظر في الدلائل، فيما يمكن أن يحصل له صورة فيه. ولم يرد لفظ المصدر منه في القرآن، بل ما تصرف من أفعاله في ثمانية عشر موضعاً. فالتفكير وظيفة للجهة المدركة في الإنسان؛ بالتركيز على التفكير في أمور لتحصيل المعرفة، ولكنه يتميز بالدقة، ويحتاج إلى التدرج في استنتاج العلم، ويحتاج إلى الحواس واليقظة في الفطرة للعلم الضروري، ويحتاج كذلك إلى التذكر، فهو عملية عقلية بحثة تستلزم البحث والدرس والتقصي.

ولا يكون الفكر إلا إذا استحكمت اليقظة؛ فتوجب الفكر بتحديد القلب إلى جهة المطلوب التماساً له؛ أي التماس العقل المطلوب بالتفتيش

عليه. قال ابن القيم: الفكر فكرتان: فكرة تتعلق بالعلم والمعرفة؛ وفكرة تتعلق بالطلب والإرادة. فالتى تتعلق بالعلم والمعرفة: فكرة التمييز بين الحق والباطل، وبين الثابت والمنفي. والتي تتعلق بالطلب والإرادة: هي الفكرة التي تميز بين النفع والضار. ثم يترتب عليها فكرة أخرى في الطريق إلى حصول ما ينفع، فيسلكها، والطريق إلى ما يضرّها فيتركها. فهذه ستة أقسام لا سابع لها، هي مجال أفكار العقلاء.

فالتفكير هو طلب القلب ما ليس بحاصل من العلوم؛ من أمر هو حاصل منها: هذه هي حقيقته، فإن لم يكن ثمة مواد تكون موارد للفكر؛ استحال الفكر، لأنّ الفكر بغير متعلّق متفكّر فيه محال، وتلك المواد هي الأمور الحاصلة، ولو كان المطلوب بها حاصلًا عنده لم يتفكّر فيه. فإذا عُرف ذلك؛ فينتقل المتفكّر من المقدمات والمبادئ التي عنده؛ إلى المطلوب الذي يريده، فإذا ظفر به وتحصّل له تذكّر به، وأبصر مواقع الفعل والترك وما ينبغي إيثاره وما ينبغي اجتنابه، والتذكّر هو مقصود التفكّر وثمرته.

وجاء الأمر في التفكّر في كتاب الله بصيغ مختلفة وهي: يتفكّرون، تتفكّرون، تفكّروا، يتفكّروا وفكر. باستقراء الآيات التي ورد فيها تلك الصيغ نلاحظ ما يأتي: جاءت الدعوى إلى التفكّر في آيات الله الكونيّة في عدّة مواضع منها ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]. وجاءت الدعوى إلى التفكير في حال النبي ﷺ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ حِجَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٤]، وفي الأنفس ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [الروم: ٨]، وفي من مضى ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]،

وفي الأمثال ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [الحشر: ٢١] وجاءت بالدعوى إلى ضرورة التثبّت والاستفادة من الآيات البيّنة لمعرفة العواقب وفهم النتائج والتمييز بين النافع والضار. وتدعو أغلبها إلى التفكّر في ميدان الأنفس والآفاق؛ أي الآيات الكونية؛ وتشمل أسرار الأنفس، والسنن الاجتماعية، وتاريخ الأمم وقصصهم، مثال ذلك ﴿وَمَنْ عَابَىٰ نَفْسِهِ أَفَأَبَىٰ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ مِثْلَ نَفْسِهِ أَفَأَبَىٰ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ مِثْلَهُنَّ يَتَحَدَّىٰ لَهَا خَلَائِدٌ فِيهَا يَبْتُغَىٰ لِلَّذِينَ خَلَقُوا فِيهَا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٢١] ﴿٢١﴾ [الروم: ٢١] فهي آية لمن ينتفع بها، ويتفكّر فيها ينشأ بين الزوجين من علاقة لا تكون مع غيرهما.

فالتدبّر: وهو تصرّف القلب بالنظر في الدلائل، مثل التأمل وهو استعمال الفكر مع تمهّل. فالتدبّر في الأمر: أن تنظر إلى ما يؤول إليه في عاقبته. وقد ورد التدبّر في القرآن الكريم بصيغة الفعل "يتدبّرون" يدبّروا"، كلها التدبّر في الآيات المتلوة؛ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٢١﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ [المؤمنون: ٦٨]، ﴿كَذَّبْتَ أَبْنَاءَكَ إِلَىٰ كَيْفَ تَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٢١﴾ [ص: ٢٩]. قال الزمخشري: تدبّر الأمر تأمّله، والنظر في أدباره؛ وما يؤول إليه في عاقبته، ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل، فمعنى تدبّر القرآن تأمل معانيه وما فيه. فهو وظيفة للجهة المدركة في الإنسان؛ ولكنه تفكير عميق مع ما يتبعه من تعقّب لأدبار الأمور ونتائجها، وثمرته التذكّر وبلوغ مرتبة أولى الألباب؛ بذلك يكون التدبّر درجة أعلى من التفكّر وأدنى من التذكّر.

والتفقه: من الفقه وهو الفهم بالعلم والحدق في الصنعة اللفظية؛ والبيان. وهو العلم بمقتضى الكلام مع تأمله؛ لذا أطلق على فهم الخطاب الشرعيّ "الوحي"؛ ومعرفة مقتضاه عن تأمل (علم الفقه). قال ابن دريد: رجل فقيه: عالم، وكل عالم بشيء فهو فقيه، وغلب الفقه على علم الدين؛ لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم، وتخصّص بعلم الفروع في الشريعة. وقد ورد في القرآن الفعل لا المصدر، وكانت دلالاته على أنه أخصّ من الفهم ومن العلم ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِن هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]؛ فهو توصل إلى علم غائب بعلم شاهد. وقوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [١٨] [الأنعام: ٩٨].

والتفقه أعلى من الفهم، لأنّ الفهم شرط في قيام الحجّة غير أنّ الفقه ليس شرطاً، فكان عدم فقه الكفّار والمعاندين كلام أنبيائه ليس دليلاً على سقوط التكليف عنهم ﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]، فقوم شعيب فهموا خطاب نبيهم عليه السلام بدليل قولهم له قبل ذلك ﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ أَصَلُوْنَا أَن تَكُنْ أَتَىٰكَ مَا تَكْفُرُ أَوْ أَن تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنَّكَ الْخَلِيمُ الرَّسِيْدُ﴾ [هود: ٨٧]، فقولهم ﴿مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾؛ أي لا نفهمه كما نفهم الأمور الحاضرة المشاهدة. فهم لم يقتنعوا بوجه الحجّة، ولم ينفذوا بفكرهم إلى علّة صحّة ما يقول؛ مع فهمهم كلامه وقوّة حجته، وذلك كان على وجه التضجّر من نصائحه ومواعظه، وعدم فقههم؛ لبغضهم لما يقول ونفرتهم عنه. " وكان الحاجز النفسي مانعاً للانتقال من درجة الفهم إلى درجة الفقه؛ أي الوقوف على المعنى الخفيّ

المتعلق به الحكم، بتعقل و عشور يعقب الإحساس والشعور.

ورد فعل التفقه على تصاريف وهي: تفقهون، نفقه، يفقهوا، يفقهون، يفقهوه، يتفقهوا، باستقراء الآيات نلاحظ: أن التفقه يكون للكلام والقول والحديث ﴿وَأَحْلَلْ عُقَدَةَ مِنَ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٧ - ٢٨]، ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء: ٧٨]. والتفقه من أعمال القلب ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ونتيجة الطبع على قلب الكافر والمعاند هي عدم الفقه ﴿وُطِّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [التوبة: ٨٧]؛ فخص القرآن الطبع بعدم التفقه. ومثله الأكنة ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]، و﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الإسراء: ٤٦]، وفي الكهف ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف: ٥٧]؛ والأكنة هي الأغشية.

ووظيفة التفقه أعمق من الفهم والإدراك كما في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقد ورد التفقه على أنه وظيفة تحصيل؛ أكثر منها وظيفة نظر وتفكير؛ أي هو هيئة حاصلة للإنسان بعد نشاط فكري، وخص بالدين في القرآن الكريم ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]؛ فالتفقه هنا التخصص في تعلم الدين. وهنا لا فرق بين الفقهاء الأكبر والأصغر، قال السعدي: "وفي هذه الآية دليل وإرشاد لفائدة مهمة، وهي أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من

مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفّر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت لغيرها لتقوم مصالحهم وتمّ منافعهم. قال الغزالي: "كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقاً على علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس، ومفسدات الأعمال.. وكان لفظ الفقيه لا يطلق قديماً إلا على من كانت لديه ملكة تساعده عليها فطرته وممارسته، فيستطيع بها أن يستنبط الأحكام الشرعيّة في الأمور العمليّة من أدلّة الشرع وأمارات الأحكام، فكان لفظ الفقيه يساوي لفظ المجتهد، ثمّ على كل من اشتغل في الفقه؛ وحفظ الفروع."

أما التبصّر فهو من البصيرة؛ وهي فطنة تمنع الإنسان من الغفلة، وبصر المتعدّي بالباء يؤدي معنى عليم. فالبصيرة هي قوّة مدركة في القلب وجمعها بصائر. فالبصيرة نور يقذفه الله في القلب؛ يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل؛ كأنه يشاهده رأي العين: فيتحقق انتفاعه بما دعت إليه الرسل، وتضرره بمخالفتهم؛ وهذا معنى قول بعض العارفين: "البصيرة" تحقق الانتفاع بالشيء والتضرر به. وقال بعضهم: "البصيرة ما خلصت من الخيرة إما بإيمان؛ وإما بعيان. وهي على ثلاث درجات: الأولى: أن تعلم أن الخبر القائم بتمهيد الشريعة يصدر عن عين لا يُخاف عواقبها، فترى من حقه أن تؤديه يقيناً؛ وتغضب له غيره. والثانية: أن تشهد في هداية الحق وإضلاله إصابة العدل، وفي تلون أقسامه رعاية البر، وتعانين في جذبه جبل الوصل. والثالثة: بصيرة تفجر المعرفة، وتثبت الإشارة، وتثبت الفراسة. وهذه تفجر بها ينابيع المعارف من القلب، ولم يقل "تفجر العلم"؛ لأن المعرفة أخص من العلم عند القوم، ونسبتها نسبة الروح إلى العلم، فهي روح العلم ولبه.

والبصيرة تكون للآيات المشاهدة ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْفَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِجْسًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رِجْجًا بَهِيمًا ﴿٧﴾ بَصِيرَةً وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨]؛ فالتبصرة آلة البصر، والعبء إذا أناب بقلبه إلى ربه؛ أبصر مواقع الآيات، ثم يبصر القلب الحق بقواه الإدراكية، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، والعبء لا تكون إلا لمن يبصر محلها؛ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يُؤْتُونَ الْأَبْصَارَ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣]؛ فأولو الأبصار نصيهم التذكر، وأولو الأبصار نصيهم الاعتبار "﴿فَاعْتَبِرُوا يٰأُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢].

والنظر: نظر في الأمر بالبصيرة والقلب على سبيل التفكر؛ والإحاطة به حفظاً؛ وإظهاراً لصوابه؛ بالمناظرة والرأي والحسن. وهو كقوة إدراكية؛ هو ترتيب أمور معلومة؛ على وجه يؤدي إلى استعلام ما ليس بمعلوم. فقيل: النظر عبارة عن حركة القلب لطلب علم من علم. وفي مراتب وصول العلم إلى النفس نجد: الفهم وهو تصور الشيء من لفظ المخاطب، والإفهام إيصال المعنى باللفظ إلى فهم السامع.

والفكر: حركة النفس نحو المبادئ والرجوع عنها إلى المطالب. والنظر: ملاحظة المعلومات الواقعة في ضمن تلك الحركة، فالنظر إقبال على الشيء بالبصر، وعلى الأمر بالقلب؛ والرؤية إدراك المرئي، وإمهال النظر تأمل وروية. وأكثر ما جاء من مادته في القرآن كان عن البصر أو البصيرة، لأنها من مداخل التفكير، والنظر بالبصر المراد منه الملاحظة بالعين والتفكر بالقلب، فليس الأمر بالنظر في القرآن لتسليية الأعين بل لتذكير القلب

وتفكره. واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة وغالب، وفي البصيرة أكثر عند العلماء.

وما جاء في القرآن الكريم كان في الغالب حض على أعمال الفكر في مواطن كثيرة وبصيغ مختلفة؛ منها: نظر: جاء بصيغة الماضي في قوله تعالى ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [المدثر: ٢١]؛ وننظر، بصيغة المضارع في قوله: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧]، جيء به لدلالة التثبوت من الخبر قبل إصدار الحكم. وجاء بلفظ: فلينظر، بصيغة المضارع المقترن بلام الأمر، في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]، وفي كيفية الخلق ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [٢٤] أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٥٥﴾ ثُمَّ سَفَفْنَا الْأَرْضَ سَفًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْتَأْنَا فِيهَا بَنَاءً ﴿٢٧﴾ [عبس: ٢٤-٢٧]. وبصيغة انظر: في قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْتَنْتَ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩]؛ ومثله (انظروا). وينظروا: بصيغة المضارع، في الحض على التأمل والتفكير في المخلوقات؛ وآيات الله الكونية، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وفي آيات الأنفس من أحوال الأمم الخالية العاتية في الدنيا؛ وما كانوا عليه من القوة والسلطان، ثم ما أصابهم من العذاب في الدنيا لعصيانهم؛ وما يلحقهم من العذاب في الآخرة ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [غافر: ٢١].

والرأي: قال ابن القيم: تفرّق العرب بين مصادر فعل الرؤية بحسب محالّها... "فالرؤيا" في النوم... و"الرؤية" في الإبصار، والرأي لما يعلم بالقلب ولا يرى بالعين. ولم يأت الرأي بمعنى الإبصار؛ إلا حال اقترانه بقريته دالة على ذلك ﴿فَعَقَّةٌ تُقَتِّلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣].

ورأى إذا عُدي إلى مفعولين اقتضى معنى العلم، والرأي اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن. وقال بعضهم: الرأي هو إحالة الخاطر في المقدمات التي يرجح منها إنتاج المطلوب. وقد يقال للقضية المستنتجة من الرأي رأي، ويقال لكل قضية فرضها فرض رأي أيضاً. وهو أعلى درجة من الفكر وأدنى من الاستبصار.

جاء الرأي في القرآن الكريم بصيغة الأفراد والجمع في حال المخاطبة والغيبة، وبيانه كالاتي: (تر): وهي صيغة خاصّة في القرآن، خاطب بها الله تعالى نبيه في مواضع عدّة، وهي تشمل كل من تبعه من أمته ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِزْرَهُمْ فِي رَبِّهِمْ أَنَّ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، بمعنى ألم تخبر، وبلفظ: (ير): جاءت بصيغة الغائب؛ تنبيهاً للتأمل في ما حول الإنسان من آيات مرئية تستشعره وتثيره للتفكير فيها، ليعتبر بما يرى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]. و(يروا) و(يرون): كلّها للحض على إعمال الفكر في آيات الآفاق والأنفس، من أجرام سماوية وآفاق أرضية، والقياس بما يرى ويعاين على الغائب؛ فكلّها أمثال وصور جُعلت ليعي الإنسان أنّ ما غاب عنه حقيقة مثل ما هو معاين عنده. قال ابن القيم:

الرأي في الأصل مصدر رأى الشيء يراه رأياً، ثم غلب استعماله على المرئي نفسه، من باب استعمال المصدر في المفعول، كالمهوى في الأصل مصدر هوية يهواه هوى؛ ثم استعمل في الشيء الذي يهوى، فيقال: هذا هوى فلان. وتفرّق العرب بين مصادر فعل (الرؤية) بحسب محلّها، فتقول: رأى كذا في النوم رؤياً، ورآه في اليقظة رؤية، ورأى كذا - لما يعلم بالقلب ولا يرى بالعين - رأياً، ولكنهم خصّوه بما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب؛ مما تتعارض فيه الأمارات. فلا يقال لمن رأى بقلبه أمراً غائباً عنه؛ مما يحسّ به: إنّه رأى. ولا يقال أيضاً للأمر المعقول الذي لا تختلف فيه العقول ولا تتعارض فيه الأمارت أنّه رأى، وإن احتاج إلى فكر وتأمل كدقائق الحساب ونحوها.

والرأي ثلاث أقسام: رأي باطل بلا ريب، ورأي صحيح بلا ريب، والثالث هو موضع الاشتباه: التذكّر والذكر: الذكر في معناه العام الحفظ للشيء، ومنه الشيء يجري على اللسان، ويكون الذكر باللسان والقلب، ومن معانيه الصيت والثناء وكتاب الدّين، والقرآن لشرفه. فالذكر هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقننيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أنّ الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر اعتباراً باستحضاره؛ أكان بالتدبّر أم بالنطق أم بالحديث على هيئة الحكاية. ويقال لحضور الشيء في القلب أو القول ذكر باللسان؛ وكلّ واحد منهما ضربان؛ ذكر عن نسيان، وذكر عن إدامة حفظ لا عن نسيان. وسُمّي العلم تذكراً لقوّة الدلائل وظهورها؛ كأنّ ذلك العلم كان حاصلًا؛ وإن بعد حين بما يستعمله من التدبّر والنظر. "فالحافظة" هي

القوة التي تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني، و"الذاكرة" هي القوة التي تستحضر المعاني التي وَعَتْهَا الحافظة وتذكرها.

ويأتي الذكر في عدّة تصاريف، على ستة عشر وجهاً في التفسير، وذلك لضرورة تخصيص الدلالة تأديةً للمعنى المراد، ولكنّ كلّ هذه الوجوه فيها استحضار وتدبّر، فقد جاء الذكر دالاً على الطاعة والعفة، والقرآن، والبيان، والخير، والذكر باللسان وبالقلب، والوحي، والعلم، والحفظ والدراسة. والتذكرة ما يتذكر به الشيء؛ وهو أعمّ من الدلالة والأمانة كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]. فالتذكر وظيفة إدراكية لتحصيل المعرفة، ولكنه يكون باسترجاع المعاني سواء منها: التذكر للمعاني الفطرية، أو المعلومات السابقة التي تقرّ بها الفطر جميعاً، ويتناساها الناس في غمرة التحدي والإعراض والانحراف؛ أو التذكر للمعاني من خلال النظر في الآيات الكونية والمتلوّة، والسنن الاجتماعية، أو من النظر باسترجاع المعاني، وأخذ العبرة من قصص الماضين. فهو نشاط إدراكي ما بعد التفكير والتدبّر، ولا يكون إلا للخلص وأولي العقول الزاكية.

ويتبيّن أنّ التذكر ورد بصيغ عدّة باستقراء آيات القرآن، وفي سياقات متنوّعة وهي: فقد يرد مع أداتي الحض (أفلا) و(فلولا)؛ في سياق الاستفهام الإنكاريّ للتوبيخ كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]. وإذا ورد اللفظ مسبوقةً بـ"لعلكم" أو "لعلهم"؛ فهو للتحقيق وبيان العلة، كما في قوله تعالى: ﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آياتٍ بينتٍ لعلكم تذكرون﴾ [النور: ١]. وقوله: ﴿ولقد

صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٧﴾ [الزمر: ٢٧]. وقد يسبق التذكير البيان والتفصيل ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآيَةٌ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَثُورًا ﴿٥٠﴾﴾ [الفرقان: ٥٠]، ﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام: ١٢٦].

والتذكر خاص بأولي الألباب دون غيرهم ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩]. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١٩]، فالتذكر فعل اللب وهو خالص العقل. ويكون في آيات الله الكونية والملتوة ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رُجُوجِينَ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: ٤٩]، ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَكَلَّمُوا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة: ٦٢]. وفي الآيات الملتوة ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مِيزَانًا لِيَتَّبِعُوا آيَاتِنَا وَيَتَذَكَّرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: ٢٩]. وكل متذكر هو متفكر أو متدبر ضمناً، ولا يلزم أن يكون كل متفكر أو متدبر متذكراً؛ لحصر التذكر بأولي الألباب فقط دون غيرهم. فالتذكر قرين الإنابة ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [غافر: ١٣]، ﴿بَصِيرَةً وَذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٨]. والتذكر مع التفكر يشمران أنواعاً من المعارف، وحقائق الإيحاء والإحسان. ولا يزال العارف يعود بتفكره على تذكره، وبتذكره على تفكره، حتى يفتح قفل قلبه بإذن الفتاح العليم، قال الحسن البصري: "ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت."

والتذكر تفعل من الذكر، وهو ضد النسيان أي حضور صورة المذكور العلمية في القلب، واختير له بناء التفعل، لحصوله بعد مهلة وتدرج، كالتبصر والتفهيم والتعلم. فاخصّ التذكير بأولي الألباب؛ وهم من آتاهم

الله تعالى الحكمة، واختص بأهل الإنابة، كما سبق التذكّر التفكّر والتبصّر في الآيات المشهودة؛ والتدبّر لكلام الله تعالى، فيكتسب العبد المنيب التائب إلى الله تعالى صفاء البصيرة، فيبصر مواقع العبر في الآيات المخلوقة والمتلوة، لأنّ التبصرة آلة البصيرة، والتذكرة آلة التذكر، فيترتب عن التفكّر والتدبّر التبصرة، ويترتب عنها التذكّر؛ فتحصل الهداية، فتزيل الإنابة عنه الغفلة فيبصر؛ وتوجب البصيرة حضور الصور الدلالية بالقلب؛ فتزول عنه الغفلة فيتذكر. قال تعالى: ﴿ أَتَيْعُوا مَا نُزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]. والمراد بالتذكّر الأثر النفسي والسلوكي؛ الذي يثيره أو يحدثه التذكّر لقضية ما من قضايا المعرفة. والمعرفة المرادة هنا هي المعرفة الدينيّة؛ التي أوحى الله بها إلى رسوله، وهو ما جاء بيانه في صدر الآية. والتذكّر هنا هو استحضار المعلومات من الذاكرة، باستخراجها من مخازن المعرفة وإحضارها إلى ساحة التصرّو الحاضر. والناس عند حصولهم على المعارف بطرائقها الفكرية أو التجريبية أو الخبرية، قسمان: القسم الأول تمر عليه الفكرة، فلا يعتني بها ولا يكثر لها، ويدعها تمر عابرة من غير أن يهتم بنقلها إلى مخازن الذاكرة في نفسه، بسبب إهماله وعدم اهتمامه. وهذا القسم من الناس مسؤول عن إهماله وتقصيره ومؤاخذ عليه.

أما القسم الثاني فيحافظ على المعارف، ويحزنها بنفسه، وأصحاب هذا القسم صنفان: الصف الأول يستدعي الأول المعلومات من مخازن الذاكرة إلى ساحة التصرّو الحاضر عند المناسبة التي تقتضيها، وهذا هو التذكّر؛ والصنف الثاني يهمل هذه المخازن؛ حتى تكون في زوايا المتروكات

والمهملات أو نواذر الاستدعاء أو في غياهب النسيان.

فاشتغال النفس بما أمرها الله تعالى من تكاليف، وتقييد النفس بأوامر الله تعالى ونواهيه، لا بد أن يسبقه عمل القلب وفعله؛ وضمناً هنالك تفكّر وتدبّر وإيمان قبلها، والمداومة على الطاعة إنّما هي للمداوم على التذكّر، فهو محرّك القلب؛ والقلب سيّد الأعضاء ورئيسها، وصلاحه صلاح لها لزاماً، فكلّما كان المدرك أكثر حضوراً في النفس بالتذكّر؛ كان أكثر تأثيراً فيها وأشدّ في تحريكها نحو الفعل. فمن شغل ذهنه بالآخرة وما يحقّق السعادة الأبدية؛ كانت جوانب نفسه كلّها مستثارة لتحقيق مطالب الآخرة، والسعيّ إلى إصلاح أعمال النفس ونواياها، حتى تصفى نفوسهم من كلّ غاية غير الآخر وطريق الوصول إليها. وهذا حال الأنبياء، وهو ما خاطب به الله تعالى آخر أنبيائه محمداً عليه الصلاة والسلام ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: ٤٥، ٤٧]؛ فالخصلة الخالصة من الشوائب التي اصطفاها الله بها، وجعلهم بها من المصطفين الأخيار؛ هي أنّ ساحة تذكّرهم دوماً هي الدار الآخرة، وكلّ ما يوصلهم لها من أعمال في الدنيا. فكلّ حركاتهم ونواياهم موجّهة لغاية واحدة، وكلّ أعمالهم للقربى من الله تعالى، حتى بنوهم وقيامهم.

وإنّما يكون التذكر النافع الموجه للإدارة من المؤمنين المتّقين الحكماء، وهم أولو الألباب، فخلاصة الفكر التذكّر، وخلاصة أهل الفكر أولي الألباب، وخلاصة العقل اللبّ، وخلاصة العقلاء أولي الألباب، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ

#### ٤ - مجال الإدراك العقليّ في القرآن الكريم:

تبعاً لدور القوّة المدركة في تحصيل المعرفة؛ نجد أنّ التفكير والنظر أهمّ ما يميّز الكينونة الإنسانيّة المدركة؛ يتعامل مع الكون الذي يعيش فيه، وهو مزوّد بالحواس التي تفتح له آفاق المعرفة لعالم الشهادة، والفكر وهو يتقدم إلى معرفة ما في الكون من محسوسات؛ لا يكتفي بالإدراك الظاهريّ لها؛ وإنما يحكم بوجودها ونهايتها، فتحصل المعرفة بالقوّة الإدراكيّة ونشاطاتها فتعتمد على الحواس، وما يبنيني من تراكم معرفيّ، وقوانين تصبح بدهيّة، لفهم ما هو معاين وإداركه؛ والقياس عليه لإدراك وجود ما لا يعاين في الحال، وهذا ما يصطلح عليه قرآنيّاً بمجال الشهادة والغيب. فعالم الشهادة عالم فسيح للفكر؛ من خلال ما يميّز به من معرفة ضروريّة، وقوانين منظمّة لما تسعفه به الحواس، فكلّ ما في العالم مجال للفكر؛ من سموات وما بها من طبقات وكواكب ونجوم، ومن أراضي وما بها من جبال وسهول وبحار وأنهار، والإنسان هو عالم مصغر، فكلّ هذا ميدان للفكر، وهو مسخر لخدمة الإنسان، ومسخر لفهمه والتفكير فيه ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠].

ووجه الإنسان للتدبّر في آيات الله المتلوّة، وهي مصدر لمعرفة عالم الغيب، وفهمه مع ضبط الفكر، بأن لا يقتحم إلا ما قدر عليه، لذا وجه الإنسان نحو ما ينفعه، وما هو أهل للبحث فيه، أمّا ما لا طاقة له به؛ فقد بين له ما يقدر عقله على استيعابه، وحجب عنه ما لا يؤثّر علمه في المطلوب منه،

ولا يضّرّ الجهل به بالمهمة التي خلق لأجلها. فعالم الغيب كقضيّة في مجال الإدراك من حيث المبدأ؛ يعترف بها العقل والفطرة، أمّا تفصيل هذا العالم فليس له طاقة ولا قدرة ولا وسيلة غير الوحي، بينما سخرّ له ما يمكنه من التسليم بوجوده. وجاء ليعرض بعض تفصيلاته من غير الخوض في "الكيفيّات" أو محاولة البحث في ماهيات؛ لأنّ القدرات الإدراكيّة في الدنيا غير مؤهّلة لذلك، بل لا حاجة لها بها.

فخصائص العقل: القياس والاعتبار والتعميم والضرورة، وكلّها تبنى إمّا على ما تنقله الحواس أو ما تراكم من معارف ونتائج عمّا نقل تتابعاً عن الحواس. فعدم تحديد المجال الذي يرتاده العقل ويبحث فيه؛ هو أكبر خطأ منهجيّ يرتكبه الباحث في اعتماده على هذه القوّة المعرفيّة، وتحديد المجال الذي ينبغي أن يعمل فيه العقل؛ متوقف على النظر في حدود طاقته وإمكاناته؛ حتى لا يخوض في بحث يخرج عن إطار طاقته ويفوق إمكاناته.

فطاقة العقل وقدرته الذهنيّة محدودة، ولا يستطيع أن يتعقّل جميع الأشياء، أو يبحث في جميع القضايا، وكذلك إمكاناته ووسائله محدودة، إذ لا تستوعب قوّة السمع والبصر مثلاً جميع المسموعات والمرئيات، فعملها يبقى محدوداً في إطار المسموع والمشهود، والعقل يحكم في القضايا التي يتصوّرها تصوّراً محدوداً في إطار المسموع والمشهود، ويحكم في القضايا التي يتصوّرها تصوّراً تامّاً؛ إذ الحكم على الشيء هو فرع عن تصوّره، وأمّا القضايا التي لم يتصوّرها البتّة، أو كان تصوّره لها ناقصاً؛ فلا يجوز له الحكم عليها لا بالنفي ولا بالإيجاب.

فأهم ما يجد من قيمة الحجّاج العقليّ؛ هو قدرته الكبيرة على إقامة الأدلّة لما يعتقدّه حقّاً وصواباً "إذ لا يعجزه أن يجد الحجج المفحمة المقنعة؛ لإثبات وجهة نظره، وإن لم تكن صحيحة في الأمر نفسه، فهو خصيم شديد العداوة والجدال، ميّن لأوجه الخلاف والمعارضة ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

فلا غرو أن تتفاوت المعارف العقليّة بين الناس؛ لاختلاف القدرات الذهنيّة والإرادات الباعثة على اكتساب المعارف، فمن المعلومات ما هو مشترك بين عامّة الناس وهي قليلة؛ ويرجع غالبها إلى الحسّ المشترك أو الحسّ العام، ومنها ما يكون مشتركاً بين فئات معيّنّة، ومنها ما يختصّ بأشخاص معيّنين. وتنقسم هذه المعلومات إلى بدهيّة ونظريّة، ويفتقر النظريّ إلى البدهيّ، ولا يكون البدهيّ من غير إعانة الحواس، كما يستقرّ على التسليم نتيجة التكرار وثبات الحكم دوماً؛ أي أنّ تسليم العقل أنّ "أ" هو "أ"؛ لن يكون إلا بعد تكرار تلقيه لمثال "أ" دائماً هو "أ"؛ فيسلم أنّ "أ" هو "أ" دائماً وأبداً، فيصبح [بدهياً] ومسلماً به دائماً وأبداً، مما يقتضي قانوناً ثابتاً هو "مبدأ الهوية".

"وكون العلم بدهياً أو نظرياً؛ هو من الأمور النسبيّة الإضافية، مثل كون القضية يقينيّة أو ظنيّة، إذ قد يتيقن زيد ما يظنّه عمرو، وقد يبدي زيداً من المعاني ما لا يعرفه غيره إلا بالنظريّ، وقد يكون حسياً لزيد من العلوم؛ ما هو خبري عند عمرو، وإن كان كثير من الناس يحسب أن كون العلم المعين ضرورياً أو كسبياً أو [بدهياً] أو نظرياً؛ هو من الأمور اللازمة له

بحيث يشترك في ذلك جميع الناس، وهذا غلط عظيم، وهو مخالف للواقع، فإنّ من رأى الأمور الموجودة في مكانه وزمانه؛ كانت عنده من الحسيّات المشاهدات، وهي عند من علمها بالتواتر من الأخبار المتواترة، وقد يكون بعض الناس إنّما علمها بخبر ظنيّ؛ فتكون عنده من باب الظنّيات، فإن لم يسمعها فهي عنده من باب المجهولات، وكذلك العقليّات؛ فإنّ الناس متفاوتون في الإدراك، ولل بعض من العلم [البدهيّ] عنده والضروريّ ما ينفيه غيره أو يشك فيه."

فليس هناك قضايا أوليّة عند كل أحد، أو مشهورة عند كل أحد، وإنّما ذلك أمر نسبيّ بحسب أحوال الناس وقوّة تصوّر، فإذا كان تصوّر الشيء تاماً كان يقينياً؛ وإذا كان ناقصاً اعتبر مظنوناً.

فنسيّة العقول أحد أكبر الأدلّة في تحديد قدرات العقل، وأنّ له مجالاً لا يخرج عنه؛ إذ إنّ عالم الشهادة المخلوق، فلا يدرك العقل إلا ما تنقله الحواس؛ إمّا من الكون المشهود أو من الوحي. وما كان وجوده ذهنيّاً محضاً فلا وجود له بالخارج. وافتراضات العقل مبنيّة على أساس أنه لا بدّ أن يكون محسوساً.



## الفصل الثالث:

### مصادر المعرفة في القرآن الكريم

يعد موضوع مصادر المعرفة حجر البناء لأي نسق معرفي، إذ منه تُستقى الأدلة والمعارف، وله اتصال مباشر في فكر الأمة الإسلامية وتوجهها الحضاري، من أجل إعادة بناء ما هدم، وترميم ما اهترأ، وإبداع ما يساير العصر انطلاقاً من الأصول الإسلامية؛ نحو الريادة وفق منهج رباني.

غير أنّ مفهوم المصدر يشوبه بعض الغموض في تحديده، وفيه آراء عدّة وتصوّرات مختلفة.

#### أولاً: مفهوم المصدر المعرفي

إذا تتبعنا طرح مصطلح "مصادر المعرفة" في الكثير من البحوث؛ نجد اختلافاً بل اضطراباً في استعماله اللغوي، وتداخلاً مع مفاهيم أخرى، ممّا يوقع في إشكالات فكرية للمدقق، وتصوّرات خاطئة للمطالع، ومن هنا ينبغي أن نفصل في البحث بين الأصل والمصدر، فالأصل هو الخالق لها ولأسبابها، والمصدر هو علّة حدوثها، فالله تعالى أبداع الكون على نظام متناسق، ولا يكون التناسق من غير ثبات، والثبات لبّ القانون، والقوانين ممّا ييسر الله للإنسان إدراكها؛ بل أرشده للبحث عنها، وهي من العالم المباشر الظاهر، وبنى الشرع الأحكام بين الناس على الظاهر، فيكون التطرّق إلى الأسباب المشهودة من العالم المدرك؛ لا إلى الأسباب المغيبة التي تلي عالم الشهادة؛ فالإيمان بالله تعالى يقود إلى تلمس سنن الله في خلقه، ولا تبديل

لستّه تعالى في الآفاق والأنفس، فما وعد جلّ وعلا بأن يُري عباده آياته في الآفاق وفي أنفسهم؛ إلا وقد مكّنه من رؤيتها، ولا تستقيم الرؤية من غير فهم العلل والأسباب، وكلّ يدرك شيئاً من ذلك بقدر ما أوتي من علم وقدرة وإرادة.

## ١ - المفهوم الدلالي:

يشكّل موضوع المصادر أهميّة خاصّة بالنسبة إلى التربية (المعرفيّة) الإسلاميّة، لأنّه يتّصل ببناء فكر الأُمّة، وتوجّهها الحضاريّ من أجل إعادة بنائها أفراداً وجماعات، لانطلاقها من الجذور الأصليّة والاتّجاهات والقيم التي كان لها كبير الأثر في تاريخنا.

إن مصطلح "مصادر المعرفة" في المفهوم الفلسفيّ؛ ليس هو المراد بطرائقها عندنا في تصوّرنّا الدقيق، ذلك أنّ مصدر الشيء أصله، وأصل المعرفة عندنا ربانيّ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ [العلق: ٥]. وإن استعمالنا لأدوات المعرفة من عقل وحسّ إنّما هو بإقدار الله عزّ وجلّ وتمكينه، وإذ تتّبعنا مصطلح "مصدر المعرفة" في كثير من البحوث نجد اختلافاً بل اضطراباً في استعماله، حيث جعله بعض الباحثين وسيلة الوصول إلى المعرفة، وقد تبين أنّها الأداة وهي الحواس والقلب. وجعله آخرون منبع المعرفة وثمرته من الأصل، فقد تكوّنت مصطلحات وهي: "أداة المعرفة"؛ وهي الجوارح من حواس وقلب، و"محلّ الإدراك" وهو القلب، و"محلّ الإحساس" وهي الحواس، و"القوّة المدركة" الكامنة بالمحلّ، و"فعل القوّة المدركة" وهو نشاطها وعمليّاتها الإدراكيّة، و"الهيئة" وهي حصول الإدراك

داخل النفس المدركة. ويطلق على المعلومات الكامنة في النفس (التراكم المعرفي): عقلاً، وعلى عملية استرجاعها والاستنباط منها: عقلاً، وعملية تحصيلها أو عدمها: عقلاً. فالإشكال هو: هل المصدر هو المُحصّل للمعرفة، أم عملية التحصيل، أم المُحصّل منه؟

والحاصل: أنّ العلوم تكتسب بواسطة العلوم البديهية، وحدث البهيات بتصور موضوعاتها ومحمولاتها، وكانت التصورات بإعانة الحواس على جزئياتها، فظهر أنّ السبب الأول لحدوث المعارف في العقل هو هذه الحواس. فالحاصل لدينا: نفس خالية من المعارف، وأدوات ناقلة للمعارف، فتتمّ عملية النقل بين وسطين، هما العالم الداخليّ (النفس المدركة)؛ والعالم الخارجيّ؛ وهو كل ما خرج عن محلّ الإدراك (القلب)، فلا يكون الاتصال بالعالم الخارجيّ إلا بالحواس، التي تنقل ما يصبح بديهياً إذا تكرر؛ لأنّ صورته وماهيته لم تتغير؛ فيجزم الذهن بثباته أو نفيه، ويصنع هذا الجزم القانون (قانون العقل)، ويبنى لنا تراكم القوانين البهيات والمسلمات؛ وهي العلم الضروريّ الذي نكتسب منه العلوم النظرية الكسبية الحاصلة لاحقاً.

ولا بدّ أن يصدر عن المصدر شيء نحو مُتلقٍ، فإذا قلنا مصدر العلم؛ فيصدر عنه (معلوم)، نحو متلقٍ له القابلية على استقباله؛ وهو محلّ العلم (المتعلم)، وحال تمكّنه منه يكون (عالماً به)، فهنا الحواس ناقلة بإجماع العقلاء؛ فلا تكون مصدراً للمعارف لأنّها خالية أصالة منها. فالمصدر هو العالم الخارجيّ؛ وهو المنبّه والمؤثّر والباعث للصور والأصوات والمؤثرات التي

تتلقاها وتستقبلها الحواس ثم تصل بها إلى مركز الإدراك. ويدخل المثال مادّة أولية إلى القلب "محلّ الإدراك"، وهو كمصنع به نشاطات إدراكيّة عدّة، تتصاعد وتتفاوت من فرد إلى آخر، فكّل عقل يخرج من تلك المعرفة الأوليّة معارف عدّة حسب قدراته مؤهّلاته. فيكون المصدر الأصلي (العالم الخارجيّ)، والمصدر التابع هو (الحافظة أو الذاكرة)، فيستحضر العقل ما تراكم في الذاكرة من معارف ومعلومات؛ ويبنى عليها لينشأ معلومات ومعارف أخرى، بعدها تحزّن هذه المعارف لتكون (مادّة أوليّة) لمعارف وعلوم أخرى بعدها. ومن معاني العقل أنّه قوّة التمييز، وأنّه المعلومات المخزّنة؛ لذا نجد الغزاليّ يقول: "العقل منبع العلم ومطلعه وأساسه" فهذا على اعتباره مرادفاً للقلب؛ وإنّ ما في القلب من علوم يسمّى عقلاً، حيث قال في معاني العقل الأربعة: "قد يطلق ويراد ما بمحلّ الإدراك أي المدرك (العلوم)".

فالحواس نواقل للمعارف كما بيّن الرازيّ وغيره، ولا بدّ للمستقبل من ناقل ومصدر، ولا بدّ أن يكون الناقل بين أمرين؛ من وإلى، فإذا كان المتقي هو القلب (محلّ العلم) أو العقل، و(الناقل) إلى محلّ العلم هو الحواس؛ فالجانب الآخر الذي تتصل به الحواس لزاماً هو (المصدر) المتلقى عنه عبرها. ومصدر المعرفة هو الحاوي لحقيقة الأشياء أو ماهيّتها أو مثالها؛ أي هو الأشياء عينها؛ أي مصدر المعرفة هو (الموضوع المدرك)؛ فعندنا نفس مدركة، وعمليّة إدراكيّة، وموضوع مدرك. النفس المدركة هي "محلّ العلم" القلب، والعلميّة الإدراكيّة هي "العقل"، والإدراك حصول العلم، والموضوع المدرك هو العالم الخارجيّ؛ أو ما في الحافظة والذاكرة ممّا نقل عن

العالم الخارجي أصلاً، وتطوّر ونشأت عنه معارف وصور قد لا يكون لها وجود بالعالم الخارجي. وإذا رجعنا إلى كتب التفسير والأصول والفقه واللغة نجد أن التعامل مع مصطلح "مصدر" بالدلالة نفسها التي بيناها؛ حتى عند علماء الكلام حال تصنيفهم للعقل أنه من مصادر المعرفة وإيرادهم مصطلح "المعرفة العقلية" على أنه مصدر، يريدون مصدراً تابعاً؛ أي التراكم المعرفي بالحفاظة.

## ٢- تصنيف المصادر:

المعرفة في النظام المعرفي القرآني لها مصدران متكاملان هما: الوحي (الآيات المتلوّة، وسنة الأنبياء، والرؤيا، والإلهام، والحدس)، والكون (الآيات المخلوقة، الآفاق، الأنفس، أخبار التاريخ والحاضر). وطرائق اكتساب المعرفة من كليهما هي العقل والإحساس، والعقل (قوة إدراكية)، يتوصّل بها إلى المعرفة والعلم من الوحي والكون. ويمثّل الوحي دائرة المعارف الإسلامية، أمّا الكون فإنّه يمثّل المعجم والمختبر الذي يحتوي على مفردات هذه الدائرة، وقد أمر الله بالقراءة، وجعل التكليف مناطاً بوجود العقل وبلوغه مرحلة التمييز وتعقل الخطاب. ولم يعيّن المقروء ليشمل كل ما يقدر عليه الإنسان؛ مع التزام المنهج الرباني في توجيه ما يقرؤه، فكان له الكتاب المسطور (الوحي)، والكتاب المنظور (الكون). قال تعالى:

﴿ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]. فالرؤية هنا رؤية قلبية؛ أي عملية إدراكية، والآيات لغة هي العلامات الدالة الواضحة؛ أي هي حقيقة الأشياء، والأشياء هنا هي "الآفاق"

والأنفس"، فعلامات الآفاق والأنفس آياتها وحقائقها؛ وهي المعلومات المأخوذة منها، و"التبيّن" هو حصول العلم بالأنفس؛ بوصول العلم إلى محلّه القلب، وبلغ العلم هنا درجة اليقين "الحقّ"؛ وهو أعلى من الحقيقة؛ لكونه دوماً خيراً والصالح والصدق.

فمصدر الحقّ أو مصدر بيانه هو آيات الآفاق والأنفس؛ أي العلم النابع من الكون، فالكون مصدر للمعرفة والعلم الذي يحاجج الله تعالى به عباده. وتتصل الحواس بجهة واحدة؛ وهي الكون، وتنقل ما تتلقاه إلى العقل ليتبيّن ويستوعب فيميّز الحقّ من الباطل، و"الآيات" هنا هي العلامات الأوضح في الدلالة؛ فهي المعلوم الخالي من اللبس والإشكال.

فالوحي خطاب إلهي لقوانين العقل وبدهيّاته المفطورة عليها، ولا تصادمه علومه النظرية. فإن عجز عن فهم حجّية الوحي، أحيل إلى مرحلة ما قبل البدهي وهي الإحساس. ويمثّل الكون والوحي مصدرين أصليين للمعرفة، ثم يليهما مصادر تابعة هي ناتجة عنها، مثل (التراكم المعرفي)؛ إمّا الداخلي بالذاكرة، أو الخارجي (العلوم المدوّنة والأخبار المتناقلة). فيكون الأول بالتذكّر، والثاني بالتلقين إمّا بالقراءة أو السماع، وأصلهما المصدر الأصليّ.

ويمكن دمج المصادر التابعة ضمن عالم الأنفس، غير أنّ الفصل يكون أجود في بيان الوسائل والطرائق والمصادر؛ إذ إنّ الأمر بالنظر إلى الأنفس هو من جهة دلالتها المعرفية والعلمية بكونها مصدراً؛ أي موضوعاً للدراسة والتأمّل. وفي المصادر التابعة حصيلة معرفية متراكمة من المصادر الأصليّة،

لكن لا وجود لها بالمصدرين الأساسيين بصورتها بالمصدر التابع، فمن الأمور الناتجة في الذهن ما لا وجود له بالأنفس ولا بالأفاق، كما لا وجود لها بالوحي، وهنا الأنفس بمفهوم الجسم والروح. فالعقل والنفوس مشتركان في الدلالة على شيء واحد هو اللطيفة المدركة بالإنسان، فيرجع بذلك المصدر العقليّ إلى مصدر الأنفس؛ أي الكون. فقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]؛ فالله هو العالم، والمعلوم هو ما في الأنفس من اعتقادات وإرادات؛ أي من إدراكات، فكانت النفس هي الموضوع الذي أخذ منه العلم؛ أي هي مصدر العلم الذي يعلمه الله تعالى، ويحاكم به الناس، وهذا في الآية تحذير بأن الله يعلم كما نعلم نحن ما بأنفسنا. وقوله: ﴿سَرُّهُمْ ءِإِيَّتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]؛ قد يكون ما يحصل من علوم داخل النفس، وهي القوانين العقلية والمبادئ الأولية الفطرية، وهي بذلك حجة على من وقعت في نفسه بعد تراكم المعرفة به، فعلمه بالدليل، وفهمه لوجه الاستدلال؛ آية بيّنة، مبيّنة له أنّ ما جاء من عند الله حقّ، فيكون ذلك حجة عليه، وقد يكون الجهل عذراً؛ فكان العلم لكي لا يكون للناس حجة على الله، فالمصدر المعرفي الذي سيرى فيه الإنسان آيات الله هو المعارف الكامنة فيه.

## ثانياً: الكون (المخلوقات) مصدراً للمعرفة في القرآن الكريم

يمثل الكون الموضوع الأكثر ذكراً في القرآن، بالإرشاد إليه لتلقي المعرفة، وإعمال العمليات الإدراكية فيه؛ ليستقي منه ما يهتدي به لصالح المعاش وخير المعاد.

## ١ - مفهوم الكون مصدراً للمعرفة:

الكون المشهود يجمع بين قسمين، اصطلاح ساهما القرآن الكريم بالآفاق والأنفس؛ إذ هما العالم المشاهد الواقع تحت الإحساس، وتصل إليه الحواس، قال تعالى: ﴿سَرَّبْنَاهُمْ إِيَّانَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ نَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. فالكون عالم الشهادة أي هو كل أمر نستطيع أن نتوصل إلى شهوده بالوسائل الحسية، أو هو الوجود الماديّ الواقع تحت الإدراك الحسيّ للإنسان، ومن خصائصه أنّه معقول الذات وقابل للوجود الإنسانيّ إذا توفرت أسباب الشهود، وكذلك الأمور التي لا نصل إليها بالحسّ من عالم الجنّ والشياطين والجنّة والنار والملائكة هي كذلك أمور محسوسة، لكن لا قدرة للحواس على الوصول إليها الآن، لوجود المانع والحاجز. لكننا نصل إليها في الآخرة، بل حتى في الدنيا فقد رأى الأنبياء الملائكة مثلاً، والاصطلاح القرآنيّ البديل لمصطلح عالم المعقولات والمحسوسات هو "الغيب والشهادة"، فما غاب عن الحواس في العالم الخارجيّ هو غيبيّ، وما وصلت إليه هو مشهود، وهذا هو الكون بشقيه الآفاق والأنفس.

والعلاقة بين المجالين بارزة من حيث كثرة جمعها في القرآن الكريم كما في ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَخَذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (٥١) [الكهف: ٥١]، ﴿أَوَلَمْ يَفْكَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الروم: ٨]، ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢١) وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴿[الذاريات: ٢٠ - ٢١]، والأمثلة كثيرة، فمجال الإدراك؛ أي المصدر الذي تستقى منه الآيات، والعلامات والمعارف والمعلومات، هو الكون

بصوره الآفاقيّة والنفسية. والعلم في أحد الأقوال في اشتقاقاته أنّه من العلامة؛ وهي أحد معاني "آية"، التي يبينها الله تعالى لعباده كي يعقلوا ويتفكروا ليؤمنوا بأنّه الله لا إله إلا هو. وقد وردت الآية في القرآن على معنيين لا ثالث لهما، الآيات المتلوّة وهي كلام الله وقرآنه ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، والآيات المخلوقة؛ وهي الكون بما فيه، وهي الأكثر، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ [البقرة: ١١٨]. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ [النحل: ٦٥]. فالأمر الذي يتعلّق ويتفكّر ويسمع ويتذكر ويؤمن به هو الآيات؛ التي كان تفصيلها سابق للسياق؛ وكلّها من الكون بقسميه الآفاقيّ والنفسيّ.

ولما كانت السنن الإلهية هي فعل الله تعالى في الكون والإنسان والحياة، فإنّ القرآن تناولها بإفاضة، وتحدّث عن الحياة والموت وحكمة الله في ذلك، وتحدّث عن سنّته في خلق الإنسان ومعاشه، وغير ذلك كثير من مظاهر سنن الله في الكون والإنسان والحياة. قال تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ﴿٣٧﴾ [الأنبياء: ٣٧]؛ هي الآيات المعجزة التي تظالعنا في صفحة الكون والحياة، والله وعد بأنّه سيبيّن لنا آيات وهي مستقبلية بالنسبة إلى كلّ من لم يرها بعد، وهي على نوعين: أسرار الآفاق، وأسرار الإنسان روحاً وجسداً، فالحقّ المبيّن بالآيات الآفاقيّة والنفسية هو صدق القرآن وما حوى.

وعملية التفكير حركية حيث تقتضي التنقل بين المصدر والقوّة المدركة؛ لاستنباط العلم، وذلك شرط قيام العمران والتمكين في الأرض، فأسمائها تدلّ على أصناف أربعة في النظام المعرفيّ في القرآن، وهي: الظواهر الإنسانية

النفسية والاجتماعية، والظواهر الكونية الآفاقية، والأقوام والأمم، والبهائم والحشرات والنبات.

## ٢- الآفاق:

الآفاق آحاده أفق، وهو الناحية من نواحي الأرض، وكذلك آفاق السماء نواحيها وأطرافها. وفي تفسيرها قولان: الأول: أن المراد الآيات الفلكية والكوكبية، وآيات الليل والنهار، وآيات الأضواء والإظلال والظلمات، وعالم العناصر الأربعة، والمواليد الثلاثة، وقد أكثر الله منها في القرآن، والله يطلعهم على تلك العجائب زماناً بعد زمان. والقول الثاني: إنها الفتوحات. وفي فتح القدير: قال ابن زيد ﴿فِي الْآفَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣] آيات السماء.. وقال قتادة والضحاك: "وقائع الله في الأمم.. وقال عطاء: ﴿فِي الْآفَاقِ﴾ يعني أقطار السموات والأرض، من الشمس والقمر والنجوم، والليل والنهار، والرياح والأمطار، والرعد والبرق والصواعق، والنبات والأشجار، والجبال والبحار وغير ذلك. وقال ابن عباس: ﴿فِي الْآفَاقِ﴾ منازل الأمم الخالية، وقال قتادة: وقائع الله في الأمم الخالية.

فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان هي طريقة عقلية صحيحة وشرعية دلّ القرآن عليها، وهدى الناس إليها وبينها وأرشد إليها، فإن نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً من نطفة، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول؛ بل يعلمه الناس، سواء أخبر به أم لم يخبر، والآيات نوعان في دلالة الأنفس ودلالة الآفاق.

فالآيات علامات يحصل منها بيان في القلب؛ أي هي حقائق الأشياء، وحصول البيان في النفس المدركة (العقل)؛ هو حصولٌ للعلم، فالآية دليل على مدلول هو الكون، والمدلول هو مصدر الدليل، فهو مصدر حصول البيان في العقل؛ أي حصول العلم، فالتأمل في آيات الآفاق في القرآن؛ يرى فيها الختم ببيان الحكمة من الخلق، والتنبيه لتلك المخلوقات، وتارة أخرى لا تذكر الحكمة من ذلك، وذلك لأمر منها: التشويق لمتابعة القراءة، ومنها قياس الحكم على غيره، ومنها إثارة الذهن لاكتشاف الحكمة والربط بين الأحداث ومسبباتها، ومنها للابتلاء والاختبار في قوة التمييز واليقين والإيمان، فمن ينبى يكون أكثر إبصاراً للعلل والحكم. قال تعالى: ﴿بِفَصْلِ آيَاتِكُمْ﴾ [الرعد: ٢]، وفيه قولان: الأول: أنه تعالى بين الآيات الدالة على إلهيته وعلمه وحكمته. والثاني: أن الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان: أحدهما: الموجودات الباقية الدائمة كالأفلاك والشمس والقمر والكواكب.. والثاني: الموجودات الحادثة الصغيرة، وهي الموت بعد الحياة، والفقر بعد الغنى، والهرم بعد الصحة، وكون الأحق في أهناً العيش؛ والعاقل الذكي في أشد الأحوال.. فيفصل الآيات إشارة إلى أنه يحدث بعضها عقيب بعض على سبيل التمييز والتفضيل. ثم قال بعدها في ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

والكون مصدر لعلاقتنا بربوبية الله، والوحي مصدر علاقتنا بألوهيته؛ أي أننا نستدل بالكون على وجود الخالق القادر الرب، ونستدل بالوحي على كيفية وصحة عبادتنا له، فالكون مصدر علم لتوحيد أفعال الرب، والوحي مصدر علم لتوحيد أفعالنا نحو الإله. وإن العلم الحاصل من ميدان الآفاق،

هو معلومات ومعارف متناقلة؛ عبر الألسن أو الكتب أو الصور اصطلاح عليها بالأخبار، ولا تدرك إلا بالسمع والبصر. فاتصال الإنسان بالآفاق لا يكون إلا بالحواس، وهي الناقلة لما في العالم الخارجي إلى العقل؛ العالم الداخلي لكل فرد، وما تنقله الحواس أمران: إحساس وإخبار. فالإحساس هو المعلومات التي يباشرها كل فرد بنفسه نحو الأشياء؛ لإدراك ماهيتها أو حقائقها أو صورها، بعدها تخزن هذه داخل الحافظة؛ بعد أن تشكل في الذهن بعض القوانين والمبادئ والبدهيّات الضروريّة والمسلّمات.

فالتيجة أن الطرق طريقتان لا ثلاثاً، والمصادر مصدر واحد من عالم الشهادة أصليّ، ومصدر تابع، وهو نوعان: داخليّ (عقل كل فرد)، وخارجيّ (عقول كل الأفراد)، والنوعان تراكم معرفيّ عن المصدر الأصليّ (الكون).

### ٣- الأنفس:

جاء ذكرها بعد الحديث عن الآفاق، وهي جزء من الكون بكونها مصدراً للمعرفة، فعالم الأنفس يمثل الشق الآخر من عالم الشهادة؛ بوصفه يتناول الإنسان روحاً وجسداً، بل لا تطلق النفس لغةً إلا إذا خالطت الروح الجسد، وإن انفصلت سمّيت روحاً. وجُعِلت النفس هنا مصدراً للعلم، قال تعالى: ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾؛ أي إنّ آياته وأدلّته على صدق القرآن، وأنه مصدر هداية؛ ستكون موجودة في الأنفس، والأنفس هي نفسها دليل ومصدر هداية، قال عنها: "حتى يتبين لهم"؛ فالبيان سيحصل في الأنفس، فيحتمل -والله أعلم- أن يكون حصول البيان في النفوس -أي حصول العلم- هو نفسه من آيات الله تعالى في الأنفس، بل هو أعظم؛ لوجهين: الأول أنّ وقوع

العلم في النفس آية وحجة على من علم، فَوَعَدَ اللهُ بِالْبَيَانِ أَجْلَى؛ بحصول " ملكة العلم " داخل النفس، والثاني أَنَّ في قوله تعالى " في الآفاق " أي ما تحوي؛ ومما تحويه آثار البشر وعمرانهم وهم بذواتهم، فتصبح الأنفس (البشر) من الآفاق كائنات حيّة نامية؛ وأفعالاً مبدعة للخير ومبتدعة للشر، وقد وردت النفس في القرآن، ونسب لها كل أفعال الإنسان وطباعه وأحواله وإدراكاته، غير أَنَّ بحثنا ليس في النفس وما فيها؛ إنّما في كونها مصدراً للعلم، لذا سنقتصر على إيراد الآيات التي أحيل العقل فيه للتأمل في النفس تصریحاً، وإن كان كل ذكر للنفس فإنّما تذكير وتنبية لما فيها من آيات وقدرات، من ذلك ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۗ ﴿١٤﴾﴾ [القيامة: ١٤]. وقال: ﴿حَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ۗ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١]. وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ۗ ﴿٨﴾﴾ [الروم: ٨]؛ التفكير لم يرد إلا في الكون وآياته؛ من سموات وأراضين وما فيهما، فكان أحد مصادر التفكير التي يجول فيها الإدراك (الأنفس)، والآخر (الآفاق). فأحيل الفكر في القرآن كلّهُ إلى المخلوقات من آفاق وأنفس، وأحياناً الوحي. ولم يحل إلى غير هذا قط، فكان لزاماً أنّها مصادر الفكر؛ أي هي التي يتفكّر فيها ويفرّق مسائلها ليعقلها.

كما نبّه إلى النظر إلى خلق الإنسان، وأطوار تطوره، والنعم الممنوحة له، وقواه التي استطاع بها السير والإعمار في الأرض، وذكر أحواله وسلوكاته؛ من إيمان وكفر وجحود وإقرار وجدال، مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۗ ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: ٦٧]. وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۗ ﴿٧٧﴾﴾ [يس: ٧٧].

وورد لفظ الأنفس وحده مائتين وخمس وتسعين مرة بصيغته من غير  
 المواضع التي يتكلم فيها عن خلق الإنسان وصفاتهم وعددها ثلاثاً وثمانين مرة،  
 وكذلك ما قص الله تعالى عن أحوال الأمم، وإنزال البركات والعقوبات  
 عليهم، فتاريخ الإنسان هو أفعاله وأفكاره؛ وما قدم من حضارة وعمران  
 وعلوم. فهنا تكون أحوال الأنفس وأفعالها وعلومها مصدراً للمعرفة خاضعاً  
 لعملية الإدراك. ومن تتبعنا للمصادر حصل أن المصدر يفارق الميدان، فالمصدر  
 هو ما يستقى منه العلم، أمّا الميدان فهو مجال العلم؛ أي مجال الحواس والعقل  
 الذي يمكنها العمل فيه. وأكثر توضيحاً، المصدر مصدران: خالق ومخلوق،  
 والميدان ميدانان: ميدان الشهادة، وميدان الغيب، والميدان هنا هو (المجال)  
 القابل للإدراك. فالمخلوق مصدر من نوعين آفاق وأنفس، والأنفس علوم  
 وأفعال. ويشمل المخلوق ميدان الشهادة والغيب، فما تصل إليه الحواس هو  
 ميدان الشهادة، وهو الموجود في العالم الخارجي المحسوس، وما غاب عن  
 الحواس هو ميدان الغيب؛ فلا تصل إليه الحواس ولكنه محسوس، وما لا تصل  
 الحواس إلى (أصله)؛ لا يمكن للعقل إدراكه لأنها منفذة الوحيد للعلم والقياس  
 والتعميم. وتصنيف المصادر هو تصنيف للعلوم، لأن العلوم تستقى من  
 مصادرها، ولها اعتبارات في تقسيمها، وأحد هذه الاعتبارات مصادرها أو  
 طرائقها أو وسائلها. وأكثر التصنيفات شهرة واعترافاً من العلماء؛ هو تصنيفها  
 إلى علوم عقلية وعلوم نقلية: فالعلوم العقلية: ما تقتضي بها غريزة العقل، ولا  
 توجد بتقليد أو سماع. والعلوم النقلية أو الدينية أو الشرعية أو الوحيية أو  
 السمعية، وهي مأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء، بتعلم الكتاب وفهم معانيها

بعد السماع. فيقينا بثبات اليقين في صدق نسبتها إلى الأصل؛ وهو الله تعالى، ثم تصبح مصدراً للمعرفة؛ أي أصلاً ومعياراً لعلم، وهو المستفاد منها، فالتقليد في نقلها؛ أمّا فهمها فهو يقسمها إلى عقلية وضرورية ومكتسبة.

فرجع كل ذلك إلى أن مصدر العلم هو الكون المخلوق، ومجاله وهو عالم الشهادة. فالعقل في أحد معانيه العلم بالأمر الدنيوية والأخروية، والحقائق العقلية، وهذه الأمور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات، بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل، إذ يحكم الإنسان بأنّ الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة، هذا حكم منه على كل شخص؛ ومعلوم أنّه لم يدرك بواسطة الحس إلا بعض الأشخاص، فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه بالحس، وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر.

وبعد، فإن النفس تنفعل وتتفاعل، وتعتمد النفس في هذه الحالة وفي جميع صورها على وظائف الجسم الحيّ ومن هذه الوظائف؛ ووظائف الحواس، فتدرك الحواس بالالتجاء إلى الوقائع المباشرة، ولكن لا مندوحة عن الدليل وإقامة البرهان.

### ثالثاً: الله تعالى (الخالق) مصدراً للمعرفة في القرآن الكريم

الكون أهم المصادر التي يأخذ الإنسان المعارف منها؛ فيستدلّ منه وبه على خالقه؛ كي يُقرّر بربوبية خالق الكون، فيكون ذلك إلزاماً بألوهيته سبحانه. فإن كان الكون مصدر الإقرار بالربوبية، فما مصدر الإلزام

بالألوهية؟ أي إذا آمن الناس بأن لهذا الكون خالقاً؛ من تفكّرهم في الكون ذاته، فأتى لهم معرفة ما يريده ويرضاه الله منهم؟ ومعرفة ما لا يرضاه؟ وما هو مصدر الإلزام بالألوهية؟ أي إذا أقرّ الناس بأن الله هو الخالق الرازق القادر السيّد الملك الربّ لهذا الكون من تفكّرهم في الكون ذاته، فكيف يعلمون طريقة عبادة الله؟ وكيف يدركون ما يرضي ربهم وخالقهم عليهم؟ وما يُجَلّ غضبه وعقابه عليهم؛ ولا يرضاه منهم؟

لا بدّ من مصدر آخر يكون ممن تُوجّه له العبادة والتوحيد؛ وهو الله تعالى، ويُبلّغ الله هذا العلم بكلامه؛ وهو الوحي عبر ملائكته ورسله وأنبياءه، فلا تصل العقول إلى عالم الغيب، وعلى رأسه ذات الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، فكان لا بدّ من واسطة إلى مصدر العلم (الله تعالى)؛ وهي الرسل من أنبياء وملائكة؛ لنقل ما هو غائب عن الحواس إلى مجال الشهادة، كيما تصل إليه فيدركه العقل بعد ذلك ويتدبّره. فإن النظر في آيات الله؛ والاستدلال بها على وجوده سبحانه، هو الذي جاء به القرآن وبيّنته الرسل، فيستدلّ الله في كتابه كثيراً بخلقه السموات والأرض، وبما يحدثه في العالم من السحاب والمطر، والنبات والحيوان، وحركة الكواكب، واختلاف الليل والنهار؛ باعتبارها آية عليه، وكل شيء له فيه آية تدلّ على أنّه الواحد.. وأبرز دليل على كون المخلوقات آية دالّة عليه هو افتقارها إليه.

## ١ - كيف نفهم أن الخالق مصدر المعرفة:

والمعرفة الإنسانية الحاصلة من المخلوقات قابلة للإدراك من كلّ العقول، مع تفاوت درجات الإدراك في ما حول الإنسان، "والتي يظهر فيها

انفعال الإنسان بما حوله في عالم الشهادة، وما لهذا العالم من تأثير في تشكيل المعرفة لدى الإنسان، والإنسان في هذين النوعين من المعرفة -الحسيّة والعقليّة- يتعامل مع الكون؛ مما هو داخل مجال حواسه وعقله، وكلّه ثقة بهذين الطريقتين، بما رزقه الله تعالى من ضمان بأن جعلها طريقتين للمعرفة، وميّزه بالفكر حصيلة للفعل الإيجابي للحواس والعقل؛ في تعامله مع المحسوسات والمعقولات، وربما هيئاً له ميادين لهذا الفكر، ومن ثمّ فإنّ المعرفة لا تنحصر في معرفة عالم الشهادة؛ بما أوتي الإنسان فيها من طرائق للمعرفة من حسّ وعقل، وإنّها تمتدّ هذه المعرفة لتضم إلى عالم الغيب؛ والذي يطلبه العقل الإنساني ويسلم بوجوده، ولكنّ هذا العقل بما أوتي من فعاليّة من خلال طبيعته وتكوينه، ولا يستطيع من خلال تعامله في عالم الشهادة أن يقدم شيئاً تفصيلياً للمعرفة في عالم الغيب".

ولا بدّ للطريق إلى الغيب من مبدأ ومنتهى، ولا بدّ أن يكون مبدؤه غيبياً، ولا بدّ أن يكون منتهاه مشهوداً ليتّم التواصل معه، فكان المبدأ ربانياً؛ وهو كلام الله تعالى -صفته الذاتية الثبوتية- يصل إلى المرسل إليه؛ عبر الملائكة (عالم الغيب)، وتأخذ الأنبياء عن الملائكة؛ بعد أن يصطفئها الله من بين البشر؛ بخاصية الاتصال بعالم الغيب (النبوة)، وترتقي حواس وعقول الأنبياء لذلك؛ وهم من (عالم الشهادة)، ثمّ ينقل الأنبياء تلك العلوم (الغيبية)، إلى عقول الناس عبر (السماع)؛ أي الحواس وهذا من (الشهادة). وكون الطريق هذا ثابتاً أصلاً يحتاج إلى أدلّة؛ وكون (الرسول) متّصلاً بعالم الغيب يحتاج إلى أدلّة؛ وكون (علم الرسول) (علماً غيبياً) متّصلاً بعالم الغيب

يحتاج إلى أدلة، والعصمة من الخطأ؛ أي (اليقين) في هذا المصدر يحتاج إلى أدلة؛ والأخذ من المصدر الثاني بعد الكون (المخلوق)، واستقاء العلم منه لا يكون إلا عبر كلام الله تعالى الذي يبين ويهدي ويمنح العلم اللازم لعباده، كي يحققوا الغاية من خلق (الكون).

والوحي قسمان: عام؛ وهو الكلام العام فيشمل الأنواع الثلاثة، وخاص وهو الإلقاء في الروح. فالعام "يقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وذلك أضرب"، والخاص أحد أضرب العام: إلقاء في الروح، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ﴾ [الشورى: ٥١]؛ "ويكون على أحد هذه الأوجه: إما أن يكلمه الله وحياً بأن يلقي الوحي في قلبه من غير إرسال ملك ولا مخاطبته منه. أو أن يكلمه لكن ﴿مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ أو يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي، كجبريل أو غيره من الملائكة ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ﴾ أي بإذن ربه لا بمجرد هواه." بعد الآية قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] وهو هذا القرآن.

## ٢- مفهوم الوحي:

### أ- المعنى اللغوي للوحي:

الوحي يدل على معان منها: الإشارة والإيحاء والكتابة والسرعة والصوت، والإلقاء في الروح إلهاماً؛ وبسرعة وبشدة، ليبقى أثره في النفس. وأصله: إعلام في خفاء، وله صور عدة، وتتم كلها في خفاء، فهو الإشارة السريعة. ولتضمنه السرعة قيل أمرٌ وحيٌّ للكلام على سبيل الرمز.

## ب- المعنى الاصطلاحيّ للوحي:

الوحي في الاصطلاح معناه أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، بطريقة خفية غير معتادة للبشر، ويكون على أنواع شتى، فمنه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤)، ومنه ما يكون إلهاماً يقذفه الله في قلب مصطفاه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفاعاً، ولا يجد فيه شكاً، ومنه ما يكون مناماً صادقاً كفلق الصبح في تبلّجه وسطوعه، ومنه ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وهو من أشهر أنواع الوحي وأكثرها، ووحى القرآن كلّه من هذا القبيل، وهو المصطلح عليه بالوحي الجليّ.

## ت- المعنى الشرعيّ (القرآنيّ):

جاء لفظ الوحي وما تصرف منه في القرآن في ثمانية وسبعين موضعاً. ونجد بالاستقراء استعمال لفظ الوحي دلالة على الإعلام الخفيّ السريع. والوحي كاسم معناه الكتاب، ومصدره "وحى"، وفعل "أوحى" مصدر "إيحاء"، غير أنّ للوحي وجوهاً دلاليّة؛ يتطلّبها السياق في القرآن على نحو مخصوص. فالنبوة المأخوذة من النبأ؛ بمعنى الخبر، وهو وصول خبر الله تعالى بطريق الوحي؛ إلى من اختاره من عباده لتلقي ذلك. وللوحي سبعة أوجه، وهي: الإرسال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إِذْ هَبَمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ (النساء: ١٦٣)، والإشارة: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَخِجُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: ١١)، والإلهام: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ﴾ (النحل: ٦٨)، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَى﴾ (الفصص: ٧)، والأمر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (٤) بِأَنَّ

رَبَّنَا أَوْحِنَا إِلَيْهَا ﴿٥﴾ [الزلزلة: ٤، ٥]. والكلام المباشر ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]. والإعلام: بالإلقاء في الروح؛ وهو خاص بالأنبياء ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]. والوسوسة: ﴿يُوحَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. فمن معاني الوحي العامة أنه الإعلام الخفي السريع؛ الخاص بمن يوجه إليه، بحيث يخفى عن غيره، ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة؛ كالوحي إلى أم موسى، ومنه وحي الناس لبعضهم البعض، ووحى الشياطين ويسمى بالوسوسة. والرؤيا والحدس والإلهام والتحديث والفراسة كلها صور للوحي، تتفاوت حسب وقوعها، غير أن النبوة خاصة بالوحي الخاص بأضره الثلاثة. وقد وردت كلمة "الوحي" في ستة مواضع، كلها في العهد المكّي، وهذا يبيّن أثر هذه القضية، واعتبارها أساس ما يدور عليه العهد المكّي، من صراع في قضايا يميّز بها هذا الدين الجديد..

### ٣- ضرورة الوحي:

إذا قلنا بضرورة الوحي، فيعني ضرورة وجود صلة بين الشهادة والغيب، وضرورة معرفتنا لكلام الخالق، وذاك متمثّل في النبوة والرسالة والوحي والشرع والكتب. فالوحي قضية رئيسة لتصنيف الناس إلى مسلم ومؤمن، وكافر ومشرك ومناقق. وما يتعلّق بهذا التصنيف من معاملات، وتعامل بين الناس فيما بينهم وبين كل صنف وبين خالقهم. وهو قضية مهمّة لتوجيه المنهج، ومعرفة الطريق الغيبيّ.

والخلاف بين المشركين في كلِّ العصور؛ لم يكن في مَنْ الخالق، أو عظَّمته وصفاته، بل في ضرورة اتِّخاذ وحيه مصدراً للعلم، ومنهاجاً للحياة، بالتحاكم إليه في كلِّ نواحي الحياة؛ صغيرها وكبيرها؛ أي هل هذا مصدر للحق أم معه غيره، ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلْخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [يونس: ٣٤]؛ فحصل في جميع العصور أنَّ الإنسان اتَّخذ مصدرين للعلم والمعرفة؛ الأول ماديّ (الكون)؛ والثاني روحانيّ له صور عدّة؛ من روحانيّات الصالحين إلى روحانيّة الكواكب، واتَّخذ للروحانيّ الغيبي أشكالاً، وهي رموز مشهودة كي يكون المصدر (محسوساً) من أصنام وأوثان وأرباب وآلهة، وهذا دليل تاريخيّ وفطريّ، بأنّه لم يخلُ عصر لإنسان من اتَّخاذ آلهة بشتّى أنواع المعبودات، وهذا حاجته النفسية الفطرية، وهي غريزة فيه، يحتاج إلى إشباعها وتلبية حاجاتها، ولو في أبسط صورها بأن يعبد هواه؛ ويتَّخذها لهاً هو في ذاته، وهؤلاء هم من جعلوا العقول مستغنية عن علوم الوحي ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُهُ، هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣].

وقد كان الصراع ومحلّ النزاع عبر العصور في الحاجة إلى الوحي؛ بكونه مصدراً للعلم (الهداية إلى الحقّ)، وكونه الوحيد الهادي إلى الحقّ؛ أي هو مصدر الغيب وحده، ثم انتقل الخلاف إلى إثبات عصمة النبي، وربانيّة القرآن؛ أي أنّه وحي من الله تعالى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام، وهذه مرحلة بعد الاعتراف بضرورة الوحي؛ بكونه مصدراً وحيداً للمعرفة والعلم ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ أَنْ يَفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

وَتَفَصِّلَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ [يونس: ٣٧]. فإن أقرّ بذلك؛ كان لا بدّ أن يقام دليل على انفراد الخالق بكونه مصدراً لذلك العلم وحده، والدليل مبني على دليل الافتقار له أصلاً؛ في الخلق لأدوات المعرفة وقواها؛ وخلق مصدر المعرفة المادي (الكون)، مع يقين الإنسان أنّ قدراته لا تصل إلى المصدر (الخالق)؛ يلزمه بالإقرار بطريق آخر غير الحواس؛ لكنّه قابل للحسّ؛ وهو الوحي، ولا يدرك الوحي إلا بالنبوءة، وهي ما يمكن للحواس أن تصل إليه، فالنبوءة قوّة إدراكيّة تمثّل طوراً فوق العقل، فهي واسطة بين ما هو إلهيّ وما هو بشريّ، وهي الناقلة للكلام الإلهيّ والعلم الربانيّ من مصدره (الخالق) إلى القوّة الإدراكيّة البشريّة (المخلوقة).

واعتماد النبوءة طريقاً للمصدر الربانيّ، هو كون الطريق الأول من الحواس لا يمكنه الوصول إلى ذلك المصدر إلا بواسطة وهي (النبوءة)، وقد كان الاستدلال على صحّة و يقينيّة المصدر الربانيّ، ووجود الوحي والنبوءة في القرآن دائماً من ميدان الشهادة، ومجالّي الآفاق والأنفس، وبدهيّ ومسلّم أنّ العقل لا يملك نواقل يتّصل بها بعالم الغيب، ولا هو قادر في الخوض في ذلك المجال، فلزمه نواقل غير الحواس، لكن تصل إليها الحواس، وهي (الخبر، والسمع، والسمع، والنقل). "فالنبوءة إحدى الضروريات التي تؤيّد العقل، ويثبتها الواقع الاستقرائيّ للمجتمعات الإنسانيّة، وذلك من خلال إجماع البشريّة على عظمة هؤلاء الأنبياء، وما تميّزت به دعوتهم من التوحيد، وتوضيح العلاقة بين الخالق والمخلوق."

من هنا فإن الغاية من الوحي والنبوة في نصوص كثيرة، إمّا مفصلة أو مجملة: وهي البشارة والندارة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]. وإخراج الناس من ظلمات الجهل والغواية والضلال إلى نور الهداية ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ [إبراهيم: ١]. والفصل في الخلاف، ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤]؛ وتأتي أهمية الوحي بوجه عام لبيان علاقة العباد بربهم، وكيف ويتخصّصونه بالعبادة والطاعة كما يريد، وكيف يتعاملون فيما بينهم ومع غيرهم.

#### ٤ - طريق الوحي:

مما هو معلوم أن الوحي لا ينزل إلا على نبي، فالنبوة هي الطريق إلى معرفة الوحي الصادر عن الله تعالى، وذلك بأن يصطفي الله من يشاء من عباده نبياً ينزل إليه وحيه ويبلغه كلامه، ليكون واسطة بينه وبين خلقه في التبليغ. وهي ربانيّة واختيار إلهي. قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [غافر: ٧٨]، فثبوت النبوة قائم بدليل التواتر في كل العصور من لدن آدم عليه السلام، ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: ٣٣]؛ وقد خصّ الله تعالى الأنبياء بمعجزات موجهة لهم هم أولاً؛ كي يوقنوا أنهم أنبياء، وأنّ الوحي ينزل عليهم دون غيرهم. فإذا أيقنوا ذلك جهرت بنبوتهم وبلغوا ما أمروا، وأعلنوا أنّ لهم اتصالاً بالوحي. فتكون المعجزات دليلاً للنبي، ثمّ دليلاً لغيره، بأنّ ما يجد في نفسه من علم إنّها هو وحي ألقى إليه، قال تعالى عن قصة موسى: ﴿ وَمَا تَلَكَ

بِمِيمِنِكَ يَمْوَسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنْوَكَّوْا عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَرَابُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلَيْهَا يَمْوَسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْفَنَهَا فإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمْنَا يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِيُزَيِّنَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ [طه: ١٧-٢٣]؛ فالآيات المعجزات كانت موجهة له هو ﴿لِيُزَيِّنَكَ﴾؛ كي يتيقن من أنه نبي، وأن الكلام الذي يسمعه هو كلام الله تعالى. ثم قال عنه: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]؛ وهذا حصول العلم الضروري اليقيني؛ الذي لا يمكن للبشر الحصول عليه بقدراتهم، من اطلاع الغيب الماضي من غير دراسة، ولا خبر متواتر من الناس، ولا شهود لذلك الماضي.

ويمتاز النبي مع كونه بشراً، أنه رجل عاقل مصطنع مختار من الله تعالى لإبلاغ الوحي، يتكلم بلغة قومه، ويثبت نبوته بمعجزات يقرون بأنها ليست من فعل البشر، لتكون دليلاً على نبوته وعصمته، فهنا يثبت للطريق (النبي) المصدرية، وعصمته (اليقين)، وصلته بالمصدر (الوحي)، وقدراته الإدراكية الخاصة، التي هي فوق طور عقول البشر العادية (النبوة).

والناس منقسمون بعد عرض النبي لما معه من الوحي وإعلانه بنبوته، فمنهم من سمع بوجود الأنبياء وتواترهم؛ ومنهم من لم يسمع ولا يؤمن بوجود النبوة، فهو بحاجة لدليلين على مرتبتين: الأولى: إثبات إمكان النبوة، ونزول الوحي، وضرورته وأهميته. والثانية: إثبات أنه نبي مبلغ بالوحي من مصدره. وهذان القسمان أصناف؛ فمنهم المؤمن والكافر، والكافر منهم أهل الكتاب والمشرک والملحد والمنافق. ويُرسَل النبي بآيتين؛ متلوة ومخلوقة،

فالأولى هي الوحي والكتاب والحكمة والفرقان والسلطان المبين، والثانية هي خوارق من إحياء الموتى، وشفاء من لا يبرأ أصل، وعلامات كثيرة لا يقدر عليها غيرهم لإذن الله تعالى لهم وحدهم، والاصطلاح على الآيات باسم "المعجزات".

## ٥ - كيفية الوحي :

لا تعلم كيفية الوحي إلا بالنص الثابت عمّن أوحى إليه، وقد ورد لفظ الوحي ثمانى وسبعين مرة؛ بتصاريفه في القرآن الكريم، ﴿إِنَّا سُنَّلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، وعبر عنه بالكتاب، والذكر، والفرقان، وأسماء الكتب، والآيات، والسور. وذكرت كميّات الوحي في القرآن الكريم مفصلة في آيات عدّة، وذكرت مجتمعة في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١] وقال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَاللِّتِينِ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، فالوحي قسيم التكليم العام، وفي قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]؛ أمّا كميّات الوحي، فهي: الكميّة الأولى: الوحي الخاصّ، وهو إعلام في خفاء بإلقاء الكلام في الروح؛ أي يقذف العلم في قلب النبيّ؛ فيجده عن غير جهد، ولا نشاط فكريّ، بل يكون حصولاً ضرورياً، ويشعر بأنّه طارئ بعد أن لم يكن، فيكون بيّنة له على أنّه يتلقّى من مصدر خارجيّ عن نفسه؛ وعن قدراته العقليّة. والكميّة الثانية: أن يكلم الله تعالى النبيّ من وراء حجاب مباشرة من غير وساطة، ويسمع النبيّ كلام الله تعالى من غير أن يراه، قال تعالى لموسى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي

وَيَكَلِّمُهُ ﴿ [الأعراف: ١٤٤] والكيفية الثالثة: أو يرسل رسولاً كجبريل عليه السلام، فيوحى الملك إلى الرسول من البشر بأمر الله، وهذه الصورة هي غالب ما أنزل من القرآن على النبي ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَيْهِ سَيِّدُ الْقُوَىٰ ﴿ [النجم: ٤، ٥].

## ٦ - مجال النبوة:

يختلف مجال النبوة عن مجال الشهادة، فالحواس تصل إلى ما هو في مجالها، ولا تصل إلى مجال الغيب، فالإيحاء غيبي وما يوحى به "الوحي" هو مشهود مسموع ومقروء، والوحي وسط بين مجال الغيب وما فيه؛ وبين مجال الشهادة، غير أن الموحى به ليس كل ما في مجال الغيب، بل جزء منه، فهو من عالم الغيب، ومتوجه إلى عالم الشهادة، وغايته هداية الإنسان في الأرض لعبودية الله تعالى، ومجال المعرفة التي ينزل بها الوحي، إنما هو نوعها ومجالها وعالم الشهادة وعالم الغيب. فالعقيدة والعبادة ليستا من نتاج العقول البشرية، بل لا بد لها من نصوص وحي تبيّن أنّ هذا واجب وجائز وهذا ليس بجائز. ومجال الوحي يشمل العلاقات الاجتماعية والأسرية بين الأفراد والمجمعات، وعلاقة الراعي بالرعيّة، والدول مع بعضها، والشعوب مع غيرها.

فالوحي جاء ليشمل كلّ نواحي مجال الشهادة، فكان التكامل بين ما هو غيبي وما هو مشهود. فمن الغيب مجال أذن به الله تعالى؛ فأطلع عليه ملائكته فقط، وآخر أطلع عليه ملائكته ورسله فقط، وآخر أطلع عليها الناس عبر الرسل، ومجال هو مفاتيح الغيب اختصّ بها تعالى ولا يطلع عليها أحد. والوحي هو جزء من مجال الغيب في المصدر الإلهي، والكون بوصفه

مصدراً للمعرفة مجالاته مشهودة ومغيبية، ومجالات الغيب فيه نسبة وإضافية. أما الخالق بكونه مصدراً للمعرفة فمن مجالاته ما هو مشهود للملائكته، ومنها ما هو مشهود لرسله، ومنها ما يصل بالخبر للناس، والباقي إما غيب نسبي يطلع عليه من يشاء وقت ما شاء، أو غيب مطلق لا يطلع عليه أحد إلا هو. وروعي هذا التقسيم في الدنيا والآخرة، فكان الأولى تقسيم المصادر إلى مصدر مخلوق ومصدر خالق. ومن هنا ينبغي أن يعلم أن الوحي هو (موضوع مدرك)؛ أي يفهم ويدرس ويتدبر فيه؛ ليستنبط منه، وأنَّ أجل الأدلة العقلية وأكملها وأفضلها مأخوذ عن الرسول، فإنَّ من الناس من يذهل عن هذا ويقدم في الدلائل العقلية مطلقاً؛ لأنَّه صار في ذهنه أنَّها هي الكلام المبتدع.

## ٧- خصائص الوحي المعرفية

### أ- ربانية المصدر:

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَايِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْمُرُ إِنِّي أُنَبِّئُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف: ٩]، فالعلم الموحى به محفوظ من التحريف والتبديل، مؤتمن الطريق ليصل إلى الناس، وقد تكفل الله تعالى بعصمة رسله، والنص الموحى مقدس، وهذا يعطي التأكيد على ربانية المصدر، ويكسبه مركز الثقة ومحور اليقين؛ فيكون معياراً لغيره في الخطأ والصواب، والكذب والصدق، والحق والباطل، ولا تلغي هذه المصدرية الفكر البشري، بل تكسبه ثقة و يقيناً أكثر في وضع معيار لتقويم أفكاره، وعقائده وما أخذه عن عالم الشهادة، وتمنحه دور الفهم المعلم المأخوذ من

المصدر الرباني وجعله قاعدة للتحاكم، لأنه يتلقى موازينه ومقرراته من هذا التصور ذاته، فهو الميزان الذي يرجع إليه بكافة ما يعني له من قيم وتصورات في مجرى حياته الواقعية.

### ب- المجال الغيبي:

هناك جوانب لا يدركها العقل، ولا تصل إليها الحواس ويختصّ بنقلها الوحي، كالذات الإلهية وأسمائها وصفاتها وأفعالها ﴿أَيَسَ كَيْتَلَهُ شَيْءٌ وَهُوَ أَسْمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، والمشية الإلهية ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ففي الآية إرشاد إلى توجيه الطاقة الفكرية إلى المجالات القابلة للإدراك، كي تحقق العمارة والخلافة، والتمكين في الأرض، وتبتعد عمّا لا طاقة لها به، ولا طائل من وراء الخوض فيه، وفي هذا توفير للجهد وعدم إهدار للوقت في بحوث لا نهائية.

### ت- الكمال والخلود:

المعرفة في الإسلام شاملة لكل ما اختلف فيه الذين أنزل عليهم الكتاب، فنزل الوحي بالحق الكامل ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ سَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ١٧٦]، هداية للناس ﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ﴾ [الجاثية: ٢٠]؛ ولا يكون الجواب عن هذا كاملاً إلا في الوحي ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. وهداية الوحي خالدة، وشاملة لكل زمان ومكان؛ لأنه من عند من يعلم ويحيط بكل شيء مكاناً وزماناً ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] فهي شاملة لحقائق الألوهية والربوبية، والكون المخلوق،

ولحقائق الإنسان... وهي شاملة للكينونة الإنسانية بكل ما فيها، ولما وراء هذه الكينونة الإنسانية، وشاملة كذلك لمبدأ خلقه ومنتهاه، وشاملة لتفسير الوجود والمعرفة والقيم.

### ث- التوازن والثبات:

العلم المتلقى من الوحي صادر عن الله تعالى في أصله، لذلك هو منزّه عن التأثير بالعوارض، فأصوله ثابتة تساير المتغيرات، وهذا الثبات يكسبه التوازن في إصدار الأحكام، والمصدرية لليقين والحق؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ قَاتِحَكُمْ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨] فهو معيار ثابت غير مضطرب ولا متغير، ولا يتقلب ولا يرجع إلى أهواء الناس؛ لأنها لا قرار لها، وما لا مستقر له لا يُقعد عليه. غير أن الأصول وهي العقائد ثابتة، لكن ما بعد نزول القرآن فكلها أمة واحدة تشملها شريعة وعقيدة واحدة؛ قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].

### ج- العملية والإيجابية:

يزوّد الوحي الإنسان بمعرفة موضوعية ذات حقائق بالوجود وصور الخلافة فيه والسير في الأرض، وكل علم انتفى عنه العمل فهو مذموم في الوحي، فسوّي بين وجود وسائل المعرفة وعدمها حال لم يبادر صاحبها إلى

العمل بمقتضى العلم الحاصل معه، قال تعالى عمّن تركوا العمل بما علموا ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]؛ فنفيهم للتعقل والسماع هو نفي للاستجابة لمقتضى العلم الحاصل من الوحي. ويرشد الوحي إلى الكون بوصفه مصدراً للمعرفة، ويجعله محور استخلاف الوحي منهاجه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. فالمنهج الرباني يرفع الإنسان من حال الترف الفكري إلى العمل الإيجابي القلبي، ليتحقق التوازن والشمولية المعرفية الإدراكية للإنسان، لأنها ﴿لَا بَدِيلَ لِيَخْلُقَ اللَّهُ﴾ [الروم: ٣٠]؛ ومخالفة فطرة الله هي علة كل اضطراب فكري أو نفسي أو عملي.

### ح- خصوصية الطريق:

فالوحي علم لأحد الناس الذين اصطفاهم الله تعالى وعصمهم وهبهم حمل الرسالة، وليست للعامة، والخصوصية هنا في الطريق والموضوع المدرك، أما الخطاب فهو للناس كافة، فهم لا يصلون إلى مصدر الوحي، ولا ترتقي عقولهم إلى إدراكه عن الملائكة، أو عن الله تعالى لعلوه، لكن تصل إلى الخطاب النبوي؛ فتأخذ العقول العلم الموحى به من سماع كلام الأنبياء؛ فالإيحاء خاص، والنبوة خاصة والتكليف عام ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٦١﴾ إِلَّا مَن أَرَادَ مِن رَّبِّهِ ﴿[الجن: ٢٦، ٢٧].

### خ- خصوصية الغاية:

القرآن الكريم ذكر مفهومين يوضحان أنّ الغاية الرئيسة: هي معرفة الله والتقرب إليه، ثم إقامة العدل والقسط في المجتمع البشري. فالوحي

أَنْزَلَ لِيُعْرَفَ بِالْمَصْدَرِ الْإِلَهِيِّ، وَيَعْرِفَ بِطَرَائِقِ إِقَامَةِ الْعَدْلِ، وَالْقِسْطِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].



صدر حديثاً

# التَّوْحِيدُ

ومضامينه في الفكر والحياة

الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي

ترجمة

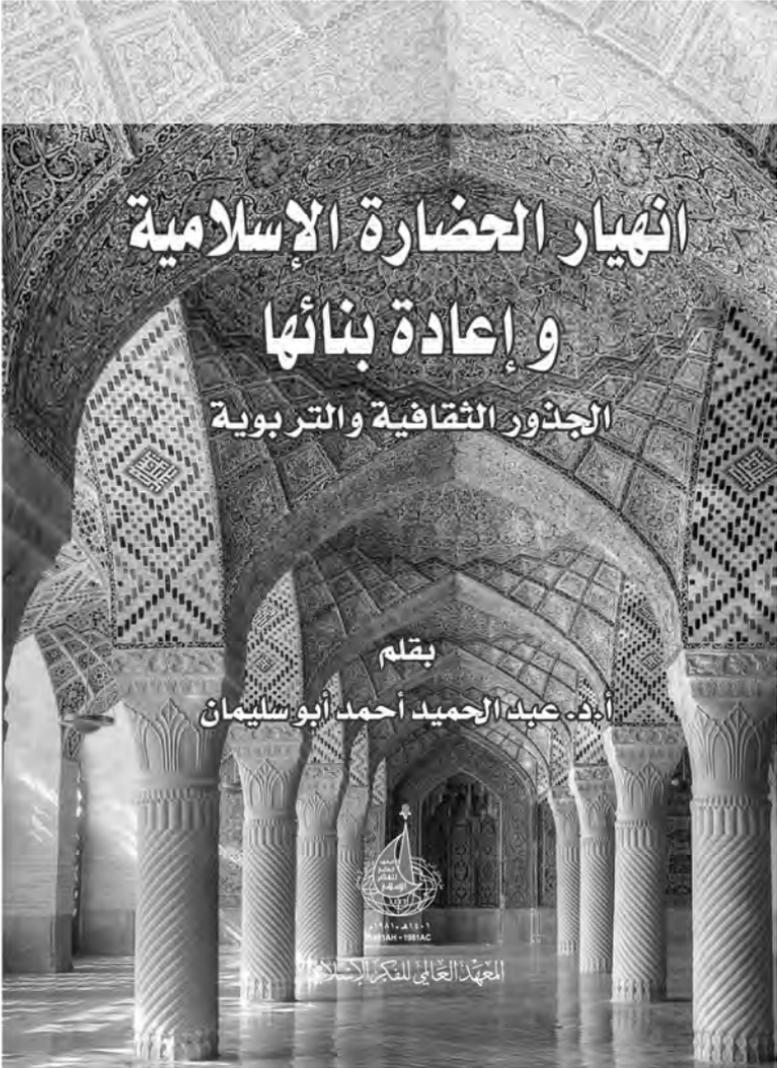
الدكتور السيد محمد السيد عمر



١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م  
1387 - 1358 SH

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

صدر حديثاً



# انهايار الحضارة الإسلامية وإعادة بنائها

الجدور الثقافية والتربوية

بقلم

أ.د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان



المعهد العالمي للفكر الإسلامي

صدر حديثاً

# إعادة اكتشاف الصلاة

## مختصر إدارة الصلاة



المعهد العالي للفكر الإسلامي

صدر حديثاً

مختصر  
الإجتهااد والتجديد  
في الفكر الإسلامي المعاصر

دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية

الاجتهد والتجديد  
في الفكر الإسلامي المعاصر

سعيد شبار

المعهد العالمي للفكر الإسلامي



المعهد العالمي للفكر الإسلامي

